

مراجعات في الفكر الإسلامي

الجزء الأول

الشيخ النّيل عبد القادر أبو قرون

مراجعات في الفكر الإسلامي

الشيخ النيل عبد القادر أبو قرون

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ
كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الحديد (٢٨)

مفتتح

الحمد لله الذي حمد نفسه بنفسه، بعظيم كلامه المقدس في قوله جلّ وعلا:

(الحمد لله)، حمدا يليق بعظمته وعلاه، دائماً ما دام كرمه وجزيل عطاياه، واشهد أن لا إله إلا الله، المتفرد بالوجود والإيجاد والفعل في كل ما أبداه، شهادة ننعّم بها في الدنيا وفي يوم لقاءه. والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، محل نظره من خلقه وقمة مجلاه، الموجود نبيا قبل أن يبلغ خلق آدم منتهاه، حبيب الله ورسوله المكرم محمد بن عبد الله، صلى الله وبارك عليه وآله، أهل المعرفة والعزّ والجاه.

أحابي

إن من يقرأ رسائل هذه بحكم مسبق، أو تعصب ديني مبني على عاطفة، أتت من مجرد سماع كلام عن الدين في المجتمع، أو نمت على قراءات دينية من مصادر ليست هي مراجع في الموضوع، أو حتى تلك العاطفة الدينية التي بنيت على دراسة مراجع دينية صحيحة. أقول إن من يقرأ هذه الرسائل مصطحباً تلك العاطفة، فقد حرم نفسه وأخرجها عن دائرة أسلوب البحث عند العلماء. إذ العلم يقتضي التجرد عن العاطفة لأنّ بابه العقل، والإنسان عدو ما جهل. فغير العاقل يبادر بإظهار العداوة واستعمال الأسلحة المضادة لما جهل. والعاقل يتخذ التدابير التي يعرف بها هذا المجهول حتى لا تبقى له عداوة فيه. فلا تجعل عداوتك للمجهول هذه سبباً لحرمانك من المعرفة. بل اجعلها سبباً لزيادة المعرفة، وذلك بإحسان كيفية التعامل مع هذا الذي تجهل، بأن تدفع بالتي هي أحسن، وقد تكون هنا هي حسن الظن. وهذا كاف لمن يقرأ هذه الرسائل بتدبر. واضعاً نصب عينيه الموت وما يُسأل عنه في آخرته. وصحة الاعتقاد في النبي صلى الله وبارك عليه وآله ومحبته هي الأساس والسلامة في الآخرة، وتصديقه وتوقيره سبب النجاة يوم القيامة. وهي المحور الذي تدور عليه هذه الرسائل فمن اقبل عليها بعقله غنم، ومن قرأها متأثراً بعاطفته الدينية المسبقة ندم، ومن أحسن الظن فقد سلم.

تمهيد

أما بعد

فإني أهدي رسائلي هذه إلى طالبي الحق والسلامة في الدار الآخرة، وإلى من تعبت نفوسهم من تشعبات العلم، واختلاف المذاهب، وتضارب النصوص، أو أملت بهم الحيرة، فيما تيسر لهم جمعه من الآثار والأخبار والتاريخ والأحاديث المختلفة، وإلى أولئك الذين يسعون بكليتهم بحثاً للوصول إلى الحقيقة، التي بها النجاة من سلوك طريق معوج، أو درب مسدود، أو أثر يقود إلى هاوية تكون أم السالك، وهي أيضاً مهداة إلى الذين يعلمون بفطرتهم السليمة ما يلائمها، ولكنهم يجدونه يصطدم بموروث علم، ألفوا عليه آباءهم وأجدادهم، وإلى أحباب النبي صلى الله عليه وآله وبارك، الذين ينظرون إليه مثلاً للكمال الإنساني لا يدانيه أحد في العلم والشجاعة والحلم والكرم وفي كل خلقه وخلقه، حتى أن العقول لتتقصر في وصفه لعجزها عن إدراك ما وصل إليه من الكمال الذي لا يصفه إلا كامل... ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾ (١).

وذلك يعني كمال السلوك الإنساني والخلق، فلا يصدر عن النبي صلى الله عليه وآله وبارك سلوك إلا وهو أحسن ما يكون، ويجب التأسي به، لأنه لا يوجد أحسن منه. ومن يظن أن أحداً من أمته، يمكن أن يكون له سلوك أو تصرف أحسن من تصرف النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله وفعله فقد خسر الدنيا والآخرة، لأنه انتقص من قدره، واتخذ من أمته من يفضلته فيكون بذلك مخالفاً للنص القرآني وصار غير النبي هو

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١

أسوته...!

فإن ما لا تقبل أن تُوصف به من سلوك ، إرباً بنفسك أن تنسبه للحبيب صلى الله عليه وآله وبارك ، لأنه مرجعيتك في الناسي. فلا يمكن أن يكون سلوك من يجب أن تتأسى به هو ما لا تقبله لنفسك ، وأيضاً ما لا تقبل أن يتصف به أستاذك أو شيخك أو معلمك أو والدك يجب أن ترفض جازماً أن يُوصف به الحبيب ، لأنه هو المعلم الأكبر وسيد بني آدم ، واعلم أيضاً أن أي صفة وصف الله بها كافراً أو ذم بها فاسقاً فإنه بالضرورة يجب نفيها عن الحبيب صلى الله عليه وآله وبارك نفيًا قاطعاً لا يحتمل التأويل والتأجيل ، فإذا وصف الله تعالى أحد الكفار بقوله ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾^(١) صار العبوس صفة ذميمة من خلق الكفار وقد وصف الله بها ذلك الكافر لذا يجب أن يُنزّه الحبيب عن هذه الصفة ولا ينبغي لمؤمن يحب النبي أن يتردد في ذلك بحجة القول : إذن فيمن أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(٢) إذا رفضنا قول بعض المفسرين أنها نزلت في النبي؟

هنا يجب أن نفهم أمراً ، وهو أنه ليس للمفسرين من عصمة ، ووقوع الزلات من المؤرخين والتحرير في التاريخ أمر لا ينكره أهل الحجا ، كما أن تأثير الإرادة السياسية في الأنظمة على الثقافة ، واحتمالات الدس في الموروث من قبل الأعداء والحساد وأصحاب الفكر المعادي ، أمر لا يكاد يسلم منه كتاب ، والله جل شأنه يلزمنا في قرآنه العظيم بتنزيه النبي بعظمة الخلق المحمدي ، الذي أقسم عليه الحق جل وعلا في سورة القلم ﴿إِنَّ وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣) فلا عبرة بقول الآخرين فيما ينسبونه من خلق ذميم وصف الله به كافراً ملعوناً إلى الحبيب صلى الله عليه وبارك عليه وآله. ثم لماذا نعطي المفسرين وأصحاب الحديث العصمة ، فيما قالوا أو كتبوا أو نقلوا حتى نقبل منهم هذا التفسير ، ولو كان فيه طعن في عصمة النبي صلى الله عليه وبارك عليه وآله؟

لماذا لا يكون العكس - وهو الصحيح - أن لا نجعل العصمة إلا للنبي فيما يقول

(١) سورة المدثر، الآية: ٢٢

(٢) سورة عبس، الآية: ١

(٣) سورة القلم، الآية: ١

ونطعن فيما يقولون بل نرفضه إن كان فيه ما يشير إلى نقص في كمال خلقه أو خلقه ؟

ألم يقل الله جل وعلا في مدحه : ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)

وقال الحبيب عن نفسه " إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(٢) وهذا هو الأساس والمقياس ، ورفض ما يخالفه واجب على كل مسلم ، والأخذ بغير هذا المعتقد في النبي صلى الله وبارك عليه وآله كفر جليّ ..!

ومن يقول إن الله أراد أن يعلم نبيه أو يؤدبه فإنه قد أدخل نفسه فيما لا ينبغي له ، لأنَّ إرادة الله لا علم له بها ، وليس هو الشارح لها أو المعبر عنها فلا يحق له أن يقول "أراد الله" باجتهاد من عنده ومن غير نص ، فإنَّ ذلك إدعاء للنبوّة كما أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قال "بُعثت معلماً"^(٣) ، فتعليم الله له إن لم يكن سابقاً للبعثة فهو معها ليفيض بعلمه على الناس لتعليمهم ، لا ليتعلم منهم أو معهم بعدما أرسل إليهم قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٤) ، حتى لا يكون أقل منهم أو مثل أحدهم . فقد قال صلى الله وبارك عليه وآله "إني لست كأحدكم"^(٥) ، وأما تأديبه فإن الذي بعثه ، تعالى أن يبعثه قبل أن يؤدبه ، أو يرجأ ذلك كي يتم أمام من بعثه إليهم ، ليظهر لهم قلة أدبه ونقص علمه أمامهم ليخرجه ويؤدبه ، أو يكون رسوله الذي أرسله لا يزال يحتاج إلى الكمال الإنساني الذي به يتأهل للرسالة ..! لماذا ؟ الآن ذلك يزيدهم يقيناً في قوله "بعثت معلماً" ؟ أم هو الشك فيه بل نفيه ؟!

أو أن ظهوره بهذا النقص في العلم والأدب من الأسباب القوية على أنه مرسل من الله لكي يسلموا ..! وكيف يتفق احتياجه للتأديب وهو القائل "أدبني ربي فأحسن تأديبي" ؟

(١) سورة القلم، الآية: ٤

(٢) مسند أحمد

(٣) سنن ابن ماجه

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٢

(٥) مسند أحمد

وهل إظهاره بنقص في خلق أو علم من الضرورات التي يحتاج إليها الناس للإيمان به بأنه مرسل من الله؟! وهل هذا يعني أن الله لم يرسل حبيباً له كاملاً في الخلق ليطاع بإذن الله بينما الله تعالى يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

لقد ذهب بعض المسلمين إلى إجازة مخالفة النبي صلى الله عليه وآله رغم هذه الآية الشريفة، دون أن يثبتوا إثماً على المخالف، بل ذهب بعضهم إلى أن جعل الحق مع من خالفه ليكون ذلك المخالف هو المطاع بإذن الله!

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤

في رحاب الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ . . .﴾^(١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ . . .

(١) . . . شَاهِدًا . . .

(٢) . . . وَمُبَشِّرًا . . .

(٣) . . . وَنَذِيرًا

(٤) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ . . .

(٥) . . . وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٢)

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥، ٤٦

مقدمة

إن رحمة الله سبحانه وتعالى سبقت غضبه كما جاء في الحديث القدسي. وقد يكون السؤال هل ما جاءت به الرسل من عند الله تعالى، هو رحمة لعباده؟ أم الغرض نصب ميزان للحساب لتصيد أخطاء العباد والانتقام؟

لا يشك أحد في أن ما جاء من عند الله عن طريق رسله هو رحمة لعباده. وأن نصب الميزان لأعمال العباد يذكرهم ويبصرهم أين هم بأعمالهم، مما يريد لهم خالقهم من الرحمة المنزلة إليهم، ليرجعوا عن زلاتهم، ويتجاوز الله عن سيئاتهم ولا يؤاخذهم بسوء ما اكتسبوا ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾^(١) ولكن ذهب الكثير من الدعاة إلى جعل الشق الثاني من السؤال ثقل مذهبهم في الدعوة إلى الإسلام - الذي هو الرحمة من عند الله إذا تقرر عندنا أن ما جاء من عند الله إنما هو رحمة لعباده - فخوفوا وأرعبوا وقنطوا ومن لا يستجيب لتخويفهم بالمواعظ خوفوه بالسلاح فإن لم يستجب فعليه رحمة الله!!! فأبعدوا الناس عن الرحمة والله سبحانه يقول في الحديث القدسي "إن رحمتي سبقت غضبي"^(٢) قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أفلا يكون الأجدر بالذين يتصدون للدعوة أن يبينوا للناس هذه الرحمة التي وسعت كل شيء حتى الغضب، إن كان الغضب شيئاً؟

أخطأ الكثيرون حيث فصلوا الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وآله، فجوزوا بذلك لأنفسهم إمكانية معرفتها دون حاجة لمن جاء بها، وأعطوا الحق لأنفسهم في محاسبته ليخطئوه في أدائها! كأن الله لم يختار الأنسب من خلقه لرسالته في العلم

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٨

(٢) صحيح البخاري

والخُلُق والخُلُق! ولا يدرون أنهم بذلك الفصل انحرفوا بزلات وتاهوا في ضلالات لقصورهم عن معرفة الرحمة التي أرادها الله لعباده!!

إن الرسالة لا تنفك عمن جاء بها. ﴿...إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾﴾^(١) فكان خلقه صلى الله وبارك عليه وآله القرآن، وكان هو الرحمة عينها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) وكان محمد صلى الله وبارك عليه وآله هو الرحمة لكل الناس، لأن الرحمة تسع كل الناس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٣) وقال المعلم صلى الله وبارك عليه وآله عن نفسه "إنما أنا رحمة مهداة"^(٤) فثبت بذلك أنه هو المرجعية لأنه الرحمة التي هي الرسالة التي هي الإسلام "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(٥) الأخلاق التي مدحه بها من أرسله للناس كافة ليعلمهم إياها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٦) فبعث صلى الله وبارك عليه وآله ليتممها أي ليختم على ما جاءت به الرسل السابقين صلوات الله عليهم، الذين بعثوا لخلق المجتمعات الفاضلة، فكان هو الختم صلى الله وبارك عليه وآله للرسالات والأول في الخلق وقبله الصلوات. ولشمول رسالته جميع الرسالات جعل الله سبحانه (رميه رمية^(٧) وطاعته طاعته^(٨) وبيعته بيعته^(٩) وأمره أمره^(١٠)) ليكون المرجعية للبشرية ومطلب الكمال الإنساني.

(١) سورة البخان، الآية: ٥ - ٦

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧

(٣) سورة سبا، الآية: ٢٨

(٤) المستدرك على الصحيحين

(٥) مسند أحمد

(٦) سورة القلم، الآية: ٤

(٧) سورة الأنفال، الآية: ١٧

(٨) سورة النساء، الآية: ٨٠

(٩) سورة الفتح، الآية: ١٠

(١٠) سورة النور، الآية: ٦٣

مقصد البعثة

إنَّ مدرسة محمد صلى الله وبارك عليه وآله، أعظم مدرسة في تاريخ الإنسانية، إذ أنَّ الله سبحانه وتعالى في عزِّه وقُدِّسه، قد أثنى على مؤسَّسها، ومَدَّحه في كلامه القديم بِخُلُقِه العَظيم وأقسم على ذلك، وهو القاهر فوق عباده ولا حاجة له في أن يُقسم على قوله أو فعله لعبيده..!

إذاً فلا يكون قَسَمه سبحانه إلا تأكيداً لِعَظَمَة من وصفه ومَدَّحه، وليس بِقصد أن يُصدِّقه مَنْ أقسمَ لهم من خَلقه وعبيده. ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) فكان نِعَمَ المُعلِّم الأكبر في مدرسة الحياة الإنسانية، ولهذا بُعث صلى الله وبارك عليه وآله كما قال "بُعثت معلماً"^(٢) فكان أول الرُّسل خَلقاً وآخرهم بَعثاً، قد أُرسل بهذه الرسالة الخاتمة ليكون مُعلِّماً للبشرية كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) فهو الأنموذج الإلهي للإنسانية في كمالاتها، ليتأسى به الناس كافة، وليفيض عليهم من خُلُقِه العَظيم فيستقيم سلوكهم من التَّأرُّج والانزلاق لمُجرَّد رؤيتهم له والسماع منه. لقد كانت النفوس تتجذب إليه متى وقع البصر عليه، لانعدام الغلظة في طبعه ﴿... وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾^(٤) فَتَجِدَ النفوس ضالَّتْها المعشوقة فتستكين ويزول التوترُ بروية الهدف واستبانة الطريق بواسطة هذا المُعلِّم الأكبر. ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾^(٥)

(١) سورة القلم، الآية: ٤-١

(٢) سنن ابن ماجة

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٨

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٤

بُعِثَ الْمُعَلِّمُ الْأَكْبَرُ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ كَافَّةً لِلنَّاسِ لِيُعَلِّمَهُمُ الْأَخْلَاقَ، الَّتِي امْتَازَ هُوَ بِهَا عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ أَنْبِيَاءٍ وَرُسُلٍ وَشُهَدَاءٍ وَصَالِحِينَ، وَمَدَحَهُ بِهَا خَالِقُ الْكَوْنِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فِي مُلْكِهِ، وَوَصَفَهَا جَلَّ جَلَالُهُ بِأَنَّهَا عَظِيمَةٌ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١). وَقَالَ مُعَلِّمُ الْأَدَبِ وَالتَّوَاضُعِ "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"^(٢) لِذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لِأَنَّهُمْ فِي ظِلْمَاتٍ دُونَهُ فَاللَّهُ سَبِّحَانَهُ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا...﴾^(٣)... لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...^(٤) وَهَذَا قِمَّةُ الْمَقْصُودِ مِمَّا تَتَعَلَّمُهُ الْإِنْسَانِيَّةُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ "مَا شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ"^(٥) وَذَلِكَ مَقْصِدُ الرِّسَالَةِ. فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ كَثْرَةَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَالْاجْتِهَادِ فِيهَا فَقَطْ هُوَ الْعِبَادَةُ وَمَقْصِدُ الرِّسَالَةِ، يُقَالُ عَنْهُ "فَلَانُ حِمَامَةٌ مَسْجِدٍ"، فَالصَّائِمُ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ قَدْ أَفْطَرَ عَلَى أَكْلِ لَحُومِهِمْ بَاغْتِيَابِهِمْ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ "كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ"^(٦). وَمَنْ لَمْ تَكُنْ صَلَاتُهُ تَنْهَاهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَلَيْسَ لَهُ صَلَاةٌ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ فَرَضَهَا اللَّهُ لَتَنْهِيَ فَاعِلَهَا عَنِ سُوءِ الْأَخْلَاقِ. فَقَدْ قَالَ مَنْ يَتَكَلَّمُ عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ "إِنْ أَكْمَلَ النَّاسُ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَإِنْ حَسَّنَ الْخُلُقَ لِيَبْلُغَ دَرَجَةَ الصُّومِ وَالصَّلَاةِ"^(٧) لِأَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ مَقَاصِدِ الْبُعْثَةِ - بَلْ هُوَ مَقْصِدُ الْبُعْثَةِ - وَمَنْ يُوَصِّفُ بِهِ فَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي يَوْمٍ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ فِيهِ الْمَرْءُ لِلنَّجَاةِ فِي الْحَدِيثِ "إِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"^(٨). قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنْ

(١) سورة القلم، الآية: ٤

(٢) مسند أحمد

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١١

(٥) صحيح سنن الترمذي

(٦) مسند أحمد

(٧) مجمع الزوائد

(٨) صحيح ابن حبان

فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها، قال "لا خير فيها هي في النار" (١).

ويمتاز حسن الخلق عن الصيام والقيام بأنه لا تدخله الآفات التي تمحق الأعمال كالرياء والعجب، كما أنه فضيلة متعددة للغير كالإنفاق، غير أن الإنفاق مثلاً قد يدخله الرياء أو المن قال تعالى ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ﴾ (٢). والصلاة والصيام لا يتعدى نفعها فاعلها إن سلمت من الآفات. أما حسن الخلق فهو سليم من الآفات ويتعدى أثره للغير.

ظَلَّ الْمُعَلِّمُ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ يُرْشِدُ النَّاسَ إِلَى عُلُوِّ الْقِيَمِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ سُوءِ السُّلُوكِ، وَغِلْظَةِ التَّعَامُلِ، وَتَوَثُّرِ الْعِلَاقَاتِ، وَإِظْهَارِ الْغَضَبِ، إِلَى نُورِ الْإِخَاءِ وَحُسْنِ التَّعَامُلِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّسَامُحِ، حَتَّى يَقُولَ لَهُمْ "الدين حسن الخلق". فكان هذا أساس التعامل، وانعدم الإكراه في الدين في كل مناحي الحياة، في المعاملات بين الناس، أو بين راع ورعيّة، أو بين الناس وخالقهم، حتى في الدعوة إلى توحيد الله ﴿... أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وهنا يَنْقَدِحُ نور الرسالة وهَجَاً لِيُوضِحَ مقصد البعثة جلياً فيقول صاحب الخلق العظيم "من آذى ذمياً فقد آذاني وأنا خصيমে يوم القيامة" (٤) فلا يُنْتَقَصُ أَحَدٌ مِنْ إِنْسَانِيَّتِهِ بِحُكْمِ مُعْتَقَدِهِ، وَلَا يُكْرَهُ عَلَى تَرْكِهِ وَلَا قَبُولِ مُعْتَقَدٍ غَيْرِهِ. وتجب معاملة الإنسان بإنسانيته دون إكراه أو تحقير، فقد قال المُعَلِّمُ الْأَكْبَرُ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ "الدين المعاملة" ووقف حينما مرّت به جنازة، فقيل له إنها ليهودي فقال صلى الله عليه وآله "أليست نفساً" (٥) .. "قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة" (٦) وجاء مرة أحد الأعراب المشركين، ودخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله وبال

(١) المستدرك على الصحيحين

(٢) سورة المدثر، الآية: ٦

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٩

(٤) كشف الخفاء

(٥) صحيح البخاري

(٦) صحيح مسلم

فيه فقام إليه الأصحاب وزجروه وأرهبوه وهمّوا بضربه، فنهاهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله وهدأ من روعه وقال له "يا أبا العرب إن هذا المسجد لا يصلح لما فعلت وإنما بُني لذكر الله" ^(١) فأسّرت أخلاق النبي صلى الله وبارك عليه وآله ذلك الإعرابي المشرك فأسلم وقال "اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً" ، فقال له النبي صلى الله وبارك عليه وآله "لقد حجرت واسعاً". وكان النبي ذات مرة راقداً متوسداً سيفه، فجاء أحد الكفار وخطف السيف من تحته، وقال له من ينجيك مني يا محمد، فقال له صلى الله وبارك عليه وآله "الله" فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وقال له "ومن ينجيك مني" فقال الكافر "حلمك يا محمد" فتركه النبي صلى الله وبارك عليه وآله، ولم يكرهه حتى على قول لا إله إلا الله. قال صلى الله وبارك عليه وآله "من قتل ذمياً لم يشم رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً" ^(٢)

(١) صحيح ابن حبان

(٢) صحيح البخاري

وحدة الرسالة

الأديان عند الله كلها هي الإسلام ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾^(١) وأنزلها كاملة لا عيب فيها من عند الله - اليهودية والمسيحية والإسلام قال تعالى ﴿...لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾^(٢) وقال لهم ﴿...فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾^(٣) لأجل خلق المجتمع الفاضل - ولكن الناس حرّفوا منها تبعاً لأهوائهم - وهذا هو المرفوض (تحريف الكلم عن مواضعه) وهذا هو السبب في نشوء الخلاف بين الملل؛ ويجب التعامل معه رغم رفضه - بمقاصد الرسالة، وهي حسن الخلق الذي هو الدين، فلا يُكره المخالف لترك ما هو عليه، وأمره إلى الله قال تعالى ﴿...إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٤) أما الذين استقاموا على صفة أديانهم فلهم أجرهم عند ربهم.. قال عزّ من قائل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥). فكتاب اليهود هو الألواح والتوراة الذي أنزله الله إلى رسوله موسى عليه السلام، وسمّاه كتاب موسى؛ وهو كتاب مقدس فمن ينكره فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله. قال تعالى ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾^(٦) وحكم التوراة أقره الله في رسالة محمد صلى الله عليه وآله في كتابه القرآن العظيم ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٢

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ١٢

وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾ وهذا هو الإسلام. ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

فكتاب النصراني هو إنجيل عيسى، وهو الذي أنزله الله إلى ابن مريم عليه السلام روح الله؛ وهو كتاب مقدس من عند الله فمن ينكره فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله وبارك عليه وآله، وهو الحق إن لم يصبه التحريف من جانبهم. ولهم اليوم كل الحق في التحاكم إليه، ولا يُطلب منهم تركه واعتناق غيره كما يظن بعض المسلمين من أمة محمد صلى الله وبارك عليه وآله الذين يتطرف بعضهم إلى القول بإجبار أهل الكتاب، لترك شرعتهم ومنهاجهم ليتبعوهم قال تعالى ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ...﴾ (٣) ولو صدقوا في التحاكم إليه دون تحريف منهم لبلغوا من الرقي درجة قال الله تعالى فيها ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ...﴾ (٤) ورغم أنهم حرفوا في الكتاب الذي أنزل إليهم فقد قال تعالى ﴿...مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٥) ولا يُعاب منهم اليوم إلا عدم إقامتهم التوراة والإنجيل دون تحريف؛ وليس اعتناقهم لليهودية والنصرانية! قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ (٦) وجاء ابن مريم مُصَدِّقًا لموسى عليه السلام وكتابه الإنجيل مُصَدِّقًا لتوراة موسى عليه السلام، لتأكيد وحدة الرسالة التي هي الإسلام.. قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾ (٧) وكتاب المسلمين هو قرآن

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٦

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٦

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٦

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٨

(٧) سورة الصف، الآية: ٦

محمد صلى الله عليه وآله أنزله الله إليه ﴿... مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾^(١) لهذا كان قول الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾^(٢) أي كل ما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم من الديانات هي رسالة واحدة هي: لا إله إلا الله وهي الإسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾^(٣) وحفظ الإسلام القداسة لدور العبادة في كل الملل ولم يفرق بينها. قال تعالى ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهَدَمْتُ صَوَامِعَ وَبِيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا...﴾^(٤) فواجب المسلم من أمة محمد صلى الله عليه وآله، أن يحترم كل دور العبادة من صوامع وكنائس ودير وبيع، وألا يقتل من شأنها بل يحافظ على قدسيته، كما يحافظ على قدسية المسجد. وإذا كان ﴿... وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥) فذلك يعني أن دينهم هو الإسلام لأن الله قبل منهم ما هم عليه - والله لا يقبل غير الإسلام - لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾^(٦) ولأن كل الرسل قد جاءوا بهذه الرسالة. قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٧) وهذا يؤكد شمول الرسالة المحمدية، وأنه لم يخرج أحد من الرسل والأنبياء جميعاً عن خط الرسالة المحمدية، ومن هنا جاءت وحدة الرسالة، فقد أخذ الله العهد على جميع الأنبياء - وذلك يشمل الرسل لأن كل رسول نبي - ليؤمنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وذلك يعني

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩

(٣) سورة النساء، الآيات: ١٥٠، ١٥١

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٠

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٢

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٥

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨١

الإلتزام به ونصرته على ما جاء به وأشهدهم على ذلك وشهد معهم سبحانه، فما من رسول جاء إلا جاء بما صدقه عليه محمد صلى الله وبارك عليه وآله لذلك وجب الإيمان بكل الرسل وما جاءوا به. وما خرج أحد منهم عن الإسلام، الذي هو الدين عند الله، وهو الذي أخذ عليه الله ميثاق الأنبياء والمرسلين إيماناً بمحمد صلى الله وبارك عليه وآله، فمن ينكر شيئاً من الديانات السابقة فقد أنكر تصديق النبي لها صلى الله وبارك عليه وآله.

العبادة

إذا كان طلبُ الحقِّ من عباده هو عبادته، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) أي ليعرفون فذلك يعني إتباع رسله ليعلموا ما يريده منهم في كل مناحي الحياة.. قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾^(٢) وهذا مراد الله من عباده الذي كلف به رسله أجمعين ﴿...لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾^(٣) وأيدهم بالبيّنات حتى يعرفهم الناس ويمتازوا عنهم بعلاقتهم مع الله، وأنزل معهم الكتاب لتوضيح الشرائع، والميزان لوزن كل الأمور والانضباط في التعامل فلا تكال الأمور بمكيالين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٤) فالرسول هو المعلم لمُرَادِ الله من خلقه في كيفية هذه العبادة. وقد بين الرسول صلى الله عليه وآله للناس ما يُراد منهم، فقال لهم "الدين حُسن الخلق" فلا يذهب أحدٌ بعد ذلك للقول بأن الدين أو الرسالة هي مطالبة الله لعباده بالعصمة من الذنوب، فقال من يُبَلِّغ عن الله وما ينطق عن الهوى "لو لم تُذنبوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ"^(٥) والله جل جلاله قال في مُحْكَم تنزيله ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٦) فالرسالة التي جاء بها كل نبي مرسل من الله توضح أن هناك أعمالاً طالحة تُسمّى الذنوب والسيئات، ويُعاقبُ فاعلُها الملكُ الحاكمُ عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة، ولكنّه ربما عفا عن مُرتكبها، لأنّه وصف نفسه بأنّه غَفَّارٌ رءوفٌ رحيمٌ عَفُوٌّ يغفر الذنوب جميعاً، وإن لم يغفر الله له وأدخله النار فقد

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥

(٤) سورة المطففين، الآيات: ٣-١

(٥) صحيح مسلم

(٦) سورة الزمر، الآية: ٥٣

يُدرّكه النبي صلى الله وبارك عليه وآله بشفاعته التي جُعِلَتْ لأصحاب الكبائر من أمته ويحول بينه وبين العذاب؛ قال صلى الله وبارك عليه وآله "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" ^(١) وهناك أعمال صالحة تُسمّى الحسنات، ويُكَافَأُ صاحبها من قِبَلِ الملك الحكم العدل في الآخرة، وله الكرامة في هذه الدار. وتوضّح الرسالة كذلك أن المطلوب من العباد، حُسْنُ السلوك والأعمال الصالحة. حتى يكونوا من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. وقد بينت الشرائع أساس التعامل بين الناس الذي يرضى الله به عن عباده، والذي به ينشأ المجتمع الصالح. وأجملها في كتابه المنزل على رسله. فالذين يعملون بها ويتبعون هدي الرسول، هم أعبد الناس. ومن العبادة التي مدح الله بها فاعليها ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ^(٢) البعد عن التكبر، وصرف النظر عن الجاهلين، والسجود والقيام لربهم، ودعائهم له ليصرف عنهم عذاب جهنم، وإنفاقهم بغير إسراف، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، والبعد عن الزنا، وعدم شهادة الزور، وترك اللغو في الحديث، واحترامهم لآيات الله، ودعائهم الله لإصلاح الأزواج والذرية، وطمعهم في إمامة المتقين. فوعدهم بحسن الخاتمة والخلود في نعيم الآخرة ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ^(٣) وقال تعالى في وصف أفراد المجتمع الصالح:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ *

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمِ الدِّينِ﴾ *

وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ *

(١) صحيح ابن حبان

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٧٥، ٧٦

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مُلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *

وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ *

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ *

أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ ﴿١﴾

وهذا هو مقصد الرسالة.. خلق مجتمع فاضل تسود فيه محاسن الأخلاق والمحبّة والسلام، قال صلى الله وبارك عليه وآله "تبسمك في وجه أخيك صدقة" ^(٢) "والكلمة الطيبة صدقة" ^(٣) وقال صلى الله وبارك عليه وآله "الصدقة تطفئ غضب الرب" ^(٤) وقال عزّ من قائل ﴿إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ^(٥) فجعل الصدقة من عباده ديناً وقرضاً حسناً يضاعف لهم عند المكافأة عليه ولهم فوق ذلك أجر كريم. وليس مقصد الرسالة هو مطالبة الناس بالعصمة من الذنوب، ونبذ المذنبين وتحقيرهم والتشهير بهم وفضحهم، فإن السّتر من مقاصد الإسلام و"من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" ^(٦) حتى لو رأى أحد بعيني رأسه رجلاً ينجح امرأة ليست زوجته يُجلد ثمانين جلدة لو تكلم بذلك إن لم يكن معه ثلاث شهود ولا تقبل شهادته بعد ذلك إلا بعد التوبة. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٧)

(١) سورة المعارج، الآيات: ٢٣-٢٥

(٢) مسند البزار

(٣) صحيح البخاري

(٤) مجمع الزوائد

(٥) سورة الحديد، الآية: ١٨

(٦) صحيح مسلم

(٧) سورة النور، الآية: ٤

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١). ولقد شدد الدين في حق المرأة تشديداً لا يضاهيه مثله في التشريع فلعن الله من يتكلمون بسوء عن النساء في الدنيا والآخرة ووعدهم بالعذاب العظيم وهنا يكمن سر انضباط المجتمع. أما الذين يظنون أن انضباط المجتمع يكون بالتجسس على زلات الناس، وتتبع عوراتهم وكشفها، ومعاقتهم عليها بعد فضحهم، فليعلموا أن ذلك ليس هو الإسلام، وسمّه ما شئت. أما الإسلام فقد جعل انضباط المجتمع في الستر وغض الطرف عن الزلات، وزجر من يتتبع عورات الناس ومعاقبته. فقد جاء مرة رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وبارك عليه وآله باكياً على أخلاق الناس، ظاناً أنه حريص على انضباط المجتمع وقال له "رأيت رجلاً مع امرأة يا رسول الله" فوبخه النبي صلى الله عليه وبارك عليه وآله وزجره بلطف قائلاً "كان أولى لك أن تسترهما بثوبك" وهو صلى الله عليه وبارك عليه وآله أحرص الناس على الناس ومجتمعهم بشهادة الله له بذلك ﴿... حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ...﴾^(٢) ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾^(٣) وقال صلى الله عليه وبارك عليه وآله "استوصوا بالنساء خيراً"^(٤) وقال "ما أكرم النساء إلا كريم"^(٥) وقال "خياركم خياركم لنسائهم..^(٦) قال تعالى ﴿... وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لَتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ...﴾^(٧) ثم جعل "الجنة تحت أقدام الأمهات"^(٨) تعريفاً بحق المرأة ﴿... حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا...﴾^(٩) ولا يستقيم أن يُنسب إلى من قال "حُبب إليّ من دنياكم النساء"^(١٠) القول أن أكثر أهل النار النساء!! وقال صلى الله عليه وبارك عليه وآله "النساء شقائق الرجال"^(١١).

(١) سورة النور، الآية: ٢٣

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦

(٤) صحيح مسلم

(٥) كشف الخفاء

(٦) سنن الترمذي

(٧) سورة الطلاق، الآية: ٦

(٨) مسند الشهاب

(٩) سورة الأحقاف، الآية: ١٥

(١٠) سنن البيهقي الكبرى

(١١) سنن الترمذي

وإذا كان المقصد من العبادة هو نجاة العباد وسعادتهم في الحياة الأبدية فإن الذين يؤمنون بالرسول هم أحرص الناس على ما جاءوا به. ولكن من الناس من حُجِمَ العبادة واقتصروا على الصلاة والتلاوة والقيام، كأن هذا هو كل المقصود بالعبادة حتى يكون الرجل صالحاً لمجتمع صالح. بينما العبادة تشمل كل سلوك الإنسان وتصرفاته ليكون الرجل صالحاً لمجتمع صالح. فالدين المعاملة. وقد يكون الكف عن أذى الآخرين عملاً كافياً ليوصف به الإنسان أنه مسلم صالح في المجتمع "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" ^(١) والمسلمون تشمل كل المسلمين في كل الملل مسيحية ويهودية وغيرها. قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٢). فهذا مجرد غض الصوت فيه أجر عظيم. قال تعالى ﴿...وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ ^(٣).

وأفضل الأعمال هو ما كان في سبيل الله. وسبيل الله في كل الأديان بالتحديد هو: "مطلوب الحق من الإنسان". وهو ما دعت إليه الرسل. والجهاد في سبيل الله هو توجه الإنسان وفعله واجتهاده لمطلوب الحق منه. ولا يشترط فيه الحرب والقتال. فالذي يصبر على تمسكه بما جاءت به الرسل وجاهد نفسه على ذلك حتى يضطر للخروج من دياره يعد مجاهداً في سبيل الله بماله ونفسه. ولا يوصف خروجه هذا بغير الجهاد في سبيل الله. قال تعالى ﴿... إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي...﴾ ^(٤) فالخروج قد لا يكون جهاداً في سبيل الله، وقد يكون جهاداً. وهو قطعاً لا يعني القتال هنا. والجهاد هو سنام وذروة العمل كما جاء في الحديث، وأعظمه جهاد النفس الذي وصفه النبي صلى الله عليه وآله بالجهاد الأكبر. ومن مات في سبيل الله ولو على فراشه مات شهيداً دون قتال، قال صلى الله عليه وآله "أكثر شهداء أمتي أصحاب الفراش ورب قتيل بين الصفيين الله أعلم بنيته" ^(٥).

(١) صحيح البخاري

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٣

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٩

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١

(٥) مسند أحمد

أسلوب الدعوة

إن الذين يزجرون أصحاب المعاصي بمواعظهم القاسية هم الأحوج إلى الموعظة، فالنبي صلى الله عليه وآله قال "يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا"^(١) وقال "حَبَّبُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى النَّاسِ وَحَبَّبُوا النَّاسَ إِلَى اللَّهِ يُحِبِّبَهُمُ اللَّهُ"^(٢).. لَأَنَّ أصحاب الزلل يحتاجون إلى الأخذ بأيديهم وتذكيرهم بفضل الله عليهم، وأن الله لم يطلب منهم العصمة قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣) بل عليهم الاستغفار عند حدوث الزلل؛ وهذا هو الدلالة على حُسْن الخلق. فالزجر والمواظ على القاسية، لا تخلق المجتمع الفاضل الخالي من الذنوب، لاستحالته ما بقي الإنسان إنساناً. قال صلى الله عليه وآله "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"^(٤) فالأولى بدل الزجر والموعظة القاسية، الحث على صالح الأعمال. فمن صلح عمله قلت زلته وحسنت أخلاقه. ولا يتأتى حُسْن الخلق إلا إذا آمن الإنسان بالغيب بوجود الإله جل وعلا، فإذا تم له ذلك من قِبَل المعلم صلى الله عليه وآله عليه وآله أصبح مؤمناً بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله فيما يقول ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٥) فيجد نفسه مُتَقَبِّلاً لما يقوله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، فيسمع منه أَنَّهُ بُعِثَ لِلنَّاسِ كَافَّةً وَأَنَّهُ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَمُذَكِّرٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطَرٍّ، وما عليه إلا البلاغ والحاكم والملك هو الله. فما على الإنسان إلا أن يتعامل مع عَظْمَةِ الحاكم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. فكيف يكون تعامل وسلوك الإنسان بعد إدراك هذه الحقيقة؟ لا شك أَنَّهُ سَيُظَلُّ مُرَاقِباً في كل عمله الملك الحكم العدل عَزَّ وَجَلَّ وينتظر أن يثقل ميزانه يوم الحساب فتكون معاملته كلها دين ويصح عنده حديث

(١) صحيح البخاري

(٢) حلية الأولياء

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٤) المستدرک علی الصحیحین

(٥) سورة النجم، الآية: ٣

المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله "الدين المعاملة" ويظل مُراقِباً الله في كل أعماله وحركاته وسكونه، يطلب رضا الملك الحق؛ فيسعى للنبي صلى الله وبارك عليه وآله ليتعلم منه ما يُرضي هذا الملك العظيم فيتناغم سعيه وسلوكه مع قول الحق تعالى ﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^(١) فيسمع من المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله "إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(٢) ويتضح له أن هذا هو مقصد الرسالة وليس أن يعتكف على الصيام والقيام والرياضة ليصبح من أرباب خرق العوائد كالمشي على الماء والطيران في الهواء والمشي على النار كما يفعل الهندوس وأصحاب اليوغا والبوذيون. ومن يصل بكثرة الصوم والرياضة إلى خرق العوائد ويظن أن ذلك هو مقصد الرسالة فقد ضل. لأن المقصود حسن التعامل وليس خرق العادة الذي لا تصح الدعوة به إلى خلق المجتمع الفاضل. وقد يصحبه العجب والغرور الذي هو أسوأ من الذنب. قال صلى الله وبارك عليه وآله "لو لم تكونوا تذنّبون لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب"^(٣)، وربما ظنّ صاحب خرق العادة أنه بما عنده من تصريف وخرق للعادة، قد أمن مكر الله فيكون قد خسر الدنيا والآخرة ﴿...فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤) والدعوة بخرق العادة والتصريف لا تأتي بنتائج لذلك مُنِعَتْ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾^(٥) وعلى الرغم من أن معجزات النبي صلى الله وبارك عليه وآله لا حصر لها، وفاقت كل ما اختصّ به الرسل السابقون - الذين كان منهم من أحيى الميت وخلق من الطين مخلوقاً يطير - فقد أعطي صلى الله وبارك عليه وآله معجزة الاختراع وهي ما لم تكن لنبي قبله، فقد أشبع من صاع شعير جيشاً كاملاً، وذلك يعني أنه قد حصلت بركة ونماء لهذا الصاع من الشعير ليصبح مكيالاً أو جوالاً حتى يشبع جيشاً، لأنه يستحيل أن يكفي صاع من شعير لإشباع أكثر من بضعة أشخاص. فالذي خلق من الطين كهيئة الطير، وهو عيسى عليه

(١) سورة الحشر، الآية: ٧

(٢) مسند أحمد

(٣) مجمع الزوائد

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٩

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٥٩

السلام، خلقه من مواد لم يخلقها هو، بل كانت موجودة من قبل أحسن الخالقين تبارك وتعالى وهي الماء والتراب. قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام ﴿... أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾^(١) أما إشباع ما يزيد على عشرة أشخاص، ناهيك عن إشباع جيش يزيد على الألف والآلاف، من صاع واحد من شعير ففيه استحالة، ولا يمكن القول بغير معجزة الاختراع للشعير الذي يكفي لذلك العدد. أما معجزات إرجاع العين المخلوعة واليد المقطوعة، ومعرفة من هو في النار ومن هو في الجنة، ومن يعيش حتى يرى كذا وكذا، ورد الشمس بعد أن غربت، وشق القمر وغيرها فكثير، ولكن رغم كل هذا فإن النبي صلى الله عليه وآله لم يُبعث بهذه الآيات. قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ...﴾^(٢) والنبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله يؤكد "إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(٣) ويقول "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"^(٤) ويقول "المؤمن من ائتمنه الناس"^(٥) ويقول "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"^(٦) ويقول نبذاً للعصبية "دعوها فإنها مُنتنة"^(٧) لأنه بوجود العصبية ينتفي وجود الأخوة في المجتمع. والإسلام - أي مقصد الرسالة أو الرسالات - هو وجود هذه الأخوة بين الناس فإن "المسلم أخو المسلم لا يسلّمه ولا يظلمه"^(٨) و"المسلمون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُه بالسهر والحمى"^(٩). ولا يغيب عنا أن النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله بُعث كافة للناس، فخطابه للمسلمين عامة في جميع الملل.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٩

(٣) مسند أحمد

(٤) صحيح البخاري

(٥) صحيح ابن حبان

(٦) صحيح مسلم

(٧) صحيح البخاري

(٨) صحيح البخاري

(٩) صحيح مسلم

كل رسل الله صلوات الله عليهم جاءوا لإصلاح البشرية، ولكن كان لا بد لكل رسول أن يُعرّف قومه بوجود الإله الواحد وهي دعوة الناس إلى التوحيد، وهي "لا إله إلا الله"، فإذا تمّ له ذلك تمت له طاعة الناس، وأسلموا له فصاروا مسلمين لأنهم يؤمنون بأنه رسول الله، فيأمرهم بما يُصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة.. قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(١). فقام رسل الله صلوات الله عليهم بهدي الناس إلى وجود الإله الواحد وهي لا إله إلا الله - وهذه وحدة الرسالة - وإلى فعل الخيرات لخلق المجتمع الصالح.

(١) سورة الأنبياء الآية: ٧٣

الإسلام

كُلُّ الرسل كما ذكرنا آنفاً جاءوا مرسلين من الله بالدين أي بالإسلام ﴿... لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾^(١) لقوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾^(٢) فكل أصحاب الديانات السماوية مسلمون، فإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)

ويؤكد أنصار عيسى عليه السلام بأنهم مسلمون

﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

ويقول نوح عليه السلام

﴿...إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤)

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٥)

ويأتي قول الله تعالى ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) على الرغم من أن اليهودية والمسيحية جاءت بعد إبراهيم عليه السلام. فالنفي لليهودية والنصرانية عنه عليه السلام كان سابقاً لهما؛ إذن لا

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٥

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩

(٣) سورة البقرة الآية: ١٣٢

(٤) سورة يونس الآية: ٧٢

(٥) سورة يونس الآية: ٨٤

(٦) سورة آل عمران الآية: ٦٧

يؤخذ من هذا النفي إلا منع الانغلاق على مذهبية ضيقة، ومنع تفرُّق الجمعية والوحدة الإنسانية في ظل الإسلام الكبير، الذي جاءت به كل الرسل بما فيهم أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ﴿... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١) فاليهودية والنصرانية والصابئة هي مُسمَّيات تحت مظلة الإسلام الواسع، وهي كالشيعة وأهل السُّنة في دين محمد صلى الله وبارك عليه وآله وكلهم مسلمون، والكاثوليك والبروتستانت في دين عيسى عليه السلام. فلا ينحصر الإسلام الواسع تحت اليهودية ولا تحت النصرانية ولا الصابئة، بمعنى أنه لا ينبغي لليهودي أن يقول إن الإسلام الواسع هو اليهودية، ولا يحقُّ للمسيحي أن يقول مثل ذلك ولكنهم فعلوا ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) وكلُّ تعصب لمُسمَّاه ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾^(٣) وذلك لتعصبهم لما هم عليه والتحجير على الله أن يرسل من يشاء من عباده لأمرهم ولرويتهم أنه لا يوجد دين مثل دينهم قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾^(٤) وذلك هو الغلو الذي يمنعهم من التعايش مع الملل الأخرى تحت مظلة الإسلام الكبير فجاء محمد صلى الله وبارك عليه وآله ليؤكد حرية الاعتقاد والدين ليوضح منهج الإسلام الواسع الذي يسع كل الملل دون تعصب كما يرى أهل الكتاب ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ...﴾^(٥) والأولى ألا يعيب اليهود المسيحية ولا يعيب المسيحيون اليهودية، وأن لا ينظر اليهود والنصارى نظرة الاستكبار وعدم الرضا إلى المسلمين من أمة محمد صلى الله وبارك عليه وآله، ولا يعيب المسلمون في ملة محمد صلى الله وبارك عليه وآله الأديان السابقة

(١) سورة الروم الآية: ٣٢-٣١

(٢) سورة البقرة الآية: ١٣٥

(٣) سورة البقرة الآية: ١٢٠

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧١

(٥) سورة البقرة الآية: ١١٣

اليهودية والمسيحية، وإلا أصبحوا مثلهم وينطبق عليهم قوله تعالى ﴿...كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ...﴾^(١) وذلك إذا قالوا ليست النصراني على شيء وليس اليهود على شيء؛ وهو الطعن في أديانهم المنزلة من عند الله التي هي الإسلام، لأن الله لم ينزل من عنده ديناً معيباً تعالى الله أن ينزل من عنده ديناً معيباً أو ناقصاً. فكل ما يصدر عنه تعالى هو عين الكمال. فله الكبرياء والحمد والثناء على ما أرسل من الرسل كلهم برسالة الإسلام الشاملة التامة الكاملة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢) وختمهم بحبيبه محمد صلى الله عليه وآله ليبين للناس كافة ما نزل إليهم ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٣) ﴿وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾^(٤) ويزيل الغبار عما علق بالأديان السابقة من تحريف الناس لها ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٥) حتى لا ينسب أحد نقصاً لدين الله المنزل لليهود والنصارى، فيجتريء على الله بذلك، ويعيب فعله. فجاء صلى الله عليه وآله برسالته ﴿...مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...﴾^(٦) ومزيلاً للتعصب الديني الموجود عند اليهود والنصارى، ورفض كل منهما لكل دين سوى دينه. وأسّس عدم الإكراه في الدين، وأقر كل الديانات السابقة المنزلة من الله. فمكّن لحرية العقيدة التي هي الإسلام لو نُظر إليها دون تعصب. فكل دين نزل من عند الله هو حق. قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ...﴾^(٧) وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ

(١) سورة البقرة الآية: ١١٣

(٢) سورة البقرة الآية: ١٣٦

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٥

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٦

الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا... ﴿١﴾. فأصحاب الديانات كلها في ظل الإسلام الواسع، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، هم طوائف تحت مظلته الواسعة الشاملة. ولهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون إذا وُجِدَتْ فيهم شروط الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، الذي هو حُسن الخلق فالدين المعاملة. ومعرفة أن كل ما جاء من عند الله من الديانات هو الإسلام، وكله حق تنفي تعصّب كل أمة لكتابها ودينها فتلك هي العصبية. وهي التي قال عنها النبي صلى الله عليه وآله "دعوها فإنها مُنتنة" ^(١)؛ وهذا هو الأساس للتسامح الديني الذي به يتم صالح الأخلاق بين الملل. ولقد أدى تعصب اليهود لدينهم فقد ما حباهم الله به من فضل في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالثُّبُوتَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ..... ﴿٢﴾ فرأوا في أنفسهم ودينهم ما جعلهم يرفضون غير ما هم عليه ويتعالون على الغير ﴿...فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ...﴾ ^(٤) وخلافهم هذا مرده إلى الله، فلا يُكره أحدٌ على اعتقاد، أو اعتناقٍ آخر ﴿...إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ^(٥).

وكذلك ظن كثير من العرب أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله نبيهم دون غيرهم. وبما أن رسالته صلى الله عليه وآله جاءت شاملة لكل الأديان السابقة ومهيمنة عليها، ظنوا أنهم بالتالي أفضل من الأمم السابقة وجاهلوا أنه لا فضل لهم بعروبتهم، بل الفضل لأمة محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله التي لا فضل فيها لعربي على عجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى كما بين ذلك جلياً رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله. وأخطأ أكثرهم في فهم قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ ^(٦) وظنوا أن أمة محمد هي العرب رغم أن النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤

(٢) صحيح البخاري

(٣) سورة الجاثية الآية ١٧-١٦

(٤) سورة الجاثية الآية ١٧

(٥) سورة الجاثية الآية ١٧

(٦) سورة آل عمران الآية ١١٠

وآله بَيْنَ بَجَلَاءِ عَدَمِ أَفْضَلِيَةِ الْعَرَبِ عَلَى غَيْرِهِمْ إِلَّا بِالتَّقْوَى. فَأَمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ الْأَجْنَاسِ وَفِي كُلِّ الْأَدْيَانِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ...﴾^(١) والعرب من حيث عنصرهم واليهود من حيث عنصرهم والمسيحيون من حيث عنصرهم كلهم لآدم وآدم من تراب، هكذا قال نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فَأَمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ لِأَنَّهَا تَشْمَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ الْأَدْيَانِ، فَجَاءَ كِتَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُصَدِّقاً شَامِلاً لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الرِّسَالَاتِ فَكَانَ مَهِيماً عَلَى الْكُلِّ وَأَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ﴿... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾^(٢) بِسَمَاحَتِهِ وَحُرِّيَّتِهِ لِلْفِكْرِ وَالْعَقِيدَةِ.

(٦) سورة سبأ الآية ٢٨

(٢) سورة التوبة الآية ٣٣

كيفية الدعوة

الدعوة إلى معرفة الله هي الأساس الذي ينطلق منه الرسل بعد ذلك لإنشاء المجتمع الصالح ذي الأخلاق الفاضلة. فمن بعد الإيمان بالله يكون الإيمان برسول الله ﷺ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ... ﴿١﴾ الذي يُشَرِّعُ عَنْ اللَّهِ فَيُطَاعُ ﴿٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴿٣﴾ فِيرْسِي تعاليم المجتمع التي ترقى به إلى فضائل الأخلاق.

قال الشاعر:

وعلموا النشء علما تستبين به

سبل الحياة وقبل العلم اخلاقا

وقال آخر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهب أخلاقهم ذهبوا

وتبدأ الأخلاق التي يدعو إليها الدين باحترام الإنسان الذي من أجله جاءت الرسالة، فَيُكْرَمُهُ خالقه ليكون نهج الرسول مُنْطَلِقاً من هذا التكريم؛ قال تعالى ﷻ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... ﴿٢﴾ ثُمَّ يُفَضِّلُهُ خالقه على كثيرٍ من خلقه ﷻ... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٤﴾ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَرَامَةُ الْإِنْسَانِ فيقول

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠

"الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله" ^(١) قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ^(٢) فيقول النبي صلى الله عليه وآله "لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى" ^(٣) والتقوى هي قمة الأخلاق الفاضلة فلا يوصف بها منافق ولا مجرم ولا فاسق ولا كذاب. بل من سلم الناس من آذاه، وفاض خيره عليهم وتعداه، وكرّس في الإصلاح مسعاه، وكان أسوته رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله. فأصلاح الإنسان هو الغاية "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" ^(٤) .. نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله إلى الكعبة وقال "ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم منك" ^(٥) فجاءت الرسل صلوات الله عليهم من عند الله بالرسالة لصياغة الإنسان حتى يصير عند الله أفضل من الكعبة والملائكة. قد يظن البعض أن للملائكة أفضلية على عيسى عليه السلام في قوله تعالى ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ...﴾ ^(٦) لكن قد يكون الأمر المقصود هنا ليس هو تفضيل الملائكة على روح الله عيسى ابن مريم عليه السلام، بل هو لتقرير العبودية فإن عيسى رغم أنه من أم فقط لن يستنكف أن يكون عبداً لله ولا الملائكة الذين ليس لهم أم ولا أب. فترقية الإنسان هي التي كانت من أجلها الرسالات. فكان النهج المحمدي في الدعوة إلى الله بأسلوب انتفت عنه الغلظة والفظاظة، فقد خلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله فاقداً لهما من طبعه؛ فكان أنموذج الكمالات الإلهية ﴿... وَسِرَاجًا مُنِيرٌ﴾ ^(٧) قال تعالى ﴿... وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾ ^(٨) وكان يؤمر

(١) المعجم الكبير

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣

(٣) مجمع الزوائد

(٤) صحيح البخاري

(٥) سنن ابن ماجه

(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٢

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩

بالغلظة إذا تطلَّبتْها موقف من المواقف لانعدامها في طبعه فيقال له ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾^(١) لهذا مدحه من خلقه بالخلق العظيم. والجهاد هنا هو بالكلمة القوية والحجة البالغة دون السيف لأن الأمر بجهاد الكفار والمنافقين معاً يستبعد الأمر بالحرب وذلك لأن المنافقين لا يُقاتلون لوجودهم في صفوف المسلمين ولاظهارهم الإسلام؛ قال صلى الله وبارك عليه وآله "في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط"^(٢) فجهادهم لا يكون إلا بغليظ القول والإنذار لأن الغلظة وصف للقول لا الحرب فيكون النبي صلى الله وبارك عليه وآله عليهم نذيراً لا بشيراً إلا بعداب ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٣) والإنذار يناسب الكفار والمنافقين معاً. والتبشير لمن آمن وإن زلت قدمه بذنب، ولو كان من الكبائر. ففي الحديث "من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد يتحقق عليه غفر له وإن لم يستغفر"^(٤) لأن أصحاب الخطايا أفضل من المنافقين. "قال النبي صلى الله عليه وسلم إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال أذنب ذنباً فقال رب أذنبت وربما قال أصبت فاغفر لي فقال ربه أَعْلَمَ عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال أَعْلَمَ عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً وربما قال أصاب ذنباً قال رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لي فقال أَعْلَمَ عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء."^(٥) والجهاد بالكلمة أقوى من الجهاد بالسيف لدوام تأثير الكلمة عند المخاطب وقد يكون وقعها عليه أبلغ من وقوع السيف لأن وقع السيف ينهي الحياة والكلمة تستمر ما استمرت الحياة. ولم يُعمل السيف والحروب لإكراه الناس على الإسلام في عهد النبي صلى الله وبارك عليه وآله، فغزوة بدر كان القصد منها غير قریش لردِّ حقوق المهاجرين الذين

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣

(٢) صحيح مسلم

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٨

(٤) صحيح البخاري

(٥) صحيح البخاري

أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغِيرَ حَقٍّ، وَلَكِنْ قَرِيشٌ هِيَ الَّتِي أَصْرَّتْ عَلَى الْحَرْبِ بَعْدَ نَجَاةِ الْعِيرِ وَأَرَادُوا إِظْهَارَ قُوَّتِهِمْ وَإِذْلَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي دِيَارِهِمْ؛ وَغَزْوَةُ أَحَدٍ كَانَتْ دِفَاعاً عَنِ الْمَدِينَةِ الَّتِي جَاءَهَا الْغَزَاةُ الْمُشْرِكُونَ مَهَاجِمُونَ؛ وَغَزْوَةُ الْأَحْزَابِ كَانَتْ هُجُوماً مِنَ الْأَعْدَاءِ عَلَى الْمَدِينَةِ فَدَافَعَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أما فتح مكة فلم يكن حرباً بالمعنى المعروف، فلم يُقتل أحد فيها أو يؤسر، بل قال النبي صلى الله عليه وآله "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد" ^(١) وذلك لأنه قتل بعضاً من المشركين وجدهم في طريقه بمكة بصفته أحد قادة جيش الفتح. ولم تُسبب فيها النساء ولم تؤخذ فيها غنائم ولم يُنصب النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله والياً عليها لجباية الخراج، وفوق ذلك كله، لم يأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله على قول لا إله إلا الله، ولم يُجبر فيها أحداً على ذلك!!! فحروب النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله كانت دفاعية ولم تكن قط عدوانية، لأنَّ الله لا يحب المعتدين ولو بقصد نشر الدعوة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ ^(٢) ﴿...أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣) وإلا لكان أول ما يطلبه من أهل مكة هو قول لا إله إلا الله بعد فتحها. فما يُنسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله من حديث "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" ^(٤) يتعارض مع هذا النهج المحمدي ويضاد قول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ ^(٥) ويستحيل أن يجيء حديث من المعصوم يعارض كتاب الله، ولا عبرة للمصدر الذي ورد فيه الحديث لأنه غير معصوم. وقال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ ^(٦) لأنَّ نشر الدعوة في غير المسلمين هو بالحكمة والموعظة

(١) السيرة النبوية

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٩

(٤) صحيح مسلم

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦

الحَسَنَة. أما بين المسلمين، فالدعوة هي تقويم السلوك؛ وإذا كانت الموعظة غير الحسنة منهي عنها في الدعوة إلى سبيل الله بالنسبة لغير المسلمين، فهي بالنسبة للمسلمين في كل الأديان في حكم الممنوع و"كفى بالموت واعظاً"، فأسلوب الدعوة حدده الله في كتابه وبيّنه الرسول صلى الله وبارك عليه وآله في حديثه ولا يحق لأحد أن يخرج عن هذا النهج. قال صلى الله وبارك عليه وآله "حَبَّبُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى النَّاسِ وَحَبَّبُوا النَّاسَ إِلَى اللَّهِ يُحِبِّبَكُمُ اللَّهُ" ^(١). وقال "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا". ولم يكن العنف قط من أساليب نشر الدعوة. ووَضَحَ ذلك جلياً في فتح مكة. فقد كان القصد منها كسر شوكة الرؤساء، الذين يعترضون على التبشير بسماحة الإسلام، ويمنعون حرية الفكر، وتضييق صدورهم لفتح مجال للغير لطرح ما عندهم من قيم وأفكار طالما لم تتفق مع ما عندهم. قال تعالى ﴿فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أِيْمَانَ لَهُمْ﴾ ^(٢) لأنهم هم الذين يؤثرون على شعوبهم ويمنعونهم من سماع الرأي الآخر، ويصادرون حرية الفكر، فلم يكن فتح مكة لفرض رأي أو دين!! بل كان لإزالة ما كان موجوداً من مصادرة حرية الاعتقاد والفكر المغاير ومحاربته بطريق العنف. فكان فتح مكة أنموذجاً للحرب في الإسلام.. لا لفرض الدين، فلم يطلب الرسول صلى الله وبارك عليه وآله من أهلها بعد فتحها حتى قول لا إله إلا الله، بل تركهم طلقاء دون إجبار على فكر أو دين!! وما كان ليحاربهم صلى الله وبارك عليه وآله لو أنهم سمحوا بحرية الرأي ولم ينقضوا العهد وتركوا الناس وشأنهم ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ^(٣) لأن هذا هو ما جاءت به الرسالة، فجاء الإنكار الحاد على الحكام الطغاة ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾ ^(٤) وكان الطغيان سبباً لإرسال موسى عليه السلام لفرعون ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ^(٥) ولم تكن الحروب من أسلوب الدعوة قط. ولم يحدث قتال في فتح مكة. ولو فُرضت الحرب على

(١) حلية الأولياء

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٩

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٢

(٥) سورة طه، الآية: ٢٤

المسلمين فعليهم الاستجابة لطلب العدو إن جنح للسلم، وإن بدا لهم أن النصر حليفهم ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا...﴾^(١) بل ذهب إلى حسن التعامل مع الأعداء الذين لم يبدروا قتال قال تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦١

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٨

التشريع

إن الشرائع عموماً هي لتنظيم العلاقات الاجتماعية وضبط المعاملات، والشريعة المحمدية جاءت شاملة لما في التوراة من أحكام ولما في الإنجيل من تسامح.. قال تعالى ﴿... مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(١) فالتشريع الإسلامي أو الشريعة الإسلامية أو الرسالة المحمدية هدفها تهذيب الإنسان ونقله من الحياة الجاهلية إلى السمو الأخلاقي الذي على قمته يتربع من مدحه خالقه جلّ وعلا ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٢)، فيظل هو المنبع والمعلم لهذه الرسالة بل لكل الرسائل التي هي الدين عند الله ومنه تعاليمها وأسلوب نشرها وكيفية، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ...﴾^(٣).

فبدأ بالأسرة كنواة للمجتمع ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾^(٤) فحدد الله سبحانه كيفية التعامل مع الوالدين ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفُ﴾^(٥) وهي أقل كلمة يمكن أن يتلفظ بها الإنسان، وذلك لتبيين حرمتها ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ وذلك يشمل رفع الصوت، وأوجب الدعاء لهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا...﴾ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٦).

ويجئ الاهتمام بالأسرة بعد أن يتم الإيمان بالله ورسوله مباشرة

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٨

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٨

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٥

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٣

(٦) سورة الإسراء، الآيات: ٢٣، ٢٤

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١)

ويحث بعد الوالدين على الإحسان والاهتمام كذلك ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٢) فأمر سبحانه وتعالى بالإحسان إلى هؤلاء ومن لا يستجيب لأمر الله في تعامله بالإحسان معهم فقد قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(٣) فالذي يأبى أن يظهر فضل الله عليه ويكتم ما آتاه الله من النعم فهو الجاحد الكافر بنعمة الله ﴿... وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾^(٤).

ورغم التحذير من البخل فإنه يحذر كذلك من التبذير قال تعالى ﴿... وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا^(٥).

ثم يحذر من قتل الأولاد خشية الفقر ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(٦) وهو الاهتمام بالطفولة.

ويستمر وضع نظم قواعد المجتمع للانضباط ﴿... وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ...﴾^(٧).

ثم يشدد المشرع على المحافظة على حياة الإنسان ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٨) فإنه من قتل نفس بغير حق كأنما قتل الناس جميعاً لحرمتها عند الله قال

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦، ٣٧

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٧

(٥) سورة الإسراء، الآيات: ٢٦، ٢٧

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥١

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٥١

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٥١

تعالى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (١).

وشدد على حسن التصرف في أموال الأيتام والقُصَّر ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٢)

ثم يبين كيفية التعامل التجاري ﴿... وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ (٣).

ثم تحري الصدق في القول ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٤) فالصدق في القول لا يتوقع غيره من المسلم. فقد سئل النبي صلى الله عليه وآله أيكذب المؤمن قال: "لا، إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون" وقال تعالى ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٥).

فالفداء بالعهد ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٦).

ويطلب المشرع تحري الدقة في التعامل مع الاخبار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٧).

ويأمر الشارع بالسعي في الصلح بين المتخاصمين، وإن دعا الحال إلى مساعدة أحد الأطراف ولو بقتال إن كان معتدي عليه ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) والعدل هو غاية الصلح

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢

(٥) سورة الانشقاق، الآية: ٢٢

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢

(٧) سورة الحجرات، الآية: ٦

(٨) سورة الحجرات، الآية: ٩

وحد الخصام في الإسلام. وأمر الله بالعدل في كل الظروف والأحوال قال تعالى ﴿... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمَ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا...﴾ (١)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ (٣)

﴿... وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...﴾ (٣)

﴿... وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ (٣)

﴿... وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾ (٥)

﴿... وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾ (٦)

﴿... وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٦)

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٧)

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٨)

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (٩)

﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٩)

(١) سورة المائدة، الآية: ٨

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١١

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١١

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٢

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٢

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٣٦

(٨) سورة الإسراء، الآية: ٣٧

(٩) سورة الشعراء، الآية: ١٨٣

وهذه التشريعات في الرسالة المحمدية شاملة لكل الرسالات، فقد قال صلى الله وبارك عليه وآله "أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِي بَابُهَا"^(١) لذلك لَا يُتَصَوَّرُ من مؤمن برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في تصرفه جفاء لمعتقي الديانات الأخرى. وقد يرى من بعض المسلمين من أمة محمد صلى الله وبارك عليه وآله شدة في الجفاء لأصحاب الديانات الأخرى، تمتد أحياناً لرسلهم حتى أنه يلاحظ عند بعضهم سلوكاً ينقصه الأدب في حق عيسى روح الله عليه السلام، وربما يتعاملون مع من يُعَظِّمُهُ بأسلوب عدائي كأنما خرج عن ملة محمد صلى الله وبارك عليه وآله. بينما الديانات التي أنزلها الله عز وجل، تعالى الله عن أن ينزلها من عنده معيبة أو بها نقص ليتداركه سبحانه في الديانة التي تليها؛ فكل دين أنزله الله من عنده هو الإسلام الذي جاءت به كل الرسل ﴿لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾^(٢) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٣) ولذلك ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤) ولكن بعض أتباع أولئك الرسل في تلك الديانات حرّفوا الكلام عن مواضعه وغيروا حسب أهوائهم وهذا هو المرفوض مما علّق بتلك الديانات. والمسلمون من أمة محمد صلى الله وبارك عليه وآله قد تنبأ لهم مَنْ لَا يَنْطِقُ عن الهوى قائلاً "لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى وَلَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبِّ تَبَعْتُمُوهُمْ"^(٥) أي أنهم سيحرّفون كذلك في دين محمد صلى الله وبارك عليه وآله كما فعل الذين من قبلهم وقد فعلوا. لذلك يجب ألا يكون في صدرك حرج أيها المسلم من إظهار تقديسك واحترامك لعيسى روح الله عليه السلام رغم ما يقوله عنك جهلاء المسلمين وأدعياء العلم الذين يظنون أن أتباعهم لمحمد صلى الله وبارك عليه وآله يوجب عليهم كراهية غيره من الأنبياء بينما الواجب عليهم تقديسهم واحترامهم، وإلا

(١) المستدرك على الصحيحين

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٢

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩

(٥) صحيح البخاري

فيخشى عليك من أن تكون من الذين لا يؤمنون به عند ظهوره لحكم الدنيا، إن قدر لك أن تحضر زمن ظهوره الذي ينكره بعض المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله وبعضهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١) ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ (٢) فكيف حالك إذا وجدت أهل الكتاب وقد سبقوك إلى الإيمان به؟ وأنت الذي أخبرك من لا ينطق عن الهوى بظهوره حكماً عدلاً آخر الزمان! ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣) وقال عز من قائل ﴿وَالَّذِينَ آمَنَّا هُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ (٤) فلا تضع نفسك مع الأحزاب فتكون من المنكرين. والتقليل من شأن الرسالات السابقة تقليل من شأن الرسل الذين جاءوا بها. وليس ذلك من حسن الخلق حتى لو لم يكن ذلك كفراً في شريعة محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، والطاعن في الرسالات السابقة يطعن في صدق محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله لأنه جاء ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (٥) ﴿...ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ...﴾ (٦) فالتصديق بالرسالات السابقة هو تصديق للنبي محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله ويجب عدم التقليل من شأنها إلا ما حُرِّفَ منها ﴿...وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ...﴾ (٧).

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٩

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٦١

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٦

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٨

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨١

(٧) سورة النحل، الآية: ٩

مراجعات

الجزء الأول

الدعوة إلى الله

أحابي

لم يأخذ الكثيرون من الدين إلا الموعظة، وأكثر الدعاة اتخذوها طريقاً للدعوة إلى الله واختاروا منها أغلظها، تلك التي تقضي إلى اليأس والقنوط، وتجّر الناس إلى المهالك، بينما الله جل شأنه في علاه، قد بين لرسوله الأعظم محمد بن عبد الله كيفية الدعوة إلى سبيله إذ قال جلّ وعلا :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١).

واشترط في الموعظة أن تكون بعد استعمال الحكمة، وأن تكون حسنة هذا لغير المسلمين، أما للمسلمين فقد قال الحبيب صلى الله عليه وآله "حببوا الناس في الله يحببكم الله". وقال: "بَشَرُوا وَلَا تَنْفَرُوا وَيَسَّرُوا وَلَا تَعْسَرُوا"^(٢). وورد في حديث شريف أنه "ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما". ولذلك كان سبيل الدعوة للمسلمين غير ذلك الذي لغيرهم. وكادت أن تكون الموعظة للمسلمين في حكم الممنوع. جاء في الحديث القدسي عن النبي فيما يرويه عن ربه جل وعلا: "يا عيسى عظم نفسك قبل أن تعظم الناس". وقال الحبيب صلى الله عليه وآله: "كفى بالموت واعظاً". فإن الله لم يطالبنا بالعصمة بل أمرنا بالاستغفار بعد حدوث الزلل لعلمه تعالى بنا كما قال: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٣). وقال صلى الله عليه وآله: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"^(٤).

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) صحيح مسلم

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٨

(٤) مسلم

وللعارفين تبيان للراغبين في معرفة مدارج السالكين. فالخوف مقام من أعلى المقامات، ومن خاف الله لا يخشى سواه. ومن خاف الله خافه كل شيء وصغر في عينه كل شيء، ومن رضي بمقام الخوف هذا واكتفى به ووقف عنده حجب عما فوقه وأعطى ما يرضيه ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ^(١). ومن كان له شيخ خبير في عيوب النفس نقله إلى أعلى وخوفه من الخوف، لأن من تخافه تتحاشاه وتبتعد عن حماه ولا ترغب في لقياه. والقلب هو بيت الرب، ولا يجتمع الخوف والحب لواحد في قلب واحد. فالخوف يبعدك والحب يدنيك. فاهرب من الخوف إلى الحب، وأحب وتحب وفرغ قلبك للمحبوب عما سواه، حتى لا تحس بغيره في حناياك. ثم انظر كيف أنت منه وكيف هو منك واغرق نفسك في بساط الأنس مع الحبيب حتى تغيب، وليكن من نفسك عليك رقيب "فالأدب الحضرة تمليه".

ثم يجيء الخوف العالي مرة أخرى. لا الخوف من إرهاب وإكراه وعقاب وسطوة وجحيم، بل الخوف من أن تزل قدمك وأنت في بساط الأنس، الخوف من أن تأتي بفعل لا يحبه المحبوب فيكون عدم الوصل، ويكون الهجران والحجاب ولا حول ولا قوة إلا بالله:

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ^(٢) ... هذا هو خوف العارفين وهو في قلوبهم ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿ ^(٣) .

وقد يفعل بالعارفين، أي يحجب عنهم، لتمحيص جبهم ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ^(٤) فمن ثبت أعيد لقرب أكثر مع الدلال ومن التفت دخل في قوله تعالى ﴿... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ﴾ ^(٥)، ولذلك يقولون:

(١) سورة الرحمن، الآية: ٤٦

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦

(٣) سورة الهمزة، الآيات: ٦، ٧، ٨

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤١

(٥) سورة غافر، الآية: ٧٨

لا تحجبوا عني لتشويقي لكم

فالشوق فيكم لا يطاق تحملاً

وقال آخروي قصد "مالك خازن النار":

ولو أن مالك عالم بجوى الهوى

ومحله من أكبد العشاق

ما عذب العشاق إلا بالهوى

وإن استغاثوا أغاثهم بفراق

قال بعضهم: لا يعدّ العارف عارفاً إلا إذا أخذ أربع صفات من الكلب: الإخلاص لسيده، وإن حرمه وأجاعه وعطشه، ملازمة باب سيده وإن طرده، الدفاع عنه في وجه الغير بغض النظر عن موقعه عند سيده، ولا يرجو عوضاً عن عمله.

وقالوا بأنّ الذي يعمل ليعطى الحسنات فذلك كالأجير، والأجير يحاسب على عمله وإتقانه، وما أصعب الحساب وأقساه لأنّه "من حوسب هلك" ولأنّ الناقد بصير. فإذا صح العمل أعطي أجره وانصرف، حتى ولو كان من الذين ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ...﴾^(١). وأما العبد المحض فهو يعمل ولا يرجو أجراً، بل يلزم الباب ومتى أذن له دخل وبعد الدخول المساررة، وبعد المساررة الوصل وهو الفناء في المحبوب والغيبة فيه في لذة لا توصف.

قال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي:

ليس من لُوح بالوصل له

كالذي سير به حتى وصل

(١) سورة القصص، الآية: ٥٤

لا ولا الواصل عندي

كالذي طرق الباب وللدار دخل

لا ولا الداخـل عندي

كالذي سارروه وهو للسر محل

لا ولا مـن سارروه

كالذي صار إياهم فدع عنك العـلـل

فمحوه عنه فانمحي

ثم لمّا أثبتوه لم يزل

ذاك شيءٌ علق القلب به

لو تبدى منه للخلق قتل

ذكر الله

أحبابي

أحمد إليكم الله الذي يذكر محمدًا صلى الله وبارك عليه وآله دون انقطاع بينما ذكره لغيره عند ذكره له لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...﴾^(١) لَأَنَّ الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله لا يسع قلبه غير الله، ولا يغفل عن ذكره، فهو الذاكر المذكور. اللهم صلي على سيدنا محمد الذي وسعك قلبه الشريف وعلى آله وبارك... ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن". فَإِنَّ العبد إذا أصبح هو "العبد المؤمن" فقد صار اسماً من أسماء الله تعالى "المؤمن". ثم تتعلّق به بقية الأسماء فيتخلّق بأخلاق الله، ويطرّق في مراتب الأسماء حتى يصير الله تعالى سمعه وبصره ويده...، فَإِنَّ دُعِي بعد ذلك فقد دُعِي الله باسمه الجامع الأعظم وإن بويح له فقد بويح للاسم الأعظم الدال على ذات الله، فالله اسم علم يدل على الذات. "خياركم الذين إذا رُؤُوا ذكر الله" كما جاء في ابن ماجة ومسند أحمد بن حنبل.

فرويتهم تذکر بالاله

وهم في الخلق أنوار الجلال

ولا يصير العبد مؤمناً حتى يكون محمد صلى الله وبارك عليه وآله أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين، وعترته أحب إليه من عترته كما جاء في كتاب إحياء الميت للسيوطي عنه صلى الله وبارك عليه وآله "لا يؤمن أحدكم حتى تكون نفسي أحب إليه من نفسه وعترتي أحب إليه من عترته".

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢

ولا يتم الترقى للعبد المؤمن إلى هذا المقام أي التدرج في الأسماء الإلهية من "المؤمن" إلى الاسم الأعظم الجامع إلا إذا أحبه الله. وحبّ الله لا يكون ولا يتم للعبد إلا باتباع محمد صلى الله عليه وآله وبارك. ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾^(١). والاتباع من تبعات الحب ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره. فالمتبع لا يغفل عن ذكر المتبوع المحبوب، ولا يبلغ العبد ذلك المقام - أي مقام الاسم الأعظم - إلا إذا تقرب إلى الله بأحب ما افترضه عليه. والفرائض كالصوم والصلاة والحج تحتاج إلى النية في الوقت الخاص، وإلى الطهارة والإخلاص، والإتقان في الأداء ومراقبة الأنفاس، وبعد هذا كله فهي بين الرد والقبول عند ملك الناس. أما الفرض الذي لا يُرد، والذي هو مقبول كيفما ورد فهو التخلق بأخلاق الواحد الأحد، وهو الصلاة على النبي الأمجد. فإنّ الله عز وجل يصلي على محمد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

فالذي يصلي على النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يكفى همه ويغفر ذنبه لأنه هو العامل بالقرآن، وهو الذي يذكره الله ويصلي عليه أضعاف ذكره: "من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً"^(٣). والمصلي على النبي هو أيضاً المتخلق بأخلاق الله لأنّ الله جل ذكره يصلي على النبي هو وملائكته. والصلاة على النبي هي ذكر الله للنبي: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...﴾ وهي أفضل من جميع الأذكار لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٤) كما جاء في التفسير. فهي ذكر الله وبقيّة الأذكار هي ذكرك لله. والصلاة على النبي لا تحتاج إلى الطهارة ولا إلى النية ولا إلى الإخلاص ولا إلى وقت خاص ورغم ذلك لا تُرد فمتى قيلت قبلت، بينما غيرها من الأذكار تحتاج إلى كل ذلك، ورغم ذلك كله بين الرد والقبول. والصلاة على النبي هي الفرض المقبول والنفل المقبول الوارد في

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦

(٣) مسلم

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥

الحديث القدسي: "ما تقرب إليَّ عبدي بأحبَّ مما افترضته عليه (وهي الصلاة على النبي لأنها فرض في الصلاة الفرضية لا تصح إلا بها) ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل (وهي الصلاة على النبي في غير الصلاة المفروضة) حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده..."^(١) الحديث. فالصلاة على النبي المفروضة - أي في الصلاة الفرضية - غايتها التقرب إلى الله، والصلاة عليه غير المفروضة هي النافلة، وهي التي غايتها محبة الله للعبد "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله". فالمصلي على النبي في غير الفريضة هو الذي يحبه الله ويذكره ويصلي عليه أضعاف ما يذكر، وهو الرباني الذي يصير الحق بحبه له سمعه وبصره ويده ورجله. فكونوا أحبابي ربانيين، وتخلقوا بأخلاق الله بالصلاة على صفوة الله محمد بن عبد الله، وعلى آله أهل العز والجاه، تكفوا همومكم وتغفر ذنوبكم وتكونوا أحبابي أحباب الله وتُدركوا المقام الذي ذكرناه.

الإيمان شرط النصر

أحابي

أحمد إليكم الله، الذي اختار رسله من صفوة خلقه في كل عصر، وأيدهم بما ميّزهم به من غير حصر، فكان لهم في كل خصومة الظفر والنصر، فهم أكمل الناس خلقاً وخُلُقاً وعلماً بين قومهم، وكل نبيٍّ ورسولٍ في أمته، لا يوجد فيها من يفضلُه في الصفات البشرية الحسية والمعنوية، وإلا لكان أولى بالرسالة منه. ولا ينبغي لمسلم أن يعتقد أن هناك من هو أعلم من الرسول في أمته، وإلا فسدت عقيدته. وقد لبّس على بعضهم وظنّوا خطأ أن الذي أتى بعرش بلقيس لسليمان عليه السلام قبل ارتداد الطرف إليه - أي قبل رجوع الضوء من المرئي إلى عدسة العين، وهو أضعاف سرعة الضوء - أنه أكثر علماً من سليمان عليه السلام. ولو كان كما ظنّوا لكان أولى بالرسالة منه؛ ولكنّه كان أحد تلاميذه وأتباعه وهم من الجنّ والإنس. وكان عندهم هذا العلم الذي تلقوه عنه. فطلب سليمان منهم إحضار العرش قبل أن تأتي بلقيس ومن معها مسلمين، فكان علم آصف بن برخيا - الذي عنده علم من الكتاب - أفضل من الذي كان عند العفريت. ولا ينبغي أن يكون الأمر بإحضار العرش أقلّ علماً من المأمور. ولو لم يكن هذا العلم، الذي تم به إحضار العرش، معروفاً لدى سليمان ولمن كانوا معه، لما طلب إحضار العرش به. وهو علم معروف والكتاب الذي فيه هذا العلم معروف، ولكنه صار في نظر الناس حراماً لكثرة فتاوى أدعياء العلم والتوحيد الذين يلبسون ثوب الشرك والشعوذة والدجل لكل ما يجهلون من علم ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ...﴾^(١) فانقمع العلم عند المسلمين، ووقفوا عن التقدم العلمي، فتخلفوا وصاروا يركضون الآن

(١) سورة يونس، الآية: ٢٩

خلف من سبقهم من غير المسلمين، وهذه علامة نقص الإيمان. فالله جل شأنه يقول ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(١) فإن لم يكن هناك نصر فلنعلم أن الشرط للنصر غير متوفر وهو "المؤمنون" وهذا ما نراه اليوم، أي أن الغلبة في كل مجال لغير المسلمين، فيما المسلمون يركضون ويتوسلون لاقتناء العتاد الحربي من أعدائهم !.. وما ذلك إلا لفقد الإيمان الذي لا يتم إلا بمحبة النبي وآل بيته لقوله صلى الله وبارك عليه وآله "لا يؤمن أحدكم حتى تكون نفسي أحب إليه من نفسه وعترتي أحب إليه من عترته"، وإذا تم للمسلمين ذلك علوا على غيرهم، بعلمهم لا بعلم غيرهم، الذي هم فيه تبع، مهما بلغوا فيه من الترقى والإتقان. قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢).

وعلم المسلمين الذي هم به الأعلون على غيرهم، ليس هو العلم الذي بلغ به غيرهم الوصول إلى الكواكب الأخرى والى الاكتشافات المذهلة، وتعرفوا به على الجنين في بطن أمه - وهو الذي كان قبل ذلك حراماً معرفته بسبب فتاوى المسلمين أدعياء التوحيد، لأنه عندهم من الغيب المحرم على المسلم الكلام فيه - وتعرفوا به على الأحداث المقبلة ككسوف الشمس وتحديد مواقع الكسوف الكلي والجزئي ونزول الغيث وهبوب الرياح - وهذا أيضاً كان من العلم الحرام عند علماء المسلمين أدعياء التوحيد، وخاص بالله وحده ولا يجوز لمسلم الكلام فيه - وصنعوا بهذا العلم الإنسان الآلي الذي يثقون في كل ما يعطيهم من أجوبة، وصار عندهم بمثابة اللات والعزى. ومن المسلمين من يؤمن به، والذي قد يكون هو الدجال بعد أن يصل مرحلة متطورة جداً لا يمكن التحكم فيه ! فكل هذا العلم المسلمون فيه تبع لغيرهم. أما علم المسلمين الذي يعطيهم العلو على غيرهم، فهو العلم الذي في الكتاب الذي كان لآصف بن برخيا علم منه، إنه علم حقيقي وليس شعوذة ولا دجالاً، وهناك من يعلمه ويعلم الكتاب الذي فيه، ولكنه إذا أشار إلى نفسه

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩

فمصييره مصير من وجد في حوزته كتاب شمس المعارف في إحدى البلدان الإسلامية عليه رحمة الله.

وإن قيل: لماذا إذاً لا يقوم هذا الذي عنده هذا العلم بالانتصار للمسلمين، وهزيمة أعدائهم؟ نقول: أرسل الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله ليبليح الرسالة وهو معه جلّ جلاله وجبريل والملائكة بعد ذلك ظهير. وهو أعلم الخلق كما قال "أنا مدينة العلم" فكيف كانت بداية دعوته؟ هل كانت باستخدام قوة العلم والملائكة والقدرة الإلهية والتحدي للقوى المادية والبشرية الموجودة في الضلال آنذاك؟ ولماذا بدأت سرّاً وخفية ليلاً في دار الأرقم؟ ألم يكن الله معه؟ ألم يكن جبريل والملائكة معه؟ ألم يرسله الله لهؤلاء الناس وهو حافظه؟ ولماذا ترك بلده وخرج منها ليلاً نحو الشمال؟ أكان في شك صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله - وحاشاه - من حفظ الله له ونصره ولو بقي في موطنه، ولماذا كان يعذب أصحابه بمكة ولا يطلب تدخل القدرة الإلهية، لرفع ذلك عنهم بما عنده من علم ولا يزيد على قول "صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة"؟ لماذا لا يقف المسلمون عند هذا كله؟ فالذي عنده هذا العلم لا يكون إلا متبعاً للمعلم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾^(١).

قال صلى الله عليه وآله "بعثت معلماً"^(٢) فهو معلم بكل أحواله وأقواله وسيرته وحركته وسكونه. وقال صلى الله عليه وآله "بدأ الدين غربياً وسيعود غربياً كما بدأ فطوبى للغرباء"^(٣)، وهم المؤمنون الذين ملأ حبّ النبي وآله قلوبهم فليس لغيره فيهم وجود، وهم الذين حق على الله أن ينصرهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم الذين يقول الله تبارك وتعالى فيهم ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فرغم ما لغيرهم من التقدم العلمي، فهم الأعلون بعلم مواز

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١

(٢) ابن ماجة

(٣) مسلم

يمتاز على ذلك بسهولة وسرعته التي ضرب الله مثلاً لها بصاحب سليمان في إحضار عرش بلقيس. لأنّه علم رباني. وهو الذي يحرمه بعض المسلمين من أدياء علم التوحيد ﴿وَأِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(١) وهؤلاء المؤمنون هم الذين لا يجاوز عددهم في المعركة الأولى في بداية أمر إعادة الدين عدد أصحاب طالوت، وأهل بدر لأن معركة بدر كانت المعركة الأولى في بداية الدين. وستكون المعركة الأولى في إعادة الدين بنفس العدد "... كما بدأ". وهذه الفئة هي المؤمنة التي ملأ حب النبي وآله قلوبهم فلم يبق لهم فيها مجال لغيره. أمّا غيرهم فهم المسلمون ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلُومٌ لَّمْ يَأْمُرُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢).

والمسلم الصحيح العقيدة، يجب عليه أن لا يرى هناك من هو أعلم من النبي صلى الله وبارك عليه وآله في ما يخص العلم بالله، وفي ما يتعلق بدين الله من المعاملات البشرية. ولو كان الله يؤيد غيره إذا اختلف معه في موقف يتعلق بالدعوة وكيفيتها كما زعموا في قصة أسرى بدر، لكان ذلك الغير هو المؤيد من الله، وهو الأعلم وبالتالي الأولى بالرسالة...!، أما المحب فلا يحتاج إلى تبرير أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أعلم الناس في كل الأمور وفي كل الأحوال والظروف، ولا يساويه نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا صحابي في علم أو خلق. وأما حديث تأبير النخل، فكيف يقال إن أحداً من أهل المدينة كبارها وصغارها لا يعلم كيف يعالج النخل الذي هو عصب الحياة؟ ناهيك عن أكبر الناس فيهم عقلاً وأعلمهم؟ كيف ينسب إليه الجهل بتأبير النخل ولا يمكن أن ينسب ذلك إلى أحد من صبيان المدينة؟ وهو الذي يعلم أصل خلق النخلة حيث قال "إنها خلقت من بقية طينة آدم"^(٣) بل نسب إليه صلى الله وبارك عليه وآله في هذا الحديث الجهل بشئون الدنيا كلها "أنتم أعلم بأمر دنياكم"^(٤) وكيف يتسنى حب من ينسب إليه الجهل بالأمور الدنيوية وإصلاح المعاش؟

(١) سورة القمر، الآية: ٢

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤

(٣) مجمع الزوائد

(٤) مسلم

بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله "ما أؤذي نبي مثلكما أؤذيت".

إن تصحيح العقيدة في النبي بإثبات الكمال الإنساني له ، والعلم الربّاني الذي لا يدانيه أحد في صفة أو خلق، هو واجب الوقت، وبعده ينعدم الحب لأنّ الحب لا يكون إلا لكامل الصفات الذي هو محمد صلى الله وبارك عليه وآله. ومن يتكلم عنه دون أن يثبت له الكمال في كل شيء فهو ناقد. ولا يكون الناقد محباً بوجه من الوجوه لأن "حبك الشيء يعمي ويصم"^(١) كما قال المعلم صلى الله وبارك عليه وآله ، وإن لم يبلغ الحب هذه الدرجة لم يكتمل الإيمان، وإن لم يكتمل الإيمان لا يرجى نصر. ولا يكون ذلك إلا للمنتظر عليه السلام وأتباعه. أسأل الله أن يجعلكم منهم.

(١) أبوداود

اللهم علماً نافعاً

أحبابي

أتاني أحد الأحباب، وقال لي إنه كان يتحدث عن محبة النبي وآل بيته، فقاطعه أحدهم وطلب منه أن يكف عن الذي يقول وعليه أن يعلم الناس الصفات الواجبة والمستحيلة في حق الله تبارك وتعالى وتحفيظهم فرائض الصلاة وفرائض الوضوء.

قلت له لا أرى ذلك الرجل إلا من النواصب، إذ أن الصفات الواجبة في حق الله جل شأنه والمستحيلة أودعها بالفطرة في كل إنسان سويٍّ، ولا يجهلها أجهل العوام الذي لم يتلق تعليماً عند أي إنسان أو شيخ أو مدرسة. لا تعجب، قلت له حين رأيت ذلك في وجهه. قال لي كيف لا أعجب من قولك وأنا نفسي لا أحفظها؟ قلت بل ابنك الذي لم يبلغ الحلم يحفظها.. أطلبه واسأله:

هل الله موجود أم معدوم؟

هل هو قديم أم حادث؟

هل هو حي أم ميت؟

هل هو واحد أم أكثر؟

هل يشبه أياً من هذه المخلوقات أم يخالفها؟

هل هو قائم بنفسه أم يستعين بغيره؟

هل هو عاجز أم قادر؟

هل هو مريد لما يفعله أم كاره؟

هل هو عالم أم جاهل؟

هل هو أعمى أم بصير؟

هل هو أصم أم سميع؟

هل هو أبكم أم متكلم؟

هل هو باق أم يدركه الفناء؟

ولا يستطيع أحد إلا أن يجيب الإجابة الصحيحة مهما بلغ من الجهل وعدم العلم. إذن فهي معلومة لكل إنسان بالفطرة فلماذا نُصر على أن نضيع وقتهم وفكرهم في تحصيل ما هو عندهم أصلاً؟ وكذلك فرائض الوضوء والصلاة. ألا يكفي أن يعلم الإنسان كيف يتوضأ وكيف يصلي دون أن يحفظ أو يفرق بين السنن وهذه الفرائض التي تختلف حولها أئمة المذاهب؟ فإنه لن يُسأل الإنسان عن هل السلام المعرف بالآلف واللام فرض أم سنة. ولا يُسأل كذلك عن هل الصلاة على النبي في الصلاة فرض أم سنة. أي إنه لا يُسأل عن اختلاف الفقهاء في تصنيف الفرائض والسنن. أو عدد الفرائض عند أبي حنيفة والشافعي. بل يكفي أن يصلّيها كاملة ولو كان لا يفرق بين سننها وفرائضها المختلف حولها. اللهم إننا نسألك علماً نافعاً في محبة النبي وآله تسلم به القلوب من الدعوى وحب الظهور، فإنه لا ينجو ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١) و"لا يدخل أحدكم الجنة بعمله"^(٢).

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٩

(٢) أحمد بن حنبل

أهل الذكر آل البيت

أحابي

قال بعض العارفين: الذكر هو العلم. فقد جاء في قوله تبارك وتعالى ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(١). فالذكر ليس هو القرآن بل أمر يتعلق بالقرآن وهو العلم. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) فتبيين ما نزل إلى الناس من الكتب السماوية جميعها يكون بالذكر أي بالعلم ورسول الله صلى الله عليه وآله هو "مدينة العلم وعلي بابها" كما جاء في الحديث "والولد سر أبيه" أي أن الحسن والحسين هما أيضاً باب مدينة العلم، وفاطمة بضعة رسول الله مدينة العلم. فأهل البيت هم أهل العلم أي أهل الذكر. قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣). وهم الذين يعلمون أسرار القرآن والبيئات والزبر والكتاب قال جعفر الصادق رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٤). مامعناه أن المس ليس هو اللمس فاللمس بالحواس والمس بالعقل. و﴿لَا يَمَسُّهُ...﴾ أي لا يدرك معانيه وأسواره بالعقل إلا المطهرون. والمطهرون هم أهل البيت عليهم السلام^(٥). قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٦). فهم الذين يعرفون القرآن وأسواره ومعانيه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله "إني تارك

(١) سورة ص، الآية: ١

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٧٩

(٥) لفظة ((عليهم السلام)) من خصوصيات آل البيت وقد وردت في كثير من المراجع الأساسية مثل صحيح

البخاري.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣

فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل البيت ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما" ^(١). وكما أسلفنا فأهل البيت هم أهل الذكر ، والذكر هو العلم ومدينة العلم هو رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله إذن فهو أصل الذكر. قال تعالى في سورة الطلاق ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ رَسُولًا...﴾ ^(٢). وقد اختص الله تعالى أهل البيت بعلم ليس لغيرهم. قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله "أوتيت القرآن ومثله معه" ^(٣).
 . فهناك كتاب مثل القرآن أوتيته رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله واختص به ولم يرثه عنه إلا أهل البيت. ولذلك قيل أن جعفر الصادق رضي الله عنه قال "وعندنا كتاب فاطمة ليس فيه آية من القرآن"، والكتاب مطلقاً لا يعني القرآن. قال تعالى ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^(٤). ففرق بين القرآن والكتاب المبين. فهناك علم خاص بأهل البيت ومن أحبهم ممن كمل إيمانه بحب النبي وآله "سلمان منا آل البيت" وإليهم يلجأ الناس للمعرفة وطلب العلم، قال صلى الله وبارك عليه وآله "لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم". ولا سبيل إلى علم القرآن إلا عن طريقهم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لأنه ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أهل البيت عليهم السلام.

(١) الترمذي والحاكم

(٢) سورة الطلاق، الآيات: ١٠، ١١

(٣) أحمد بن حنبل

(٤) سورة النمل، الآية: ١

هل السجود عبادة...؟

أحابي

قال بعض العلماء (السجود لغير الله شرك لأنه عبادة للمسجود له) وكل من يفعل ذلك فهو مشرك ومقرّه جهنم وبئس المصير. وعمّت هذه الفتوى بين أدعياء التوحيد، وكفّروا بها فريقاً من المسلمين لمجرد تقبيلهم ليد من يتوسم فيه الخير والصلاح. وحكموا عليهم بجهنم ، وصدرت الفتاوى بذلك ممن أعطوا أنفسهم الحق في الحكم على الناس بالنار والجنة، وهو أمر لا يكون لغير الله. فهو الذي يحكم على من يشاء بما يشاء بعد الحساب أو دون حساب. لا يوجب عليه عمل عامل جزاء، ولا يمنعه جرم أو ذنب من إدخال المذنب في واسع مغفرته، وشمول رحمته التي وسعت كل شيء ، ولا يشرك في حكمه أحداً. والحكم على الناس بأنهم من أهل النار أو الجنة هو حشر للأنوف في عمل الخالق جل وعلا بل إدعاءً للألوهية.

وقد جاء في الحديث "إنما الأعمال بالنيات"^(١) لذلك فإن من طاف حول الكعبة سبعة أشواط دون نية لا يجزيه طوافه. وكذلك من عظم أحداً تعظيماً لأمر الله فلا تنطبق عليه فتوى أدعياء التوحيد بالشرك والخروج من الملة والدخول في جهنم ، بل هذه الفتوى دلالة على جهل من أفتى بها وعلى حرصه على تضيق دائرة المسلمين وتوسيع دائرة المشركين لتكون أمة محمد أقل الأمم. وتدلل على دعوى العلم المهلكة واتهام الآخرين بالجهل بغير حق.

وتعظيم من أنعم الله عليه واختصه برحمته وميزه بعلم ومكانة، أمر شرعه الله سبحانه وتعالى منذ بدأ الخليقة. فحين خلق الله تبارك وتعالى آدم على صورته أمر

(١) البخاري

الملائكة بعبادة آدم، إذ قال جل من قائل ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(١). ورأى إبليس - وهو من العلماء - أن التوحيد - كما يعلمه هو - وكما يعلمه أدياء التوحيد اليوم - هو أن لا يعبد آدم كما أمر. إذ أن آدم مخلوق وهو أيضاً مخلوق، وأن التوحيد هو أن لا يعبد بالسجود إلا الله وحده، ولا يعبد آدم بالسجود له، فكان نتيجة ذلك طرده! وكذلك يطرد كل من ينهج نهجه ويسلك سلوكه ويتبع طريقه إلى يوم الدين .

وحقيقة العبادة لله هي الالتزام بما أمر به سبحانه. والموحد هو الملتزم بما أمر الله، ولا يعصيه في شيء باتباع أمر غيره وإلا كان مشركاً. فحينما قرأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^(٢) قيل يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم. قال " كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه"^(٣). فاتباع المشرع هو عبادة له وهو الإذعان والإقرار له بالربوبية .

ولا يشك مسلم في عقيدة الرسل وإلا كان كافراً. فالرسل صلوات الله عليهم وسلامه جاءوا بالإسلام والتوحيد. وإذا كانت العبادة لغير الله بالسجود له شرك - كما يقول أدياء التوحيد - فعليهم أن ينكروا عبادة رسول الله يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام بالسجود له. والساجد هنا والمسجود له من رسل الله الواجبة معرفتهم ويستحيل في حقهما الجهل ومعصومان في عقيدتهما وسلوكهما وواجب في حقهما التبليغ بالقول والسلوك. قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(٤). فسجود أبيه وخالته له صار حقاً وليس شركاً. وسجود البعير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو معجزة وأمر خارق للعادة، ولا يدل إلا على تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وعلو قدره. ولا يصح أن تكون المعجزة في صورة أمر ممنوع شرعاً أبداً. إذ يمكن أن تكون بأي صورة أخرى غير السجود. وليس

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١

(٣) الترمذي

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٠

من قال للرسول صلى الله وبارك عليه وآله " ألا تأمرنا أن نسجد لك " بأفضل من نبي الله يعقوب الذي سجد لابنه يوسف عليهما السلام دون أن يطلب من يوسف أمراً بذلك. كما أن البعير ليس أولى بالسجود من نبي الله يعقوب عليه السلام لمحمد صلى الله وبارك عليه وآله ، ولا من أمته رضي الله عنها ، لأفضلية محمد صلى الله وبارك عليه وآله على يوسف عليه السلام.

وليس السجود للكعبة شرك ، ذلك لأنه اتباع للنبي وطاعة له وما هو إلا تعظيم لها لأجل محمد صلى الله وبارك عليه وآله لأنه كان يحب أن تكون الكعبة ، وليس بيت المقدس هي قبلة السجود. قال تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١). فما سجد لها المسلمون إلا لتعظيم الله لها من أجل حب الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ، وليس لأنها الله. فالقصد هو الله وليس الحجارة التي بنيت بها. فتعظيم المخلوق والسجود له لتعظيم الله له ، وإن كان جماداً هو تعظيم الله وطاعة لرسوله صلى الله وبارك عليه وآله كما قال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢). ومحمد صلى الله وبارك عليه وآله أفضل من الكعبة والسجود تعظيماً له لله أفضل من السجود للكعبة تعظيماً لها لله ولكنه غير مأمور به. لذلك فهو ليس بواجب ولا فرض على المسلمين. والفرق بين الفرض والنفل واضح.

وأما الحديث "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"^(٣) لا يعني أكثر من كونه أنه لا يوجد أمر شرعي - وأمر يعني الوجوب - بالسجود للرسول صلى الله وبارك عليه وآله. فأبو بكر كان يريد أمراً بالسماح له بالسجود أما يعقوب فسجد ليوسف دون انتظار، ودون طلب لأمر من يوسف بالسماح

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٤

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠

(٣) الترمذي

له بذلك. وعدم الأمر الشرعي - أي الوجوب - لا يعني المنع مطلقاً، فقد قال صلى الله وبارك عليه وآله في الحج حينما قيل له "أفي كل عام يا رسول الله" قال "لو قلتها لوجبت ولما استطعتم" ^(١). فالشرك في الإسلام حقيقة هو معصية الرسول صلى الله وبارك عليه وآله. قال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ وهذا يعني أن من عصاه فقد عصى الله تماماً، كما فعل إبليس برفضه أمر الله بعبادة آدم عليه السلام والسجود له. فمن يعصي محمداً صلى الله وبارك عليه وآله - وإن كان من أصحابه - فليهنأ بشيخه إبليس وليعلم أنه سائر على نهجه رغم ادعائه التوحيد، وهو الفاسق عن أمر ربه كما إبليس ﴿... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ^(٢) فرفض أمر محمد صلى الله وبارك عليه وآله ، هو رفض أمر الله تعالى ولا يكون ذلك إلا من إبليس البشر..!

(١) أحمد بن حنبل

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠

هل للبخاري ومسلم عصمة...؟

أحابي

قال بعض العلماء إن أصح الكتب بعد كتاب الله هو صحيح البخاري، ويعتقد كثير من المسلمين صحة كل ما جاء في البخاري ومسلم من حيث لا يدري، فيثور ويهيج ويتشنج إذا رفضت أن تقبل حديثاً من صحيح البخاري أو مسلم. ويظن البعض أن إنكار حديث من البخاري أو مسلم إنما هو هدم للدين وطمس للسنة. ويوجب بعضهم الأخذ بالحديث إذا صح إسناده وسلم عند علماء الجرح والتعديل. وهؤلاء أيضاً يرون عصمة من روي عنهم وإن لم يصرحوا بها ويتعصبون لإلزام الناس بذلك الحديث.

معلوم أن عصمة النبي صلى الله عليه وآله في هداية الأمة من الضلال، لا تفارقه إلى يوم القيامة. وهو أمر ليس للشورى وليس لأحد فيه حق المشاركة أو إبداء الرأي. لأن الرسول صلى الله عليه وآله ليس مجتهداً ﴿إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(١) . قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾^(٢) وقال جل شأنه ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^(٣) وقال عز من قائل ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤) وقال أيضاً تبارك وتعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٥) .

فالدين هو الأخذ بما آتانا الرسول صلى الله عليه وآله وترك ما نهانا عنه. ولا يستقيم إسلام أحد مع معصية الرسول صلى الله عليه وآله ، ورفض تنفيذ أمره،

(١) سورة النجم، الآية: ٤

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣

(٤) سورة الحشر، الآية: ٧

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٤

وإن حدث ذلك في حضرته فهو الكفر لا ريب. وإذا أمر الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بفعل شيء لهداية الأمة، وهم أحد بتنفيذ الأمر واعترضه آخر ومنعه عن تنفيذه، فالمعترض أسوأ حالاً من الممتنع عن تنفيذ الأمر المحمدي إذا جاز أن يكون المعترض مسلماً أصلاً، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (١).

وقد جاء في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في مرضه الذي انتقل فيه، أمر الحاضرين عنده بإحضار كتف ودواة، ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده "أئتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً" وهم بعضهم بتنفيذ الأمر، ولكن اعترض أحد الحاضرين على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ومنع تنفيذ الأمر، وقال "إن الرسول غلبه الوجع" وفي رواية أخرى "إنه ليهجر" - كبرت كلمة - وقال "حسبنا كتاب الله". قال تعالى ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٢).

فهذا الصحابي يقول إن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله تكلم مغلوباً من الوجع، لا عن وعي وعصمة، أي أنه كان يهذي..! ثم منع ذلك الصحابي أن ينفذ أمر الرسول صلى الله وبارك عليه وآله وفي حضرته، وقال ذلك الكلام الجارح في وجهه..!!

ألا يكون بذلك كله قد خرج عن طاعة الله ورسوله؟

قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٣). ولم يقف الأمر عند منع التنفيذ بل وتعدى ذلك بأن آذاه باتهامه له بأنه يتكلم مغلوباً من الوجع لا عن عصمة وفي حضرته. وقد قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٤). وقال

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) ثم يقول "حسبنا كتاب الله".. أي لا حاجة لنا بما يقول من غلبه الوجع لأنه قد يخالف كتاب الله..! وحاشا أن يتكلم رسول الله مغلوباً على وعيه، كأن العصمة في هداية الأمة، وفي تبين الهدى والضلال قد رفعت عنه بمرضه...! وهو القائل "إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً". وكأن قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ قد نسخ..! وكان هذا الصحابي هو الأكثر حرصاً على الدين وعلى الأمة من الذي كان سيقوله رسول الله صلى الله عليه وآله!! قال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. أما هذا الصحابي الذي ورد فيه هذا الحديث فهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه!!

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الرزية كل الرزية في من منع رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله أن يكتب لنا ذلك الكتاب"^(٢).

فنحن إذاً في خيار بين أمرين لا ثالث لهما: إما رفض حديث البخاري هذا جملةً وتفصيلاً - وهو الأقرب للسلامة - وإما أن تكون صفات عمر بن الخطاب كآلاتي: معصية الرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله ومشاققته، وإيذائه في حضرته، واتهامه بالضعف، والشك في عصمته في هداية الأمة، وأنه أي عمر، لا عقيدة له في قول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ولا يلتزم به، وأنه يأخذ هو من كتاب الله مباشرة كأنه أنزل إليه هو ليبين للناس ما نزل إليهم - رغم وجود الرسول بين ظهرانيهم - ويقول "حسبنا كتاب الله" حفاظاً على الدين من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله الذي غلبه الوجع - كما يقول - وصار يهجر!! وخوفاً على الأمة مما كان سيقوله محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله المعصوم؛ وأن فعل عمر هذا هو الرزية كل الرزية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. فعلينا باختيار أحد الأمرين. ورفض حديث

(١) سورة التوبة، الآية: ٦١

(٢) صحيح البخاري

البخاري برمته أقرب للسلامة. مع اعتقاد رفع العصمة عن البخاري وعن عمر رضي الله عنه والتي يجب أن تكون من المسلمات.

قد يقول من يظن نفسه حريصاً على الدين وخائف من نشر هذا الحديث: إذا طعننا في حديث البخاري فمن أين يستقيم لنا أخذ السنة ؟

أقول يرحمك الله أولهذا الخوف تقبل التناقض ؟ ألا تخاف من أن تكون سقيم العقيدة وأقرب إلى الكفر بقبولك مثل هذا الحديث في وجه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بصدر رحب ؟ وأيها أولى لك ؟ قبول الحديث ثم محاولة إيجاد العذر لعمر رضي الله عنه - حيث لا يوجد - أم الغضب لله والرسول ورفض من يرفض أمره، ويشكك في عصمته، ويؤذيه، ويتهمه بالضعف في وجهه ؟ ثم تنزيه عمر عن ذلك الموقف الشنيع كله وبالتالي رفض الحديث؟

المراد من هذه الأحاديث - ولن يكون إن شاء الله - أن نقبل وبلا تردد أن يعصى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في حضرته، ويتهم في عصمته، ويؤذى، ويوصف بالضعف في المرض وفي وجهه، ويرفض أن يؤخذ منه ما يهدي به الأمة من الضلال. والذي يفعل ذلك يكون محل تقديرنا وإجلالنا واحترامنا!!! ويكون ذلك من أحد أكابر الصحابة وبالتحديد من الخليفة الثاني...!!! يراد منا أن نقبل ذلك حتى لا يبقى لنا من صحة العقيدة شيء ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

ولماذا ينسب كل هذا الموقف الشنيع لعمر بن الخطاب الخليفة الثاني رضي الله عنه؟ والإجابة هي: لأنَّ هناك أحاديث أخرى تمجده وترفع قدره وتفضله على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ..! ويعتقد فيها كثير من المسلمين دون انتباه، لما تحمله

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥

من الخطر على العقيدة إن لم يكن نفساً لها. منها: "ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك" (١) بينما يذكرون أن الشيطان يعترض رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في الصلاة فيضطر لخنقه حتى يسيل لعابه كما جاء في الحديث. بل إن الشيطان في حديث آخر ألقى على لسان النبي في الصلاة وهو يتلو القرآن "تلك الغرائق العلا وإن شفاعتها لترتجى" كي تتسبب العصمة عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله نهائياً بهذا الحديث. كما أنه في حديث آخر "سحر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله حتى كان يرى أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله"! وإن كان ذلك قد حصل فكيف التيقن من صحة الوحي وكيف تكون أقواله وأفعاله سنة تتبع؟ ثم لماذا إنكار الحق جل وعلا على الظالمين في قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَبِيعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (٢) وكيف الأخذ بهذا الحديث الذي صادم القرآن وزرع الشك في فعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله وقوله؟ وكيف تسلم لنا عقيدة إذا اعتقدنا أن الشيطان يتحاشى عمر بينما يدخل فم النبي ويلقي على لسانه ويعترضه في الصلاة؟ وإن صح ذلك فمن أيهما أولى بنا أن نأخذ ديننا؟

ومنها: أن عمر رضي الله عنه الذي وقف -كما يقولون- ذلك الموقف الشنيع في حديث الكتف والدواة، اعترض على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في موقف آخر، فأيده الله هو ولم يؤيد الرسول صلى الله وبارك عليه وآله! بل عاتبه الله في موقفه المخالف لعمر وذلك في حديث أسرى بدر، وإن كان ذلك كذلك فمعناه أن عمر هو الأولى بالرسالة عند من يعتقد صحة هذه الأحاديث!! وإلا فكيف يرسل الله رسولاً ثم يؤيد غيره؟! وممن نأخذ ديننا، من الذي يؤيده الله أم من الذي يعاتبه في نفس الموقف؟!

هكذا يراد منا أن نرى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بين أصحابه!!! وحينما يُتكلم عن العدل في الإسلام، فالحديث عن عدل عمر لا عن عدل النبي صلى الله وبارك عليه وآله بينما عمر حين يقارن نفسه بعلي يقول "لولا أبو الحسن لهلك عمر". و"لا

(١) البخاري

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٧

أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن". ناهيك عن عدل النبي صلى الله وبارك عليه وآله. وحينما يُحدث عن الشجاعة، فالصورة البارزة لعمر لا للنبي صلى الله وبارك عليه وآله بينما نصف قتلى المشركين في معركة بدر قتلهم علي عليه السلام، وكل باقي المسلمين والملائكة قتلوا النصف الباقي. "وضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين"، وذلك حينما أحجم كل الصحابة عن ملاقاته عمرو بن عبد ود، في غزوة الأحزاب، إلا أبا الحسن. فأين هو إذاً من رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وعدله وشجاعته، التي قال فيها علي عليه السلام "كنا إذا اشتد الوطيس نستتر برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله". ولم أجد في التاريخ الإسلامي أن عمر رضي الله عنه قتل كافراً أو مشركاً، وقد يكون ذلك لعدم عثوري على مرجع فيه ذلك. هكذا تجد في الأحاديث صورة النبي صلى الله وبارك عليه وآله وصورة عمر رضي الله عنه، حتى صار بعض المسلمين يسمي من أبنائه عمر قبل محمد ويدعي محبة محمد صلى الله وبارك عليه وآله لأنه إن لم يدعيها لا إيمان له - كما جاء في الحديث - وواقع الحال يكذبه. لأنه جاء في الحديث "من كان له ثلاثة أبناء ولم يسم أحدهم محمداً فقد جهل" فمن من الثلاثة أولى باسم محمد إن كان الوالد محباً لمحمد صلى الله وبارك عليه وآله؟ وجاء في الحديث أيضاً "وإذا سميتموه محمداً فلا تحرموه ولا تضربوه ولا تقبحوا له وجهاً وأفسحوا له في المجالس".

يراد منا أن نطعن من حيث لا ندري، أو نقبل الطعن في عدالة الرسول صلى الله وبارك عليه وآله من حيث لا نرى. لأن الحديث قد يكون فيه تمجيد لأحد الصحابة العدول رضي الله عنهم، أو إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فيكون التركيز عليه أو عليها في رفع القدر، بينما يكون في نفس الحديث أو حديث آخر في نفس الموضوع، تنقيص من قدر الرسول صلى الله وبارك عليه وآله وخلقه العظيم، لكن بحيث لا يدرك ذلك إلا المؤمن الصادق المحبة في رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله. لأن المحبة تجلو البصيرة التي يمكن بها تبيان فلق الشعرة. إذ أن المؤمن يرى بنور الله، والمؤمن هو المحب لأنه لا إيمان إلا بمحبة النبي صلى الله وبارك عليه وآله أكثر من حب النفس

والمال والبنين بنص الحديث.

جاء في الحديث "من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال عائشة"^(١) وجاء في حديث أيضاً أن سودة أم المؤمنين رضي الله عنها كبرت عند رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة ليبقيها!! ترى بماذا يوصف من يطلق زوجته لمجرد أنها كبرت عنده في السن؟ بالخلق العظيم؟ أم بأنه أفضل الناس عشرة لأهل بيته؟ لا أظن أن هناك من يرى أنه قد بقي شيء من سوء العشرة أكثر من أن يطلق الرجل زوجته لأنها كبرت عنده. أو يمسك عن طلاقها مقابل يومها الذي وهبته لزوجة أخرى!! أهذا معنى قول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله "خيركم خياركم لنسائهم"^(٢)؟ أهو الذي يجب أن نتأسى به لقول الله تبارك وتعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣)؟ معلوم أنه لا إيمان لمن لا يحب الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ، فالمحب الصحيح العقيدة، يجب أن يرى عدل النبي صلى الله عليه وآله في كل شيء حتى في عواطفه وحبه. ويستحيل أن يخطر بباله أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله يميل إلى إحدى زوجاته بصورة واضحة، ناهيك عن أن يصرح بذلك على الملأ، دون مراعاة للأخريات وشعورهن وإلا فلا يكون أسوة حسنة في كيفية التعامل مع الأهل. ولا يستقيم عنده حديث "من أحب الناس إليك؟ قال عائشة"^(٤) وحديث "خيركم خياركم لنسائهم" اللهم إلا أن تكون عائشة هي زوجته الوحيدة ولا وجود لباقي زوجاته أمهات المؤمنين في عصمته. ثم أترى أن تصريحه بحبه لعائشة على الملأ وتفضيلها يكون بردا وسلاما على بقية زوجاته؟ أم أنه جرح لا يندمل في الدنيا ولا في الآخرة وأذى لا يطاق من أحب الخلق الذي يستحيل أن يصدر عنه أذى لمن يحبه؟ وبما أن حب النبي صلى الله وبارك عليه وآله هو أساس العقيدة، فإن سلامة العقيدة تنتفي بعدمه، ولا يكون ذلك إلا برؤية الكمال المطلق في المحبوب. وكل أعمال النبي صلى الله

(١) الترمذي

(٢) الترمذي

(٣) سورة الاحزاب، الآية: ٢١

وبارك عليه وآله وسلوكه وتعامله لا يوجد فيها إلا ما يحبب الناس فيه، ويستحيل صدور خلق مؤذ عنه أو جرح إنسان يحبه ويتودد إليه ولا يرجو إلا محبته كزوجاته رضي الله عنهن. فقد جاء في الحديث "كل مؤذ في النار".

لا يخفى على أحد أنه ليس من العدل ولا من حسن الأدب والخلق إذا كان لأحد زوجتين أو زوجات، أن يصرح للملأ بأنه يحب واحدة منهن دون الأخريات، دون مراعاة لشعورهن. كما أن هذا الفعل بعيد كل البعد عن صفة الحياء الذي هو نصف الدين، ومجاف للعدل المطلوب إظهاره على أقل تقدير إن لم توجد حقيقته. ولا أظنك إذا سئلت عن من تحب مجيباً للسائل بقولك زوجتي فلانة. لأن الحياء يمنعك عن ذكر زوجتك واسمها. كما أن حب الزوجة مفترض لدى كل زوج. وإظهار المساواة بين الزوجات هو الذي يقبله العقل السليم وصحة الدين، لا إظهار تفضيل إحداهن وإعلانه للامة! والرسول صلى الله وبارك عليه وآله هو الأسوة الحسنة وصاحب الخلق العظيم. ومن الناس يعدل إن لم يعدل هو في بيته ويكون أسوة للآخرين في تعامله؟ وكيف يعدل في أمته إن لم يعدل في بيته؟ قال صلى الله وبارك عليه وآله "ويحك إن لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟" (١).

إن تمجيد الصحابة وأمّهات المؤمنين استحقاق وتشريف لهم برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، ولا يتأتى لهم ذلك بما يقدح في كمال خلقه وآل بيته الذين فرض الله محبتهم على المسلمين. قال تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٢) قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين فرض الله علينا محبتهم قال "علي وفاطمة وأبناهما" فهم الذين من لم يصل عليهم لا صلاة له، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله. وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي الوحيدة التي أظهرت الأحاديث عداها لآل البيت وخروجها على الإمام علي عليه السلام لحربه في موقعة الجمل التي قتل فيها طلحة، الذي جاء في الحديث أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، بعد أن نكث بيعته

(١) أحمد بن حنبل

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣

وخرج بسيفه باغياً ومحارباً لعلّي عليه السلام الخليفة الراشد. وعائشة رضي الله عنها هي التي نبحتها كلاب الحوآب كما تنبأ بذلك رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، كما جاء في الحديث: "أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب" (١) فضحكت عائشة رضي الله عنها فقال "إياك أن تكوني يا حميراء" ثم قال لعلّي عليه السلام "إذا ولّيت من أمرها شيئاً فافرق بها" وقد فعل الإمام علي عليه السلام حيث ردها بعد المعركة معززة مكرمة مع أخيها محمد بن أبي بكر رضي الله عنه.

فالأحاديث التي ترفع من قدر عمر رضي الله عنه، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يلاحظ أنه مدرج فيها الطعن في خلق وعدالة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام. وامتازت عائشة عن بقية أمهات المؤمنين بحربها لعمدة آل البيت علي عليه السلام وخروجها عليه. وهو الذي من النبي "بمنزلة هارون من موسى" (٢) كما جاء في الحديث. وهو الذي قال له النبي صلى الله وبارك عليه وآله "حربك حربي وسلمك سلمي" وهو الذي كان في آية المباهلة من الرسول بمنزلة نفسه قال تعالى ﴿... وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾ (٣) ولم يكن غير الإمام علي عليه السلام! وقد رجعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن موقفها من الإمام علي عليه السلام.

لم يكن نصيب بقية زوجات الرسول منه صلى الله وبارك عليه وآله أقل من نصيب عائشة رضي الله عنها، لأن عدله وخلقه وحياءه يأبى غير ذلك، فلا نصيب لعائشة رضي الله عنها فيه أكثر من غيرها من زوجاته. أما خديجة رضي الله عنها فقد كان لها نصيبهن مجتمعات لأنها لم تشارك فيه حتى انتقلت. لذلك كانت من سيدات نساء أهل الجنة. فاعتقاد عدل النبي صلى الله وبارك عليه وآله بين أزواجه - عند المؤمن الصحيح العقيدة - أولى وأسلم له من قبول حديث يرفع قدر إحداهن فتنتفي بالتالي عدالته في بيته. ولا يحاسب المسلم على أنه لم يأخذ بحديث البخاري بتفضيل عائشة،

(١) أحمد بن حنبل

(٢) البخاري

(٣) سورة ال عمران، الآية: ٦١

ولكنه يحاسب بقبوله الطعن في عدالة النبي صلى الله عليه وآله بين أزواجه، وفي خلقه العظيم الذي مدحه الله به إذا أخذ بمثل هذا الحديث. ولن يشفع له البخاري ولا من روى عنهم ولا من في الأرض جميعاً لقوله في صاحب الشفاعة ما لا يليق.

يراد منا قبول كل ما يرد إلينا من أحاديث بما فيها من تقليل من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله، ذلك لأنها تمجد أحد أجلاء الصحابة الذين لا ينبغي الحديث فيهم أبداً - كما يرى بعض العلماء - لأن أي نقد لموقف أحدهم هو طعن في الدين كما يظنون!!! وذلك يعني عصمتهم - وإن لم يصرح بها هؤلاء - بينما يجوز عندهم قبول الكلام والطعن في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله.

فواقع الدين الآن هو أن الصحابة غير معصومين كما يعتقد كل المسلمين. ولكن لا يُطعن فيهم أبداً والطعن فيهم خروج عن الملة فكيف يتفقان؟! والنبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله معصوم ولكن يُطعن فيه ويقال بأنه يهذي، ويمكن أن يعصى بحضرته، ويتهم بأنه مسحور، ويؤيد الله من يعارضه ويعاتبه هو، والشيطان يلقي في لسانه وهو يقرأ القرآن في الصلاة، ويعترضه في صلاته حتى يضطر لخنقه. فيقولون بعصمته وينكرونها في الواقع، وينكرون عصمة الصحابة قولاً ويعتقدونها في الواقع!!! والنبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله لا يعلم - كما يقولون - من أمور الدنيا شيئاً كما جاء في حديث "أنتم أعلم بأمر دنياكم" ^(١) ولا يعلم كذلك من أنباء الغيب كما يقولون!!! حتى يجردونه بذلك عن العلم كله نهائياً ثم يُسقطون حديث "أنا مدينة العلم وعليّ بابها"!!!

يراد منا أن نقبل أن الرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله يعبس في وجه من يريد أن يأخذ عنه الدين، لأنه أعمى وتردريه الأعين!!! يعبس في وجهه كما يعبس الكافر الذي

(١) مسلم

ذمه الله بقوله ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾^(١) فيشترك مع الكافر في صفة "عبس" لأنها صفة مذمومة من صفات سوء الخلق، حتى لا يصح فيه مدح الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) وحتى يكون فعله مخالفاً لقوله "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(٣) فتنتفي مقاصد البعثة وليكون محل قول الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤) لتنتفي محبته لعدم الصفات المحببة بل لوجود الصفات المذمومة!!!

قد يقول قائل إذن فيمن أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(٥)؟ أقول ألا تجد في كل خلق الله الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله من يعبس في وجهه الأعمى الذي يطلب من يرشده إلى الله غير محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله الأسوة الحسنة صاحب الخلق العظيم؟؟ وهل تستريح نفسك أن تنسب خلقاً ذمياً للحبيب لأن أحد الناس قال ذلك؟ مهما كان وزن القائل الذي لم يلزمك الله بقوله؟ ثم إن الله تعالى لم يخاطب نبيه صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله بقول: عبست وتوليت بل الخطاب له صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله عن شخص آخر "عبس وتولى" لسوء خلقه فابحث أنت عن هذا الذي عبس وتولى، ولتكن في جانب تنزيه الحبيب عن مثل هذا الخلق، الذي لا يليق إلا بكافر أو منافق أو صاحب خلق سيئ على أقل تقدير، لا يستحق صاحبه أن يكون أسوة حسنة، فإنه نجاة لك من اتهام الرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله ، وأسلم لعقيدتك من أن تلطخها باعتقاد خلق ذميم - كالعبوس في وجه المسكين - ولن ينجيك في الآخرة اعتذارك بحديث البخاري من الجحيم، إذا سئلت عن نسبة خلق ذميم، لصاحب الخلق العظيم، بنص القرآن العظيم.

يراد منا أن نرى رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله ، يقبل أن تكون مزامير الشيطان في بيته وبحضرته، حتى يأتي أحد الصحابة الأحرص على الدين من رسول

(١) سورة المدثر، الآية: ٢٢

(٢) سورة القلم، الآية: ٤

(٣) أحمد بن حنبل

(٤) سورة الصف، الآيات: ٢، ٣

(٥) سورة عبس، الآية: ١

اللَّهُ صلى الله وبارك عليه وآله - كما يبدو من الحديث - ليصح هذا الأمر (أمزامير الشيطان في بيت رسول الله) ..!

يراد منا أن نقبل هذه الأحاديث، وكل الأحاديث التي تمجد أصحاب رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، وترفع من قدرهم وإن كان فيها تنقيص لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في عدالته وخلقه وعلمه وعصمته وسلوكه، لأنه جاء في الحديث "إذا ذكر أصحابي فامسكوا". ولو سألت لمن قيل هذا الحديث لكانت الإجابة الحتمية: لغير الأصحاب. إذاً فإن المخاطبين الذين سمعوه من رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله هم غير صحابة، وحذرهم النبي عن الكلام في الصحابة. وذلك يعني أنهم إما منافقون وإما كفرة. وهذا يحتم عدم أخذ الحديث عنهم وهم الذين سمعوه، وهم المخاطبون المحذرون عن الكلام في الصحابة. فلو كانوا صحابة لكان الحديث "إذا ذكرت فليمسك الناس". والرسول صلى الله وبارك عليه وآله لم يخاطبنا نحن مباشرة بل نقله إلينا من خاطبهم إن صح أن هناك حديث أصلاً. فمتن هذا الحديث كفيلاً بنقضه. والله جل شأنه تكلم في الصحابة ووصف أحدهم بالفسوق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾^(١) وحذر المؤمنين منهم ألا يكونوا مثل كفار اليهود في تعاملهم مع النبي صلى الله وبارك عليه وآله قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى...﴾^(٢). والرسول صلى الله وبارك عليه وآله أخبر حذيفة بأن هناك منافقين بين أصحابه وعرفه بهم. وجاء في صحيح مسلم "في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط"^(٣). وقال عن أصحاب يداحون عن حوضه "أقول أصحابي" فيقول "لا علم لك بما أحدثوا بعدك لقد ارتدوا القهقري منذ تركتهم"^(٤).

إذاً فالعقيدة - المرفوضة عندنا - التي هي مبنية على قبول مثل هذه الأحاديث، هي أنه لا يجوز الطعن في صحابي، ولا ندري إن كان منافقاً أم لا، حتى ولو أدى ذلك

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩

(٣) مسلم

(٤) البخاري

الصحابي رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله وعصاه!! ذلك ليتسنى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله وإيذاءه اقتداءً بذلك الصحابي لأن هناك حديث آخر "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم". وهذا الحديث متنه يلغيه كسابقه. يضاف إلى ذلك أنه لا يستوي من كان من النبي بمنزلة هارون من موسى وقال فيه النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله "من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"^(١) لا يستوي هذا مع من عاداه وحاربه الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله "إنه صعلوك"، "لا أشبع الله بطنه" وقال عن أمه "أكلة الكبود" وهو من الطلقاء. لأن الحق لا ينقسم بين خصمين فإما عليٌّ على حق أو من عاداه - الذي عادى الله بنص الحديث - وهو معاوية الذي بغى على الخليفة الراشد علي عليه السلام وأمر بسبّه على منابر المساجد. قال علي عليه السلام "ليس منا من ساوى بيننا وبين عدونا". أضح مع هذا حديث "بأيهم اقتديتم اهتديتم"؟ إن من يرى صحة ذلك فإن حزبه هو حزب من يدافع عن معاوية ويقتدي به، ويلعن علياً عليه السلام ويعاديه - اللهم العن من لعن علياً - ويرفع السيف في وجهه كما فعل عمرو بن العاص، ويعلن الحرب على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله الذين قتلهم المغضوب عليه يزيد بن معاوية ..! ويجب عليه أن يقبل كل الأحاديث التي تمجد معاوية وتمجد الصحابة رضي الله عنهم حتى ولو كان فيها طعن في رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله! يقبلها ولو طعن الصحابي - إن جاز أن يسمى من يطعن في رسول الله صحابياً - في عصمة رسول الله ووصفه بالهذيان وعصاه، ورفض تنفيذ أمره ومنع الآخرين عن تنفيذ أمره. ويكون بهذه العقيدة الفاسدة قطع صلته برسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله وآل بيته عليهم السلام، ويدعي بعد ذلك أنه مسلم ثم يقول للملأ "حسبنا كتاب الله" كما قالها عمر رضي الله عنه استناداً على حديث الكتف والدواة ..!

ويمكن كذلك لكل إنسان أن يسلك ذلك السلوك القبيح البشع نفسه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله - إذا قبلنا حديث الكتف والدواة - مقتدياً بعمر رضي الله

عنه، وكذلك يأمر بلعن علي عليه السلام على المنابر في المساجد في خطبة الجمعة أو على أقل تقدير لا ينكر على من يفعل ذلك، ويعلن الحرب عليه وعلى آل البيت كما فعل معاوية وعمرو بن العاص ويقول "بأيهم اقتديتم اهتديتم" وعلى الدين السلام. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن توقير الرسول صلى الله وبارك عليه وآله فرض على الأمة ولا يجدر بمسلم قبول تجريد الرسول صلى الله وبارك عليه وآله عن التوقير، وذكر اسمه الشريف مجرداً غير مقرون بالنبوة أو الرسالة أو الصلاة عليه. فالله جل شأنه لم يذكر اسمه مجرداً في كتابه الكريم بل بـ "يا أيها النبي" أو "يا أيها الرسول" أو مقروناً بالرسالة. لذلك لا ينبغي لمسلم أن يذكر اسمه مجرداً أو يقبل ذلك. قال تعالى ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١) وقال جل شأنه ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٢) وقال صلى الله وبارك عليه وآله "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي"^(٣). والذاكر أولى بالصلاة من المذكور عنده. وإذا تقرر هذا فإنه يجب أن لا يكون هناك عذر أو محاولة التماس عذر، لمن يذكر اسم النبي صلى الله وبارك عليه وآله مجرداً دون توقير، أو تعريف بالرسالة، أو الصلاة عليه، بل يجب أن يكون محل ذلك الغضب لله ورسوله ..!

وقد جاء في الحديث أن أبا بكر رضي الله عنه قال في أول خطبة بعد ارتحال النبي صلى الله وبارك عليه وآله "أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات". أليس في هذه الجملة التي نسبت لأبي بكر رضي الله عنه اتهام لعقيدة كل الصحابة الذين مكث بينهم الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ثلاثة وعشرين عاماً يعلمهم التوحيد وعبادة الله الواحد؟ أم أن محمداً هذا الذي يعنيه أبو بكر رضي الله عنه هو غير محمد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة،

(١) سورة الفتح، الآية: ٩

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣

(٣) الترمذي

وعلمهم أنه لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله؟ لأن عبارة "من كان يعبد محمداً" تعني أن هناك اتهام من أبي بكر رضي الله عنه لكل الصحابة الموجودين بعبادة محمد هذا الذي ذكره أبو بكر رضي الله عنه هنا. وأن ما علمهم إياه محمد صلى الله وبارك عليه وآله كان يوحى بتأليهه هو أو يفهم منه عبادته هو من دون الله. والسؤال هو: هل كان محمد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في أدائه لرسالته لم يوضح معنى لا إله إلا الله أو قصر في تعريفه من يُعبد أو يخص بالعبادة؟ أم هل كان في تعاليمه وشرعه وسنته وتربيته لجيل الصحابة ما يوحى أو يشير أو يرمز لعبادته هو من دون الله، حتى يثار هذا الحديث ويكون مجالاً للوعظ العاجل لكل الذين أخذوا عقيدتهم عن محمد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في أول سانحة بعد ارتحاله؟ وأنهم، أي كل أصحابه، أصبحوا مثار شك في عقيدتهم وأنها تحتاج إلى تصحيح بأسرع ما يكون بعد ارتحال النبي صلى الله وبارك عليه وآله وقبل أن يتم تجهيزه؟ أليس في هذه الجملة أيضاً كل الجفاء والمخالفة لأمر الله تبارك وتعالى بالتوقير للنبي صلى الله وبارك عليه وآله أو الجهل الكامل به وبقدره؟ أم أن توقيره انتهى برحيله صلى الله وبارك عليه وآله؟ أترى أن أبا بكر رضي الله عنه يستنكف أن يضيف عبارة رسول الله بعد ذكر اسمه الشريف "محمد"؟ أتراه يستنكف أن يصلي عليه بعد توقيره بذكر الرسالة؟ أترى أنه إذا قال "من كان يعبد محمداً رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله" سيقطل ذلك من شأن أبي بكر رضي الله عنه عند من خاطبهم؟ وما هو الضرر الذي كان سيصيب أمة محمد صلى الله وبارك عليه وآله الممثلة في أولئك الصحابة الذين شهدوا ذلك الموقف إذا كانت كلمات أبي بكر رضي الله عنه كالاتي "من كان يؤمن أن محمداً رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فإن محمداً صلى الله وبارك عليه وآله قد ارتحل إلى الرفيق الأعلى وترك فينا شرعه وسنته"؟ هل لو كانت بهذه الصيغة ستكون سبباً في ردة الصحابة الموجودين آنذاك؟ الإجابة قطعاً لا وألف لا اللهم إلا إذا قلنا أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لم يبلغ الرسالة، ولم يؤد الأمانة ولم يرب جيلاً لمدة ثلاثة وعشرين عاماً يقر بلا إله إلا الله. إذاً لماذا نسب لأبي بكر رضي الله عنه القول بتلك الصيغة المرفوضة عرفاً ودينياً؟

إن قبول تلك المقولة الكريهة ومحاولة إيجاد العذر لأبي بكر رضي الله عنه - حيث لا يوجد - أمر بعيد كل البعد عن الدين ومحبة النبي وتوقيره المفروض على كل مسلم. ولا يمكن صدور مثل هذه الكلمات عن خليفة راشد لأنه لا يوجد لها سبب ولن يوجد. والتبرير بهول الفاجعة مردود لأنه لا يمنع من توقير الراحل العظيم الذي يجب على خلفه السير في طريقه وعلى شرعه الشيء الذي يوجب توقيره - المفروض أصلاً بنص القرآن - حتى يعلموا أن محمداً صلى الله وبارك عليه وآله موجود فينا بشره وسنته. قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾^(١). والقول بأن "محمداً قد مات وأن الله حي لا يموت" دون ذكر الرسالة والصلاة عليه يوحي بأن سنته وتعاليمه وتوقيره انتهت برحيله وعلينا أن نأخذ بعد ذلك من الله مباشرة دون الرجوع إلى محمد صلى الله وبارك عليه وآله وما آتانا وما نهانا. وهي لا تختلف في معناها عن "حسبنا كتاب الله" المنسوبة لعمر بن الخطاب (رض) في حديث الكتف والدواة. وكون "الله حي لا يموت" فهذه معروفة لدى اليهود والنصارى ومن قبل الرسالة المحمدية.

ونحن هنا أيضاً في خيار أمام أحد أمرين لا ثالث لهما: إما أن نرفض أن أبا بكر قال خطبته بتلك الصيغة المرفوضة شرعاً وعقيدة! وإما أن يكون قد افتتح عهده بعد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بعدم توقيره، وسنّ سنة ذكر اسم محمد صلى الله وبارك عليه وآله مجرداً بغير الرسالة ودون الصلاة عليه مخالفاً قول الله تبارك وتعالى ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾. ويكون أول من يوصف بالبخل في أمة محمد صلى الله وبارك عليه وآله لعدم الصلاة عليه بعد ذكر اسمه الشريف لقوله صلى الله وبارك عليه وآله "البخيل من ذكرت عنده ولم يُصل علي"، والذاكر أولى بالصلاة من المذكور عنده. وما من مجلس لم يُصل فيه على النبي صلى الله وبارك عليه وآله إلا كان ترة على أصحابه يوم القيامة كما ورد في الحديث. وكذلك يكون أبو بكر (رض) قد اتهم الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بعدم نصح

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧

الأمّة، وعدم توضيح معنى لا إله إلا الله، وأنه كان في تبليغه للرسالة يرمز إلى أن يُعبد هو من دون الله، حتى احتاج ذلك لنفيه ووعظ الصحابة فيه في أول فرصة سنحت بعد ارتحاله صلى الله وبارك عليه وآله ، وأنه رضي الله عنه كان يتهم كل الصحابة في عقيدتهم وتوحيدهم، أو يشكّ في عبادتهم الخالصة لله الواحد الأحد، أو أنهم كانوا يخلطون عبادة الله سبحانه وتعالى بمحمد صلى الله وبارك عليه وآله. وتنزيه أبي بكر (رض) عن هذه المقولة أسلم حتى لا يبقى بيننا من ينق ويردد ويجتر هذه الكلمات، ويقول أنه مقتد بأبي بكر (رض) اتكالا على حديث "بأيهم اقتديتم اهتديتم".

الذين يدخلون الجنة ..!

أحابي

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(١) فالجاهل يفهم من ذلك إعلان الحرب عليه، وإعداد العدة لملاقاته وحرقه وإعدامه. ولن يستطيع لأن الله استجاب له حين دعاه فجعله من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم. وأعطاه الحق في الاستفزاز والمشاركة في المال والولد، وقال له: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٢).

أما العاقل فيعرف من كلام الله تعالى أن الشيطان عدو له، ويتخذ عدواً كما أمر الله. ولا يتجاوز هذا الأمر إلى كيفية المعاملة معه. لأن هذه الآية لم تأمره بعد أن يتخذ عدواً أن يعامله بالحرب ومحاولة إعدامه. أي أن الآية لم تتكلم عن كيفية التعامل مع هذا العدو!! كل ما أمرت به الآية هو أن تتخذ الشيطان عدواً. فهذا أمر رباني واجب على كل مسلم.

أقول إن العاقل ينظر في كيف يعامل هذا العدو بعد أن يتخذ عدواً. فينظر إلى مراجعه الدينية فيجد في أمها وأهمها أن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣). فيلزم نفسه بهذه القاعدة والتوجيه الرباني نحو هذا العدو، وهي الدفْع بالتي هي أحسن للعدو ويطلب من الله الإعانة على كيفية هذه المعاملة التي أمر بها مع العدو، لهذا يسارع صاحب التعصب الديني العاطفي ويقول: كيف أدفع بالتي هي أحسن للشيطان؟ ويستشيط غضباً...

(١) سورة فاطر، الآية: ٦

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٤

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٤

وأقول هوناً فما نجح غضبان وما أفلح متسرع عجلان ، فإن للشيطان سيد لا يتعدى أمره ولا يجاوز إرادته. لأنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. فإذا سلمت أمرك إليه، واستعنت به على عدوك، ودعوته وألححت عليه، فقد دفعت بالتي هي أحسن. فالله يحب أن تدعوه وتتودد إليه وتلج عليه لأن ذلك عبادة ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١) و"الدعاء مخ العبادة"^(٢) والله هو سيده، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويستجيب لك قطعاً فقد استجاب لإبليس حين دعاه فهو المجيب لقوله تعالى ﴿...فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٣) فيسلب عنه الحول والقوة كما تنازلت أنت عن حولك وقوتك بتسليمك له تعالى. فكما صرت أنت لا حول ولا قوة لك إلا بالله، كذلك يبقى عدوك لا حول له ولا قوة إلا بالله. والحقيقة هي أنه أصلاً لا حول ولا قوة لمخلوق إلا بالله ولكن معرفة هذه الحقيقة ومعايشتها هي التي تعطي تأثيرها. فيزول سلطانه الذي كان يخيفك ويقول الله تعالى له ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٤). فتحمد ربك الذي علمك كيفية التعامل مع العدو - أياً كان ذلك العدو - لتسعد بنعمة السلام - والسلام هو الله - فيزيد عليك السعادة لحمدك له وشكرك لأنه قيّد الزيادة بشكره تعالى حيث قال ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٥).

فالذي يطلب العلم يلزمه التجرد عن العاطفة عند البحث ويلزمه نصب الميزان - إن كان من أصحاب الميزان - بعد معرفة الميزان وكيفية وضعه. والعلم والاستزادة لا تكون إلا مما نجهل. والمرء عدو ما جهل. فلا تجعل عداوتك للمجهول هذه سبباً لحرمانك من المعرفة بل اجعلها سبباً لزيادة المعرفة، وذلك بإحسان كيفية التعامل مع هذا الذي تجهل، بأن تدفع بالتي هي أحسن، وقد تكون هنا حسن الظن وهو كاف لمن يقرأ بتدبر.

ترى أين يكون موقع من يرى تقديراً أو مكانة لأحد صدر عنه عدم تصديق لرسول الله صلى الله عليه وآله ولو بتلويح أو بإشارة؟ لا شك أن موقعه خارج دائرة

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

(٢) الترمذي

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٦٥

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٧

الإسلام. لأنه وقر من لا يصدق النبي، إذ يجب عليه أن يرى فيه الكفر بدلاً عن أن يرى له مكانة أو تقديراً. فإن ثقته في من لا ثقة له بالنبي صلى الله وبارك عليه وآله ، تجعله موالياً لمن لا يصدق النبي وهو الكفر بعينه. وإذا كانت موالاته هذه عن تقدير له بعد معرفة ما صدر عنه فهي الطامة على العقيدة التي ليس بعدها. فالنبي صلى الله وبارك عليه وآله معصوم عن الكذب ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ^(١). فأى تشكيك في قوله أو عدم تصديق له كفر ما بعده كفر.

فإذا بشر النبي صلى الله وبارك عليه وآله أحداً بالجنة فلا مجال للتشكيك وإلا فهو الكفر. وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله "أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة". وهذا الحديث صحيح الإسناد... فكيف يقول أبو بكر في خلافته: "لو كانت إحدى رجلي في الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله". أليس بمصدق لما قاله النبي صلى الله وبارك عليه وآله ؟ قد يقول قائل إنما قال أبو بكر ذلك لقول الله تبارك وتعالى ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ^(٢) أقول إن كان ذلك فهذه هي الطامة الكبرى!!! هل كانت هذه الآية غائبة عن علم رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ؟! أيعلم أبو بكر من القرآن ما لا يعلمه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ؟! أيقول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله شيئاً ويقرره ولا يزال هناك فيه شك من الله؟ ومن الذي يبين القرآن للناس غير محمد صلى الله وبارك عليه وآله ؟ أم ترى أنه يسلب هذا الحق في التبيان رغم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ^(٣) ثم يقال "حسبنا كتاب الله" ليتم تبينه وتفسيره على الهوى مصادماً لقول النبي ؟! إن الأمر النبوي هو المبين للقرآن والمفسر له متى ثبتت صحة إسناده ولا مجال لغير ذلك

(١) سورة النجم، الآية: ٣

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٩

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤

إِنْ كُنَّا مُسْلِمِينَ. ذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

فَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ (رَضَ) - إِذَا صَحَّ - يَدُلُّ إِمَّا عَلَى أَنَّهُ لَا يَثِقُ بِتَبَشِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ لَوْجُودِ الْآيَةِ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢) وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ تَوَاضَعًا أَوْ تَعْلِيمًا لِلنَّاسِ!! لِأَنَّ فِيهِ تَشْكِيكَ لِمَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَيُّ تَوَاضَعٍ أَوْ تَعْلِيمٍ يَشْكُكَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَهُوَ الْجَهْلُ وَالْكَفَرُ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُتَّهِمٌ لِلنَّبِيِّ بِمُخَالَفَةِ الْآيَةِ، وَغَيْرُ مُصَدِّقٍ لَهُ، وَهَذَا هُوَ الْكَفَرُ بَعِيْنُهُ نَاهِيكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ نَرَفُضَ قَبُولَ الْحَدِيثِ!! فَإِذَا ثَبَتَ الْحَدِيثُ وَثَبَّتْ مَقُولَةُ أَبِي بَكْرٍ "لَوْ كَانَتْ إِحْدَى رِجْلِي فِي الْجَنَّةِ... الخ" فَمَوْقِعُ أَبِي بَكْرٍ هُوَ عَدَمُ التَّصَدِيقِ فِي مَا يَقُولُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَلْ انْعِدَامُ الثَّقَةِ فِي أَقْوَالِهِ!!! إِذَا فَالْأَسْلَمُ هُوَ إِمَّا رَفْضُ قَبُولِ الْحَدِيثِ أَوْ رَفْضُ قَبُولِ مَقُولَةِ أَبِي بَكْرٍ. وَرَفْضُ الْحَدِيثِ أَوَّلَى لِحَادِثَةِ أُخْرَى هِيَ:

إِنْ عَمَرَ بَنَ الْخَطَّابِ (رَضَ) حِينَمَا حَضَرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قِيلَ لَهُ اجْعَلِ الْخِلَافَةَ لِابْنِكَ عَبْدَ اللَّهِ فَقَالَ "كُفَى أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَاحِدٌ مِنْ آلِ الْخَطَّابِ"، وَكَانَ يَسْأَلُ حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ هَلْ هُوَ مِنْهُمْ أَمْ لَا. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ حَدِيثٌ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَعْلَمُ عَمَرَ بَنَ الْخَطَّابِ أَنَّهُ بَشَّرَهُ فِيهِ بِالْجَنَّةِ وَرَغِمَ ذَلِكَ قَالَ تِلْكَ الْمَقُولَةَ، وَشَكَّ ذَلِكَ الشَّكَّ يَكُونُ قَدْ خَرَجَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَذَلِكَ الشَّكُّ عَنْ تَصَدِيقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَنْ الْجَنَّةِ!!! فَالْأَسْلَمُ أَنْ لَا يَكُونَ هُنَاكَ حَدِيثٌ لِسَلَامَةِ عَقِيدَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ (رَضَ).

(١) سورة الحشر، الآية: ٧

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٩

وهناك حادثة ثالثة وهي قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ^(١) وهذه الآية نزلت في طلحة وهو من العشرة المبشرين في هذا الحديث - لأن طلحة - قال: "لئن مات محمد لأنكحن عائشة من بعده" كما جاء في تفسير ابن كثير، وجاء في تفسير فتح القدير (بلغنا أن طلحة ابن عبيد الله قال أychد بنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا. لأن حدث به حدث لتتزوج نساءه من بعده) فنزلت هذه الآية. وأخرج بن جرير عنه (أتى بعض أزواج النبي صلى الله وبارك عليه وآله فكلمها وهو ابن عمها فقال النبي "لا تقومون هذا المقام بعد يومك هذا" قال يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجها من بعده) فأنزل الله هذه الآية.

وطلحة هو الذي خرج باغياً بسيفه على الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي عليه السلام وقُتل محارباً له!! فكيف يكون من المبشرين، وهو داخل في دعوة النبي صلى الله وبارك عليه وآله لعلي عليه السلام "اللهم عاد من عاداه" ؟ وأي عداوة بعد الحرب حتى الموت؟ وكيف يكون عدوان التقيا بسيفيهما وكلاهما في الجنة؟ وكيف إذا كان أحدهما باغٍ على الإمام، وقُتل محارباً باغياً ناكثاً يكون مع الإمام في الجنة!!؟.

فثبتت الحديث مع مقولة أبي بكر وعمر (رض) يخرجهما عن الجنة، ويدخل النواصب أعداء علي عليه السلام أهل البغي الذين نكثوا بعهدهم وحاربوه، وأذوا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الجنة!!! كما أن هناك في الصحابة من وردت أحاديث صحيحة في حقهم بأنهم من أهل الجنة كجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وسيدي شباب أهل الجنة وبلال وعكاشة وحمزة سيد الشهداء وعمار بن ياسر. والنبي صلى الله وبارك عليه وآله بشر كل أمتة بالجنة ولم يقصرها على عدد معين فقد جاء عنه صلى الله وبارك عليه وآله "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قيل ومن أبى يا رسول الله، قال "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" ^(٢).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٢

(٢) البخاري

ونجد في الأمة من غير أصحاب النبي صلى الله وبارك عليه وآله من أمر النبي أصحابه طلب الدعاء منهم مما يدل على شرفهم وعلو مقامهم. فقد قال أويس القرني وهو خير التابعين بشهادة سيد المرسلين لعمر بن الخطاب ومن معه "ما رأيتم رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله إلا كالسيف في غمده" ^(١). وما توجيه النبي صلى الله وبارك عليه وآله لعمر بالتماس الدعاء من أويس، إلا ليعلم أن هناك في الأمة غير الأصحاب من يعرفه النبي، وهو يعرف النبي صلى الله وبارك عليه وآله أكثر من أصحابه الذين عاصروه، وله دعوة يحتاج لها الأصحاب، الذين قصرت معرفتهم برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله عن معرفته. وحديث النبي صلى الله وبارك عليه وآله حق ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾. وهذا الحديث يمنع القطع بأن صحابة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أفضل الأمة كما أفتى بذلك كثير من علماء المذاهب. والصحابة رضي الله عنهم فيهم من قال الله فيه ﴿...إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ ^(٢) وكان فيهم ذو الخويصرة الذي قال للنبي "أعدل يا محمد"، وقال فيه النبي صلى الله وبارك عليه وآله "يخرج من ضئضيء هذا أناس يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية". وكان فيهم مروان بن الحكم الذي نفاه الرسول صلى الله وبارك عليه وآله. وكان فيهم اثنا عشر منافقاً كما ذكر مسلم في صحيحه. وهناك حديث رواه أحمد بن حنبل "وددت أني لقيت إخواني قال: فقال أصحاب النبي صلى الله وبارك عليه وآله أوليس نحن إخوانك قال: أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني". هذا الحديث يشير إلى حب النبي صلى الله وبارك عليه وآله للقاء أولئك النفر الذين آمنوا به ولم يروه. وسماهم إخوانه. وإن الذي تود لقاءه هو الحبيب. فهؤلاء هم أحب الناس إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله وأكثر الناس حباً له وليسوا أصحابه.

يستحيل وجود الحب لزيد عند من يقول "إن عمرو يحب زيداً أكثر مني" إن كان يدعي محبة زيد فذلك يرفضه العقل السليم. فالذي تحبه تقديه بنفسك وبكل ما تملك

(١) مسلم

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦

- دون تردد ودون أن يطلب منك - بكل صدق وإخلاص. إذ المعلوم أن الذي تحبه حقاً لا ترى مثيلاً لك في محبتك إياه، بل لا تقبل بوجود من يدّعي أنه يحبه مثلك. فالمحب لا يقبل أصلاً وجود من ينافسه في حبيبه إن كان صادقاً، ناهيك عن أن يرى أحداً يفوقه. وإلا لا يكون محباً أصلاً، بل صاحب دعوى يكذبها الواقع. فكل من يقول إن فلاناً يحب النبي أكثر مني فهو غير محب للنبي بالتأكيد!! أتراه صادقاً في حبه لزيد من يقول "إني أحب زيدا لكن عمرو - لأنه جليل القدر رفيع المكانة - يحبه أكثر مني"؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "حبك الشيء يعمي ويصم" فالذين يود النبي لقاءهم رغم وجوده بين صحابته هم أهل الود والحب وهم أفضل منزلة عنده صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، وبالتالي هم أفضل من الصحابة لأنه سماهم إخوانه وأحب لقاءهم. ومنهم من الصحابة علي عليه السلام لأنه آخاه بنفسه حينما آخى بين المهاجرين والأنصار وقال "علي أخي في الدنيا والآخرة".

وحبّ النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله فرض عين على كل مسلم، ولا يتم الإيمان إلا به، أي لا تكون مؤمناً حتى تحبه أكثر من نفسك التي بين جنبيك. فكيف تكون صادقاً في حبك له إذا قبلت بوجود من يحبه أكثر منك أو مثلك؟ ولا أعني بذلك عدم محبة الآخرين له، بل العكس تماماً فإني أرى وجوباً على الكل محبته لكمال خلقه وخلقه وعظمته. ولكن يجب على كل محب صادق أن يرى محبة الآخرين لا ترقى لمحبتة، وإلا انتفت المحبة؛ ولو كان أولئك الآخرين هم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله. لذلك فإن من يفتي بأنه لا يوجد من يحب النبي أكثر من أبي بكر، هو نفسه غير محب صادق للنبي، لأنه واجب عليه وفرض أن يحب النبي أكثر من نفسه، ولا يصح وجود أبي بكر بينه وبين نفسه، وهو أمر لا يقبل التنازل عنه لأبي بكر (رض) ولا لغيره، مع عدم إنكار محبة أبي بكر وغيره أو عدم إثباتها. لأن المحبة محلها الصدور التي لا يطلع عليها غير الله وحده والذي يعلم ما تخفيه. وعلى كل مؤمن إن كان من الذين ﴿...إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾^(١) ألا يدعي معرفة ما في صدور الآخرين صحابة كانوا أو تابعين.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢

لأنّ ذلك من شأن رب العالمين. وهو ادعاء للالوهية كما فعل فرعون. وأن لا يحدد ترتيبهم في القرب من رب العالمين بالترتيب السلطوي أو الترتيب الزمني ، لأنه تدخل في الشأن الإلهي فالله هو الذي يحدد من الأقرب.

الدين المعاملة

أحابي

كُنَّا نعلم قول الحبيب الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" ، وكلنا مصدق كل الصدق ما جاء فيه بل يعتقد عقيدة جازمة لا تقبل النقيض. ولكن دعونا ننظر إلى الواقع الاجتماعي والتعامل الديني ف "الدين المعاملة" كما جاء في الحديث الشريف. أي يُعرف دين المرء بمعاملته. فكيف تعامل من سمعت أنه ارتكب ذنباً يتحدث به الناس؟ أقول سمعت... لا رأيت... وتدور الأقوال عنه في المجتمع ويُنظر إليه بعين الاحتقار والازدراء، ويثن المجتمع من كثرة الكلام فيه بما تشتمز منه الأسماع؟ بل كيف تعامل من رأته بعيني رأسك ارتكب ذنباً لم تكتمل فيه البيئة الموجبة للحد الشرعي؟ وإن لم تكتمل البيئة وجب على الشاهد الصمت وإلا جُلِد حد القذف. ولذلك قال صلى الله وبارك عليه وآله للذي قال "إني رأيت رجلاً مع امرأة" قال له "لو سترته بثوبك كان خيراً لك" ^(١) ذلك لأن الشاهد واحد وهو ليس ببيئة كافية لإقامة الحد. وكلامه إذا لم تعضده البيئة الكافية صار قذفاً يُوجب عليه الحد. كيف إذا كنت أنت ذلك الشاهد؟ لا شك أنك ستلزم الصمت إذا خفت من أن يقام عليك حد القذف، أو إذا كنت من المؤمنين الذين لا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. "من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" ^(٢) وهذا لا شك من الخلق العظيم الذي يجب أن يتأسى بصاحبه كل محب له ويصلي عليه. ولكن ليست هذه نهاية الأمر بل الأمر هو كيفية التعامل مع من رأته ارتكب ذنباً وسترته.. ف "الدين المعاملة" .. هل تعاملك هو الاحتقار والازدراء والسخرية كل ما رأته وإشعاره بانحطاط قدره عندك وبأنك تعلم مساوئه؟

(١) أبوداود

(٢) البخاري

هل أصبح في قاموسك الاجتماعي من المغضوب عليهم من رب الناس، ولا يجب أن يعيش في المجتمع المسلم حتى لا يفسده؟ أم ترى أنه يجب أن يفتضح بين كل الناس حتى يعرفونه ويعزلونه عن التعامل معهم لأنه صار بذلك الذنب بذرة خبيثة تضر باختلاطها في المجتمع المسلم كما تظن؟.. المجتمع المسلم الملائكي! وهل خلق الله الناس ملائكة؟ وهل يوجد إنسان بلا خطيئة؟ وهل المجتمع المسلم هو الذي لا يوجد فيه من يذنب؟ وهل أنت نفسك أيها القارئ كالملائكة لم ترتكب ذنباً قط؟ أم لأنه لم يرك أحد تظن نفسك كالملائكة وتريد أن يجتث من المجتمع ذلك الذي رأيته ارتكب ذنباً؟ ثم ألا يمكن أن يكون ذلك المذنب قد تاب من ذنبه ذلك، حتى ولو لم يخبرك بأنه تاب؟ ألا يلزمك حسن الظن؟ وإن كان قد تاب وندم فما هو واجبك في التعامل معه؟ والحديث يقول "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" و"الندم توبة"^(١). ألا يكفي أنه ندم على ارتكابه ذلك الذنب فصار عند الله كمن لا ذنب له؟ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) كيف بك إذا جعلت سترك له وسيلة للضغط عليه وابتزازه؟ وهل يبقى لك دين إذا فعلت ذلك، والرسول صلى الله عليه وآله يخبرنا بأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له؟ كيف بك إذا تحدثت عنه بما رأيته فيه لتفشي ما أمرت بستره وهو أمر يوجب عليك حد القذف، بينما هذا المذنب عند الله كمن لا ذنب له؟ لأنه بمجرد رؤيتك له في حالة تلبسه يحصل له الندم و"الندم توبة" والله أكرم من أن يعذب عبده مرتين.

واعلموا أحبابي أن المسلم إذا وقع في الخطيئة وندم فقد تاب فإذا وقع فيها أخرى وتاب صادقاً فتلك علامة حب الله له لأنه من تاب، تاب الله عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾^(٣) يعني كثيري الأخطاء ولم يقل التائبين. فالأمر هو إذا اكتملت البينة نفذ حكم الشرع وإن لم تكتمل فالأمر إلى الله واسع المغفرة ولا مجال للحديث في المجتمع المسلم في أمر لم تكتمل فيه البينة.

(١) ابن ماجة وأحمد بن حنبل

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢

أراد الناس أن يرحموا الزانية لثبوت التهمة وطلبوا من روح الله وكلمته أن يقيم فيها حد الزنا بالرجم. فقال عليه السلام "من كان منكم بغير خطيئة فليلقها بحجر" ... هذا بعد ثبوت التهمة... فأين أنتم يا أحبابي المحمديين؟

أما أن الأوان لتصحيح المفاهيم الاجتماعية بالدين "الدين المعاملة"؟ أما أن الأوان لينقشع هذا العبوس عن الوجوه أمام أهل الزلل والضعف البشري لقول الله تبارك وتعالى ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(١) لتحل مكانه الابتسامة والترحاب وفتح باب الله الودود اللطيف واسع المغفرة؟ ابتسامة الأخوة الإسلامية النقية بدلاً عن المؤاخذة وسوء الظن؟ أما أن الوقت أن يلقي الأخ أخاه بقلب سليم وصدر رحب مليء بالمحبة والتسامح، وعين كليله عن رؤية عيوب الغير بصيرة بعيوب نفسها؟ فالمسلم هو أخوك وحبيبك وإن ارتكب من الذنوب العشرات بل المئات بل لو أسرف على نفسه ورأيت به عيني رأسك! فكن عوناً له ومساعداً، وآخذاً بيده إلى الفضيلة، وإلى حب الله وحب الشفيع الذي جعل شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وبشره بذلك، فذلك خير لك من حمر النعم وخير لك مما طلعت عليه الشمس. ولا تكن عوناً للشيطان عليه بسببه وازدرائه وتحقيره وإساءته وذكره في المجتمع بما يكره. فتلك غيبة و"الغيبة ذكرك أخاك بما يكره"^(٢) . قال "إن كان فيه ما أقول"، قال "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتك وإن لم يكن فيه فقد بهتته". فخذ بيد أخيك ولا تنظر في ما يقوله من لا دين له الذي يرى في حسن تعاملك مع أصحاب الزلل بالود والترغيب تهمة لك وطعناً في دينك. ولا يصدنك سوء ظنه الناتج عن سوء فعله.

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه

وصدق ما يعتاده من توهم

بل عليك بالالتزام بتوجيه الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله فقد ورد عنه "حببوا

(١) سورة النساء، الآية: ٢٨

(٢) مسلم

الناس في الله يحبكم الله" و"الدين المعاملة" وانظر لقول الله تبارك وتعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (٢).

فكل متحدث عن مسلم بقبيح القول ليس بمسلم ف"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (٢). فلا ينبغي الالتفات لما يقول الناس عن الآخرين، والحذر من القيل والقال ولا تحكم برأي الآخرين وظنونهم ف"الدين المعاملة". ولا تلق أذناً صاغية لما فيه تجريح للغير. بل كن زاجراً لأصحاب هذا السلوك المنحرف، حتى يسلم المجتمع من القيل والقال وسوء الأحوال. والمجتمع المسلم الصحيح يوجب الحد على كل قاذف إن لم يستطع الإتيان بالبينة الكافية. لذلك فإن الذين يتجسسون لكشف عورات الناس وخلق جرائم لهم بمحاولة جمع البينات عنها هؤلاء لا وجود لهم في مجتمع إسلامي ودولة مسلمين. فإن وجدوا فيها ورعتهم الدولة فلا يسمى هذا حكماً إسلامياً ولا دولة مسلمين بل سمه ما شئت غير الإسلام. والمتجسس على المسلمين يُقتل وإن تاب. وواجب الدولة المسلمة إقامة الحد على كل من يأتي بمعلومة عن عرض امرئ مسلم، لا قبول مثل تلك المعلومات، الأمر الذي يشجع على تتبع عورات المسلمين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله "فإنك إن تتبع عورات الناس أفسدتهم". فتتبع عورات المسلمين والتجسس عليهم ليس بخلق اجتماعي مقبول ناهيك عن كونه إسلامي. بل الإسلام يحرمه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣

(٢) البخاري

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢

العلم بالمنافقين

أحبابي

قال تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾^(٢). "نفى الله تبارك وتعالى عن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله العلم بالمنافقين" هكذا سارع أدعياء العلم والتفسير بنشر هذه الفتوى بهذه الصورة، أي أن هناك أموراً لا يعلمها رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، ويؤيد ذلك قول الله تعالى في هذه الآية ﴿... لَا تَعْلَمُهُمْ﴾!! ولا يدرون أنهم بذلك نصّبوا نفوسهم حكماً على رسول الله - مدينة العلم - وأنهم بذلك طعنوا في علمه وانتقصوا من قدره وادّعوا الإحاطة بمعنى كلام الله تبارك وتعالى!!!

ولو تريثوا قليلاً ونظروا إلى أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله أخبر حذيفة بن اليمان وأسرّ له بالمنافقين دون غيره من بقية الصحابة، لأحجموا عن إصدار هذه الفتوى أو لأفتوا بعكسها، فالواقع يقول إن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله أخبر حذيفة بالمنافقين، والله تبارك وتعالى في محكم تنزيله يخاطب الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بقوله ﴿... لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فافتي من يظنون أنهم علماء بأنهم يجب عليهم أن يقفوا مع -وهم حقيقة خالفوا- قول الله لأنهم يظنون أنهم موحدون أكثر من غيرهم!! ولظنهم في توحيدهم هذا أغمضوا أعينهم، أو تعاملوا عن حقيقة علم الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بالمنافقين، أو تناسوا أنه أسرّ لحذيفة بالمنافقين كي تستقيم فتواهم مع دعوى توحيدهم!! ويريدون - لحرصهم على التوحيد وخشيتهم على الأمة من الشرك والكفر والضلال كما يظنون - أن يثبتوا أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بشر، وليس له علم اختص به دون غيره من الناس. ذلك لأنهم يخشون

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠١

أن يُتخذ محمد صلى الله وبارك عليه وآله إلهاً لو ثبت له علم زائد على بقية الخلق!!! وكان يلزمهم نفي إخبار الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لحذيفة بالمنافقين تماشياً مع فتواهم هذه!! ولنهجهم هذا أيضاً تعاملوا عن فهم قول الله تعالى الذي ميّز رسله واستثناهم به عن بقية الخلق في الاطلاع على العلم المحجوب عن العامة - أو المضمون به عن غير أهله - وأثبت لهم به الاطلاع على الغيب دون بقية الناس. قال تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١). ووقفوا عند قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ...﴾ دون ذكر لبقية الآية المبينة لاختصاص الرسل المجتبيين بعلم الغيب ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فهم ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^(٢) وقطعوه ليوافق دعواهم رغم وضوح الآية في اختصاص الرسل المجتبيين، وهم الرسل الذين فضل الله بعضهم على بعض كما قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾^(٣). فكان أفضلهم محمد صلى الله وبارك عليه وآله ، ولذلك صلى عليه هو وملائكته، وفرض الصلاة عليه دون غيره. والتميز لا يعني التفريق. فالوجه أفضل الأعضاء في الإنسان ولكنه ليس جزءاً منفصلاً عنها. فالتميز لا يكون مع وحدة المسار ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤). والتفريق يعني التشيت والتباين والغيرية. قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٥). والله سبحانه وتعالى خص رسله بعلم زائد على الناس وإلا لم يكن لهم مزية بكونهم رسلاً أو أنبياء. ولا أرى في سعي بعض الناس - بدعوى التوحيد - إلى تجريد الرسل عما فضلهم الله به من علم إلا حسداً من عند أنفسهم ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٦) الذين اجتباهم وخصهم بعلم زائد لم يطلعكم عليه لأنكم لستم رسلاً

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩١

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣

(٤) سورة هود، الآية: ٥٦

(٥) سورة الروم، الآيات: ٣١، ٣٢

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩

ولا أنبياء. ولا تنصّبوا أنفسكم حكماً عليهم بدعوى علمكم وإحاطتكم بكلام الله الذي جاءوا به لتسلبوهما ما اختصهم الله به فتهلكون أنفسكم بالسقوط في حضيض الدعوى، ﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وهذه الفتوى التي تنتقص من قدر النبي صلى الله عليه وآله وعلمه تأتي من قبل التفريق، لأنّ أدعياء التوحيد يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله وآيات القرآن، حتى يصححوا عقيدة الأمة كما يظنون كأنهم رسل آخر الزمان للتوحيد، لأنهم يخشون أن يعبد الناس محمداً صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله من دون الله!! وذلك لفساد ظنهم ودعوى العلم الجهلاء المانعة لهم عن التلقي للمعرفة وفهم المقاصد ورؤية الأشياء كما هي. ويحسبون أنهم يحسنون صنعا بأن يفرقوا بين الله ورسله. قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾^(١). وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢). ولم يقل يرضوهما. فالله سبحانه جعل طاعة النبي طاعته وبيعته ورميه رمية، والآيات جلية للمبصرين: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٣). وقال جلّ شأنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾^(٤). وقال أيضاً ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٥). وقال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٦) وهي العصمة في القول. فهل جعل علمه علمه؟

إن الله جلّ وعلا حينما جعل رمي النبي رمية كان ذلك بأن نفي الرمي عنه بعد إثباته له وقال له في العلم بالمنافقين ﴿... لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ وذلك نفي العلم عنه وثبت أنه يعلمهم وأخبر بذلك حذيفة. فيكون كما نفي الرمي عنه وأثبت له رمي الله، كذلك نفي

(١) سورة النساء، الآيات: ١٥٠، ١٥١

(٢) سورة التوبة، الآية ٦٢

(٣) سورة النساء، الآية ٨٠

(٤) سورة الفتح، الآية ١٠

(٥) سورة الأنفال، الآية ١٧

(٦) سورة النجم، الآية ٢

العلم بالمنافقين عنه ليثبت له علم الله ﴿... لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فصار علمه بالمنافقين الذي أخبر به حذيفة هو علم الله كما كان رميته رمي الله.

إنَّ ما فهمه أصحاب التفسير من الآية واستدلوا به على أنه نقص في علم النبي لبعض الأمور هو العكس تماماً لمعنى كلام الله لنبيه. ولو علم أصحاب دعوى العلم والتوحيد وأصحاب الكبرياء، أن نهاية الدائرة ابتداؤها لسألوا أهل الذكر قبل المبادرة بمثل هذه الفتاوى المظلمة، المهلكة لصاحبها وسامعها إن لم يحفظه الله. قال تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿^(١)﴾. ويجب على كل متصدّر للفتوى والتفسير أن يعتقد أنه لا يحيط بمعنى كلام الله قبل أن يفتي. ويجب عليه أن لا يقول معنى هذه الآية كذا بل يقول أرى أن من معناها كذا أدباً مع الله ورسوله ويحتاط في قوله الذي سوف يُسأل عن كل حرف فيه، فالجزم بالإحاطة بفهم كلام الله ورسوله هو الجهل بعينه. وهو إذا طالب علم لأنه يحتاج لمن هو أعلم منه دائماً ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ^(٢). وأهل القلوب الذين ينظرون بعين البصيرة يعلمون من كلام الله ما غاب عن غيرهم. قال تعالى ﴿... وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ^(٣). ففهموا من ﴿... لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ العلم الكامل لمن قيل له ذلك. لأنهم لا يرون نقصاً في الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله بل ينسبون إليه الكمال في كل شيء عقيدةً. ثم بعد ذلك ينظرون في الأدلة على ذلك، لا لأنفسهم بل للذين ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا...﴾ ^(٤) بغية الأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم. ولا ينتفع من أدلتهم إلا من كان له قلب يفقه ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ ^(٥)، أو من كان له ﴿... أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ يسمع بها القول فيتبع أحسنه. قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ^(٦). قلب يفقه به. فالعبرة بالفقه إذ أن لكل

(١) سورة النحل، الآية ٤٣، ٤٤

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٢

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩

(٥) سورة الحج، الآية: ٤٦

(٦) سورة ق، الآية: ٣٧

إنسان قلب. فالقلب الذي يفهم إذاً هو المقصود وهو الذي يسع الحق. أو يكون ممن يحسنون الاستماع دون إنكار ﴿...أَوْ الْقَى السَّمْعَ...﴾ لأهل العلم للتلقي. وليس من الذين ﴿...وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الذين عموا وصموا. ليت شعري ماذا أقول عن قوله تعالى ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ و﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١). أقول كما قالت الملائكة بعد أن أدبهم الله تعالى من دعوى العلم الذي ساقهم إلى حضيض النزاع والاعتراض في قولهم: ﴿...أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢) ومن دعوى التباهي: ﴿...وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...﴾^(٣). إلى سمو تواضع أدبهم في قولهم: ﴿...سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^(٤). سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. ولا حول ولا قوة إلا بك يا الله يا عليّ يا عظيم ، والصلاة والسلام على خير خلقك وأشرفهم، وأفضل رسلك وأنبيائك وأعظمهم، وأولهم خلقاً وأكملهم، وآخرهم بعثاً وأجملهم، الحبيب الودود، صاحب الشفاعة والحوض المورود، سيدنا محمد وعلى آله الوارثين أهل الكرم والجود.

(١) سورة البروج، الآية: ٩

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٢

جيش أسامة

أحابي

إنّ من يرى في قول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله، أو في تصرفاته شيئاً غير الحق، فإنّ ذلك يعني أولاً عدم إتباعه وعدم التسليم له، وثانياً دعواه بأنّه يعرف الحق أكثر مما يعرفه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، وثالثاً أنّ له القدرة على الحكم في تصنيف أقوال النبي صلى الله وبارك عليه وآله وأفعاله ليبين للناس ما لا يليق منها!!! وذلك حال من يدّعي أنّه هو الأعلم بالدين من النبي صلى الله وبارك عليه وآله، وأنّه هو الأكثر قبولاً عند الله منه! وأنّه هو الأعلى مرتبة ومكانة، وأنّه يجب على أمة محمد صلى الله وبارك عليه وآله أن ترفع إليه ما جاء به محمد صلى الله وبارك عليه وآله ليجيزه أو يرفضه!!! ليخرجهم من قول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) إلى إتباع سنته هو، ليكون له الحق في مراجعة أقوال مدينة العلم وأفعاله صلى الله وبارك عليه وآله، الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، ليرفض منها ما "لا يعقل" عنده أو ما "لا يناسب" التصرف الحكيم في الحادثة المعينة! أو ليقول إن المجتمع لا يقبل مثل ذلك التصرف!! أو إنّ عهده هذا يجب أن يكون العمل فيه بغير ما جاء به رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في مثل هذه الحادثة!!! وهذا لا تفسير له غير إدعاء رسالة ثانية بعد رسالة محمد صلى الله وبارك عليه وآله، مهيمنة عليها وأعلى منها درجة، فلا حول ولا قوة إلا بالله..!

والأسوأ حالاً من ذلك - ومن هو في ضلال بعيد - هو من يرى في صاحب هذه الدعوى، أو هذه الرسالة الثانية مفكراً إسلامياً أو خليفة راشداً ويحاول إيجاد المبررات والمخارج له بأنّه مجتهد وله أجر إن أخطأ، وأين الخطأ من التعمد في مخالفته للنص المحمدي

(١) سورة الحشر، الآية: ٧

القطعي الواجب الإتيان ،، ثم يلتمس له العذر بل ويطلب له الأجر في حديث "من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها" ^(١) كأنَّ هذا الفعل هو داخل إطار الإسلام وتسليماً لمحمد صلى الله وبارك عليه وآله وما جاء به !! إذن بم أنت لائم العصاة والفجار بل الكفرة المخالفين ؟ وكيف نجد مخرجاً للملتمس عذراً لهذا المدَّعي المخالف للنبي بعد قول الحق تبارك وتعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾ ؟ لا أرى من يظن المخالف للنص المحمدي عمداً مفكراً أو مجتهداً ، ويلتمس له المخارج والأعذار والمبررات، إلا راغباً عن هدي النبي صلى الله وبارك عليه وآله ملتصقاً الهدى - وهو الضلال هنا بلا شك - في غيره متبعاً هذه الرسالة الثانية عند مفكره الإسلامي هذا أو الذي يظن أنه خليفة راشداً ، والى جهنم يسعى وبئس المصير.

كيف بك إذا كنت في عهد النبي صلى الله وبارك عليه وآله إذ يعين قائداً للجيش غير من تحب أن يكون له ذلك المنصب الرفيع ؟ هل تكون مع قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ^(٢) ؟ وقوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾ ^(٣) ؟ أم أنك تقول برأي مخالف، وتنازع النبي صلى الله وبارك عليه وآله في أمره وتنشر رأيك بين الناس طاعناً في أمره صلى الله وبارك عليه وآله حتى يضطر إلى مخاطبة الناس في ذلك ليؤكد لهم صحة قراره وأمره في تعيين ذلك القائد؛ ويقول لهم إنَّ الذي دعاه إلى مخاطبة الناس، هو ما بلغه من أن هناك من طعن في أمره وصحة قراره وتحدث إلى الناس بذلك!! وإذا كنت منازعاً مخالفاً ماذا بقي لك من الأذى لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بعد منازعتك إياه وتأليب الناس ضد أمره؟ وعلى ماذا يدل موقفك هذا ؟ أعلى محبتك التامة واتباعك له ؟ أم هل يدل على تسليمك له؟ بل هل بقي لك من الإيمان شئ بعد قول الله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

(١) مسلم

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(١)؟ والسؤال هو إذا كنت أنت كذلك - لا قدر الله - هل رغم ذلك كله لا ينبغي لأحد أن يقول عنك أنك أخطأت وخرجت على رسول الله صلى الله عليه وآله وتعتبر صاحبه؟

وهل مجرد الاعتقاد بأنك صاحبه يوجب علينا أن نقبل منك كل فعل تجاهه أيًا كان؛ ولا نرى بأساً في سوء سلوكك معه وعدم توقيره ورفض الانصياع لأمره ولو بعد رحيله؟ مع العلم أن بين الأصحاب منافقين وبذلك أخبر النبي صلى الله عليه وآله ولكنه سكت عن تسميتهم إلا لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فمن أين لنا أن نعلم بصحة صحبتك؟ مع العلم أن الصحبة لا تنفي النفاق كما ورد في قصة من طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأذن له في قتل عبد الله بن أبي بن سلول - الذي قيل إنه رأس المنافقين - حيث منعه النبي صلى الله عليه وآله وقال " لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه " ^(٢) فأثبت له الصحبة، وكما جاء في صحيح مسلم " في أصحابي اثنا عشر منافقاً ". فأثبت لهم الصحبة رغم النفاق.

إذا فعلنا ذلك فإننا نكون قد جحدنا ما يجب لرسول الله صلى الله عليه وآله من توقيير صحابته له المفروض عليهم بنص القرآن؛ وجعلنا التوقيير لهم من دونه، ولا ندري إن كانوا من المنافقين أم لا! هل هذا هو الأسلم لديننا؟ بل هل هذا هو الدين؟ أم الأسلم والأحوط لديننا وإيماننا أن نرفض كل السلوك المخالف لأمر النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله امتثالاً لأمر الله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾ مهما كانت مكانة المخالف؟ ثم بعد ذلك ننظر في صحة نسبة تلك المخالفة لذلك الصحابي وإصاقها به، من قبل أن نقول إنه اجتهد فأصاب رغم خلافه للنص الشريف والأمر النبوي!! أو أن أفعاله كصحابي سنة تتبع وإن كانت مخالفة لنص قطعي!!

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥

(٢) البخاري

والأقبح من ذلك قد نقول إنه من المبشرين بالجنة وأنَّ الله يؤيده هو إذا اختلف مع النبي صلى الله وبارك عليه وآله في حادثة معينة بدلاً من رفض معارضته واستنكارها !!! ويعاتب الله النبي صلى الله وبارك عليه وآله لمخالفته لرأي ذلك الصحابي...!!

أترى لأنه صاحب النبي نرفع قدره فوق قدره صلى الله وبارك عليه وآله؟ ثم نتبع سنته هو وتشريعه ونترك سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله، كأنَّ صحبته أكسبته النبوة وسلبتها عمن صحبه؟! أم لأنَّ النبي صلى الله وبارك عليه وآله ارتحل وأصبح هذا الصحابي هو الحاكم صاحب السلطة، واتباع سنته هو أفضل من اتباع سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله الراحل !! ثم نقول إن الحي أفضل من الميت...!

عَيَّن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أسامة بن زيد مولاه قائداً للجيش وهو شاب في العشرين من عمره، وتحت إمرته أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسعد وسعيد وطلحة والزبير. وكان ذلك في مرضه الذي ارتحل فيه صلى الله وبارك عليه وآله وأمرهم بالخروج معه. وتحدث الناس - وهم الصحابة آنذاك - في تعيين النبي صلى الله وبارك عليه وآله لهذا الشاب كقائد للجيش أميراً على شعبة قريش من المهاجرين، وهو أمر يستحق فعلاً الوقوف عنده طويلاً والتأمل فيه، ومن لا يعيره اهتماماً ولا يقف عنده متأملاً، فهو كالذي يدس رأسه في الرمال حتى لا يرى ما هناك، فهو ليس أمراً عادياً أن يؤمّر النبي صلى الله وبارك عليه وآله شاباً في العشرين من عمره على سادة قريش وأكابر الصحابة، ولكنه أمر النبي المعصوم!! أمر صدر من صاحب الحكمة وسيدها وأوفر الناس عقلاً ونبوة ومعرفة بالناس ومعادنهم وعقولهم!!! وليس الأمر هذا إلا من حكيم عالم بل من مدينة العلم عارف بما يجب أن يكون من أمر لرفعة الدين وكماله وانتشاره، فكيف قابل هذا الأمر بعض الأصحاب الذين يقال عنهم إنهم لا يدانيهم أحد في حبِّ النبي صلى الله وبارك عليه وآله والتسليم له والامتثال لأمره؟ كيف مرّ عليهم هذا الأمر؟ أبالاستحسان والقبول والتسليم؟؟ أم أنه كثر اللغط والهمس بينهم بالرفض حتى اضطر النبي صلى الله وبارك عليه وآله إلى الخروج لمخاطبتهم - رغم مرضه وهو معصوب الرأس - وأكدَّ

لهم قراره وأمره بقيادة أسامة للجيش، ووبخهم على طعنهم في أمره بتعيين القائد الشاب وأكد لهم جميعاً أنه خليف بالقيادة ولعن من لم يخرج في جيش أسامة؟

وبعد مخاطبة الرسول صلى الله وبارك عليه وآله للصحابة يسكن التمرد على أمره وقائده الشاب وتتطفئ الفتنة في ظاهرها!..

أقول فتنة لأنه لا توجد فتنة أكبر من معارضة النبي، قال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) فما أن انتقل الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، حتى بادر أصحابها إلى الخليفة الأول، وطالبوه بنقض أمر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وخلع قائده أسامة... وهو أمر لا يكاد يُصدق إذ حدث الإسراع من الصحابة - الذين يقال عنهم إنهم أكثر الناس حباً له وتسليماً - بالخروج على أمره صلى الله وبارك عليه وآله، وإظهار عدم القبول به كأنه لا رابط بينه وبينهم، أو كأن العلاقة قد انتهت برحيله صلى الله وبارك عليه وآله، وكأنه يمكن للخليفة إلغاء الأمر النبوي وإصدار ما يخالفه!.. ويقال عن تصرفه هذا سنة من خليفة راشد ويجب اتباعها! ولا يلتفت إلى القرآن في قوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾ والسؤال هنا من هم أولئك النفر الذين عارضوا النبي صلى الله وبارك عليه وآله في حياته وأظهروا ذلك علانية بعد ارتحاله؟ ولم يلتفتوا إلى تحذير الله لهم في القرآن، لمخالفتهم أمر النبي ولم يعيروه اهتماماً. ١.٩.

هنا يُظهر التاريخ الإسلامي من الذي كان رافضاً لأمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله في حياته، وألب الناس ضده حتى اضطره إلى مخاطبتهم رغم مرضه، وسبب له كل ذلك الأذى وهو يعاني من المرض، فأول من طالب أبا بكر بخلع أسامة عن قيادة الجيش ورفض الأمر النبوي هو عمر بن الخطاب!.. هكذا جاء في تاريخنا الإسلامي ليكون عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائداً لخط المعارضة ضد النبي صلى الله وبارك عليه وآله في حياته، وفي مرضه الأخير كما سبق وذكرنا في حديث الكتف والدواة حيث

(١) سورة النور، الآية: ٦٣

تعدى هناك في وصفه للنبي وفي حضرته بأنه يهجر وغلبه المرض، ليتناغم هذا الموقف مع ذلك الموقف!! وليقول التاريخ إن عمر ظل معارضاً للنبي صلى الله وبارك عليه وآله في حياته وبعد رحيله ساعياً لعدم الالتزام بأمره لتصب في قالب "حسبنا كتاب الله" لرفض سنة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله واتباع سنة غيره وهواه!!! ولن يكون هذا أبداً بإذن الله وليخبر التاريخ غيرنا فإننا لا نبغي برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بدلاً، ولا نرى صحابته إلا حسنة من حسناته، ولا نرضى أن نساوي أحداً من صحابته بحذو نعاله بل كل أمته ناهيك عن مساواته أو وجود أفضلية أو مزية واحدة عليه!!!

كيف يتسنى لنا قبول هذه الرواية، ورواية الكتف والدواة - وهي توضح كيفية تعامل أكابر الصحابة مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله - ثم نقول إن كل الصحابة أكثر الناس طاعة وتسليماً ومحبة له؟ ومعلوم أن المنازعة تنفي الطاعة أو لا طاعة مع المنازعة ناهيك عن وجود المحبة التي يقول فيها الرسول صلى الله وبارك عليه وآله "حبك الشيء يعمي ويصم" ويترجمها الشاعر في قوله:

إنَّ المحب وإن ذابت حشاشته

يهوى الحبيب ويهوى كل ما فعل

والله جل شأنه يقول ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١). فأين طاعة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله التي هي طاعة الله في هذه المواقف؟ وقد سطرت كل المذاهب وأفتى جل العلماء أن كل صحابة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله هم القدوة ليهتدي بهم. ومن بينهم بل من أهمهم من نسبت إليه هذه المواقف مع رسول الله وهو عمر بن الخطاب!! ولا أدري أنه يهتدي بهم إلى كيفية التعامل مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله رغم وجود هذه الروايات أم إلى معرفة الله؟

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠

إذا كان الاهتداء بهم لمعرفة الله فالرسول صلى الله وبارك عليه وآله هو الأولى وليس هم. وإن كان الاهتداء بهم لمعرفة كيفية التعامل مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فإننا والله أشد رفضاً لهذا التعامل بهذه الكيفية التي وردت إلينا، بل نعدّه منكرًا ليس هناك ما هو أقرب منه إذا ثبتت هذه الروايات عنهم، فلا يُطلب منّا بأي حال من الأحوال قبول هذه الروايات لهذه المواقف مع رسول الله وإثباتها ثم احترام أصحابها...! فإننا والله لا نحترم إلا من يحترم رسول الله ولا نوَقِّر إلا من يوقره ولا نطيع إلا من أطاعه، ولا نحب إلا من يحبه، ونلعن من يؤذيه فإن من آذاه فقد آذى الله. وإن من يرى إثبات هذه الروايات لهذه المواقف ولا يدينها ولا يرى بها بأساً بل يؤيدها ويؤيد صاحبها عليها ونسبتها إليه فلا محل له غير مذهب أهل منازعة الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ومعارضته وإيذائه، وتأييد من يعارضه ويؤذيه، واتباع ذلك المعارض وسنته من دونه، وليس اتباع من يحبه ويسلم له تسليمًا، ثم ليحكم بعد ذلك على نفسه هل هو من المسلمين!! وممن يأخذ دينه وسنته؟ ومن الذي يرجوه لآخرته في يوم تشخص فيه الأبصار وموقف ليس لأحد فيه كلمة أو شفاعة غير الحبيب الأعظم محمد صلى الله وبارك عليه وآله...!

رأي المستشرقين

أحابي

قال من ينسب ذلك إلى أحد المستشرقين (انه وجد - وبعد دراسة مستفيضة لكتب السنة- الاعتدال وصحة العقيدة عند المسلمين، إنهم لا يفضلون نبيهم على أصحابه ناهيك عن بقية المرسلين، كما يقول غلاة المتصوفة عندهم الذين يقولون: أشرف الأنبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين. ولا يجعلون لأقواله قداسة مطلقة بحيث لا يُجْتَهد معها في الموضوع الذي تكلم فيه النبي. بل يرون فيه البشرية العادية التي تخطيء حتى في أداء رسالتها نحو المجتمع، كما جاء في الخبر عنه انه كان يتحدث مع أجلاء القوم، فإذا بأعمى يسأله عن الدين فيعبس في وجهه ويتحول عنه، فيأتيه التأنيب والزجر من الله على هذا السلوك الذي لا يليق بنبي يجب أن تتوفر فيه مكارم الأخلاق الذي بعث ليتممها! بل ربما يكون في بعض الأحيان رأي أحد أصحابه أحسن من رأيه، فيؤيده الله ويؤنب النبي على رأيه الخاطئ كما جاء في خبر أسرى بدر حيث رأى أحد أصحابه وهو عمر بن الخطاب قتل الأسرى بينما ارتأى هو أخذ الفدية عنهم فأيد الله عمر وأنب نبيه على اجتهاده الخاطئ!! وقد يكون بين أصحابه من هو أقوى منه إيماناً وتوحيداً حتى أن الشيطان لا يسلك فجاً يسلكه ذلك الصحابي كما في قصة عمر بن الخطاب، حيث جاء عنه أنه لا يسلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه، بينما الشيطان لا يتورع من أن يقطع الصلاة على النبي حتى يضطر لقتاله وخنقه حتى يسيل لعابه كما جاء في الخبر عنه. بل جاء عنه أن الشيطان ألقى على لسانه بعض الآيات الشيطانية (تلك الغرائيق العلا وإن شفاعتها لترتجى) بينما كان يصلي ويقرأ القرآن، ولذلك كانوا لا يأخذون عنه كل ما يقول أو كل ما يفعل.

ولم يكن أصحابه يقدسونه كما كان يفعل الحواريون مع عيسى عليه السلام، بل كانوا أحياناً يعارضون ما يقول لهم وربما رفضوا صريح أوامره، أو ربما تجرأوا على منع الذي يريد تنفيذه أوامره، وقد صح أنهم اتهموه بعدم صحة العقل في حضرته حينما أراد أن يكتب لهم كتاباً في مرضه الأخير فرفضوا ذلك منه صراحة بحجة أنه مريض وقالوا إنه يهجر أي يهذي من غلبة الوجع، ولذلك كانوا لا يعتقدون فيه العصمة كما يقول غلاة المتصوفة المسلمين.

وقد عين مرة قائداً للجيش من أحد الشباب، وأمرهم إنفاذ جيشه ولكنهم أنكروا ذلك وتكلموا فيه حتى اضطر لمخاطبتهم - رغم مرضه الشديد - وأكد لهم أن ذلك القائد الذي عينه خليفته بذلك المنصب، وعليهم بالطاعة والخروج معه. فخرجوا معه ولكنهم لم يغادروا مشارف المدينة وظلوا يترقبون حالة النبي الصحية ولم ينفذوا الجيش كما أمرهم. وبعد ارتحاله سارعوا بمطالبة الخليفة الأول لخلع ذلك القائد عن منصبه، مما يدل على أنهم ما كانوا يقدسون أوامره بطريقة عمياء، وكانوا ييطنون الرفض لأمره ذلك رغم ما أبدوه من انصياع له في حياته، ولكن الخليفة الأول لم يستجب لهم ورفض أن يكون أول فعل يقوم به هو رفض أمر النبي وحل لواء كان عقده .

ويقول بعض غلاة المتصوفة المسلمين إن مقام النبي الروحي أرقى من أن تطاله الأسحار اعتماداً على تأويلهم للآية ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) ولكن عامة المسلمين يرون فيه البشرية العادية وأنه قد أثر فيه السحر الذي عمل له حتى كان يرى أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله لمدة شهر كامل وقيل ستة أشهر.

وقد ثبت في صحيح كتب السنة عند المسلمين أن النبي اقتدى بفعل اليهود في المدينة، دون فعل نبيهم موسى رغم أن المسلمين يقولون إن اليهود حرفوا التوراة وحادوا عن دين موسى عليه السلام. وتعبّد النبي بفعل يهود المدينة وسن ذلك للمسلمين مما يدل على أنه لا بأس باتباع اليهود ناهيك عن اتباع نبيهم في الشعائر الدينية فالدين كله لله. وجاء

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧

ذلك في صومه يوم عاشوراء أي العاشر من محرم، لأنه وجد اليهود يصومونه فلم ينتظر أن يأتيه فيه وحي من الله، وهذا يعني أن الدين ليس كله وحيًا من الله بل اجتهادات شخصية من النبي واتباع للملل السابقة، لذلك لم تكن لأوامره عند أصحابه القدسية التامة ولم تجد الانصياع الأعمى لأن هذا الفعل هو ليس إتباعاً لنبي اليهود موسى عليه السلام، بل إتباع لتشريع أتباع موسى من يهود المدينة، ولا يرى أصحابه مزية ليهود المدينة عليهم. رغم أن بعض المتصوفة المسلمين يطعنون في صحة هذا الحديث لأنهم يقولون إن التقويم اليهودي ليس هو التقويم العربي، ولا يمكن أن يصادف صيامهم لهذا اليوم في كل سنة يوم عاشوراء في التقويم العربي، ويقولون إن العبادات لا تكون إلا بوحي من الله كما أنهم يطعنون في متن الحديث أيضاً حيث أن الرسول يقول لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر منه، وهذا يدل على أنه صامه في آخر سنة من حياته أي بعد دخوله المدينة بتسع سنين، وهذا يتناقض مع القول بأنه صامه حين دخوله المدينة. ولكن أصحاب النبي كانوا أهل علم ولم يلغوا عقولهم أمام ما يقول لهم نبيهم، بل كانوا يعارضون ما يرونه لا يتفق مع وجهة النظر السليمة، وقد وجد أبو بكر مرة في بيت النبي مغنيات يغنين بحضرة النبي فلم يتردد في إبداء رأيه بالإشارة والتوجيه ووضع الأمور في نصابها فقال "أما أمير الشيطان في بيت رسول الله ؟" ولم ير أن النبي وحده هو الذي يحدد السلوك والمنهج المطلوب والممنوع والمرخص فيه. كانت لهم آراؤهم - رغم وجود النبي - في أوامره وتعاليمه!!!

وقد عارض عمر النبي يوم صلح الحديبية ورفض الانصياع لأمره بالحلق والتقصير، وأيده كثير من الصحابة ذلك اليوم حتى كادوا يخرجون على النبي ولكنهم عادوا ورجعوا لأمره، حينما رآه يحلق ويفعل ما أمرهم به. وعارضه أيضاً حينما أراد أن يصلي على ابن سلول وحاول منعه من الصلاة عليه. وقد حرم عمر متعة الحج بعد أن أصبح الخليفة رغم أنها كانت مشروعة في عهد النبي وحرم زواج المتعة وكان مشروعاً في عهد النبي.

وبعد دراستي المستفيضة لكتب السنة لم أجد للخليفة الأول ولا للخليفة الثاني من الأخطاء ما كانت للنبي بل لم تحمل كتب السنة لهم أخطاء مقارنة بما كان من النبي في تصرفه مع الأعمى، ووجود المغنيات في بيته بحضرته، وإقْدائه بفعل يهود المدينة ورفضه قتل أسرى بدر، ودخول الشيطان في صلاته وفي قراءته للقرآن.

لذلك فإني أقول إن الذي يدرس الإسلام بتعمق وبمنظرة فاحصة، يجد صحة تعامل الصحابة المسلمين مع نبيهم، تعاملًا بشرياً شورياً ديموقراطياً بعيداً عن الكهانة وإلغاء العقل والاستسلام والتسليم. فهو دين يحترم العقل رغم وجود النبوة والوحي. وتجدهم يوزنون أفعاله وأقواله فيقبلون منها ما يقبلون ويردون منها ما يردون ولا يرون في ذلك خروجاً على الدين إلا عند غلاة المتصوفة، الذين يلغون عقولهم في الالتزام بالنصوص. وقد أثبتوا - باستثناء المتصوفة - في كتبهم وصحاحها من الأخطاء لنبيهم ما لم يثبتوه للخليفة الأول والثاني (...).

هذا الكلام الذي نسب إلى أحد المستشرقين رغم قبح صورته وسوء النية التي تشتم منه والتي ما قصد منها إلا الطعن في الإسلام والمسلمين - وهو الأمر الذي يلهثون وراءه - هو بكل أسف مأخوذ من بطون كتب السنة ، ولا نملك إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله. إذ كيف تكون عقيدتنا في رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الصورة البشعة المسيئة لكل مسلم يعتقد في قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) وقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢). وقوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣) والتحذير الإلهي في قوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤).

(١) سورة الحشر، الآية: ٧

(٢) سورة النجم، الآية: ٣

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥

(٤) سورة النور، الآية: ٦٣

القائم "عليه السلام"

أحابي

قال رسول الله صلى الله عليه وآله "ملك الدنيا أربعة مؤمنان وكافران أما المؤمنان سليمان ابن داود وذو القرنين وأما الكافران النمرود وبخت نصر وسيملكها خامس من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً" وهو المهدي عليه السلام.

فالمهدي من العترة وهو صاحب الزمان القائم بالأمر وقد دنا وقت خروجه ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾^(١) قال محمد الباقر رضي الله عنه "المهدي يهدم ما قبله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله ويستأنف الدين جديداً" وقال عنه صلى الله عليه وآله "يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي" وقال عنه صلى الله عليه وآله "لا يخلف وعده وهو سريع الحساب" فكيف استقبالكم لخروجه وكيف يبدأ دعوته وكيف يمكن لحكمه في الأرض وبسط سلطانه وقيام دولته؟

هل يكون هذا المهدي عليه السلام متبعاً لأحد هذه المذاهب الموجودة؟

إن كانت الإجابة بنعم فلا تصح له الإمامة لأنه يكون مقراً بأنهم أعلم منه لذلك تبعهم!! إذن وجب أن يكون غير متبع ولا مقلد وهو محيي السنة، لقول النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله "يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي" ثم انه كيف يوحد الأمة مع وجود هذه المذاهب وعلى أي مذهب؟ وهو بالنص أفضل الأمة المحمدية على الإطلاق بما فيهم صحابة النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، وهو الذي يصلي عيسى خلفه فكيف يكون متبعاً لمذهب أو لإمام؟؟ وهو الذي يقول عنه الحسين عليه السلام "لو أدركته لخدمته مدة حياتي"!! إنه صاحب المذهب الحق ولا يلزمه حكم أحد

(١) سورة المعارج، الآيات: ٦، ٧

المذاهب في أي مسألة ولا يلزمه قول إمام أو مجتهد أو صحابي باتباع قول أو مذهب!! فهو إذن مواجه بالرفض من كل أصحاب المذاهب الموجودة وخاصة المتعصبين منهم والذين يقولون ﴿... حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾^(١) ومن هذا الباب يكون الإنكار عليه ومن هنا يكون سبب "وضع سيفه على عاتقه" - وهي إشارة إلى الدفاع عن مذهبه - "ويقتل أعداء الله حتى يرضى الله" حتى لا يبقى في الأرض من يبغض آل محمد صلى الله وبارك عليه وآله. فمذهبه ناسخ لكل المذاهب الموجودة ولا يلزمه ما في كتب السنة من أحاديث لا عصمة لرواتها ومخرجيها!! فإن علمه غير مبني على علوم من سبقه من المجتهدين، ولذلك يكون غريباً وقد جاء عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله "بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء" وقد يراه البعض شاذاً وربما تهور البعض إلى اتهامه بهدم السنة والخروج على جماعة المسلمين، والتي تعني هنا المذاهب الموجودة - والتي يفرض عليه أمره عدم اتباعها وأن يصدع بمذهبه، ويقاقل من أجله ويقتل أعداء الله حتى يرضى الله وحتى يقال "لو كان هذا من آل محمد لرحم".

والسعيد من يوفقه الله للتسليم وترك التعصب ل﴿... حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾. ولن يكون صاحبكم هذا من حملة الدكتوراه في علم الحديث، والقراءات أو التفسير من جامعة لندن أو السوربون أو كمبردج ولن يكون هو البروفيسور فلان، فعلمه لا يحتاج لشهادات لندن أو باريس أو أي جامعة في العالم!! لذا فمن المتوقع عدم قبول علماء الشهادات لمذهبه الذي لا يبنيه على أسس البحث المعروفة لديهم في دراستهم هذه التي توجوا فيها بشهادات الدكتوراه!!

ومن المتوقع أن يضل كثير من الناس بآراء دكتور فلان أو بروفيسور فلان، الذي يحاول أن ينتصر لمذهب الإمام مالك أو الشافعي أو أبي حنيفة أو أحمد بن حنبل والذي يرى في مذهب المجدد خروجاً على ما ألفه المسلمون في مذاهبهم، فيعتبره خارجاً على إجماع المسلمين. ويصفه الشيعة بالتحريف وفساد العقيدة، ويصفه الوهابيون بالشرك

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٤

ويصفه المتصوفة بالكفر والزندقة ! ثم لا يسلم له إلا قليل ممن هدى الله فيكونون بين الناس كالغرباء " فطوبى للغرباء " .

فترقبوا المهدي عليه السلام وانصروه، ولا يكن أحدكم إمعة يميل حيث مال الناس أو يكون حزبه حيث كثر الجمع ويقول "يد الله مع الجماعة" اعلّموا أن الجماعة المقصودة هنا هي التي على الحق لا على الكثرة، وقد كانت رسالة الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله حينما بدأها بنفر قليل، وكانوا غرباء بين الناس، وكان العدد الأكبر مخالفاً. فإذا كانت الجماعة تعني العدد الأكبر لما تيسر للرسالة النشر!! قال صلى الله وبارك عليه وآله "بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" فلا تبتئسوا بغربتكم بين الناس ورميهم لكم بالخروج على جماعة المسلمين بل ابشروا وتماسكوا واصبروا ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

واعلموا أن دعوة المهدي عليه السلام موجهة للمسلمين في بادئ الأمر وليس للمشركين. فدعوة الرسول صلى الله وبارك عليه وآله كانت للمشركين لإزالة الوساطة بينهم وبين الله، وأن لا يجعلوا مع الله إلهاً آخر أي كانت لتحقيق "لا إله إلا الله" ... فمن يقتل رافضاً لتلك الدعوة منكراً على النبي، مات كافراً وإن كان يعلم أن الله هو الإله الأكبر الحق وما الأصنام إلا لتقربهم إليه زلفى!!

ودعوة المهدي عليه السلام هي للمسلمين لإزالة الوساطة بينهم وبين رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، وألا يجعلوا لأحد من أمته قدراً كقدره، وسنة كسنته وتشريعاً كتشريعه أي لتحقيق "أن محمداً رسول الله" وليزيل الضلال العقائدي الذي يقول بأن أحد صحابة النبي كلما وقف مع النبي موقفاً مخالفاً له.. أقول كلما وقف موقفاً مخالفاً للنبي صلى الله وبارك عليه وآله، يقولون أيده الله هو بقرآن يتلى بموافقته وتأييب النبي المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله، بدلاً من وصفهم له بالأذى لحضرة النبي

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠

- كالذين آذوا موسى من قبل - لمعارضته لرسول الله وعصيان أمره . قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى...﴾^(١) وهذا تحذير للصحابة ألا يكونوا مثل كفار اليهود وقال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢) وليبين للمسلمين كذلك أن كل ما يخالف تشريع النبي وسنته لا يسمى سنة - كما يقول الضالون - بل يسمى خروجاً ومخالفة لسنته صلى الله وبارك عليه وآله، توجب الزجر والعقاب وسوف يقاتل المهدي المسلمين على ذلك كما ذكرت من قبل. وقد يظن الكثيرون أن هذه الأمور غير حاصلة في المجتمع المسلم، بينما هم في واقع الأمر يعتقدونها ويطبقونها ومنهم من يدري ومنهم من لا يدري!!!

فرسالة المهدي عليه السلام هي ليشهد المسلمون أن محمداً رسول الله !!

إن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ترك الناس على بينة من لا اله إلا الله فأزال الشرك إلى الأبد وقال "إني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف بعدي أن تُشركوا، ولكن أخاف أن تنافسوا فيها"^(٣) ولا يوجد اليوم من المسلمين من يعبد غير الله حجراً أو وثناً، ولكن نجد أكثرهم يتخذون مع الرسول من أصحابه من يساووهم به، بل ربما ميزوهم عنه وفضلوهم عنه في بعض المواقف، وجعلوا سنتهم هي الأصل وسنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله رخصة، قد لا يصدق هذا القول من يقرأ هذه السطور أو يظن أن فيها مبالغة ولكنني أذكر مثلاً واحداً وهو أن كثيراً من علماء المسلمين يقولون لمن يقصر الصلاة في السفر إن في ذلك رخصة!!! انظروا لفداحة هذه الفتوى!!! هنالك رخصة للمسافر - وليس تشريعاً - أن يقصر من الصلاة!!! بينما الأصل أنه لا يوجد تشريع من المعصوم محمد صلى الله وبارك عليه وآله بإتمام الصلاة في السفر!!! ولم يقل بذلك هو، بل لم يقل بذلك خليفته الأول ولا خليفته الثاني!!! ولكن خالف عثمان بن عفان شرع النبي صلى الله وبارك عليه

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠

(٣) صحيح البخاري

وآله في قصر الصلاة في السفر وصلاتها كاملة وكذلك فعلت عائشة، فوافق المسلمون على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله!!! وجعلوا مخالفة عثمان للنبي سنة بل جعلوها الأصل وتشريع النبي في القصر رخصة!!! فَمَنْ الذي يأخذون عنه السنة؟ بل مَنْ رسولهم الذي يتبعون تشريعهم؟ إذ لا فرق حينئذٍ عندهم بين سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله وسنة عثمان بل إن الأفضلية عندهم لسنة عثمان!!!

إن المسلمين جعلوا مع سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله سنناً مثلها وقُدسوها كتحديداتها بل اهتموا بها أكثر من اهتمامهم بسنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله. فهم حقيقة يشهدون "أن محمداً وبعض أصحابه رُسل الله"؛ وليس محمداً وحده رسول الله لأنَّ لهم سنناً كسنته، ومواقف أعظم وأحسن تفوق مواقفه يؤيدهم الله عليها دونها!!! وهذا هو مجال التصحيح الذي يقوم به المهدي عليه السلام "يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي". فليس في مذهبه سنة مع سنة النبي ولا موقف لأحد يوازي موقف النبي ناهيك عن أفضليته. وليس أحد أو خلق في الوجود أفضل وأحب إلى الله وأعز من محمد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله. وهو الذي ينجي به أبو بكر وعمر وعثمان من النار إذا شفع لهم عند الله. إذ ليس لهم حق عند الله ولا عصمة لهم إنما يرجون الشفاعة في يوم لا يكون لأحد فيه كلمة - حتى الرسل صلوات الله عليهم - إلا حبيب الله وأفضل رسله الذي اختصه عنده بالمقام المحمود والحوض المورود والشفاعة لمن يرضى عنه ولم يتبع سنة غيره من دونه ولم يؤذِهِ ولم يؤذِ عترته!!! وصلى عليه من قبل أن يخلق آدم لأن صلاة الله قديمة بقدمه في الأزل...

إن مذهب القائم عليه السلام هو هدم سنن واجتهادات وتشريعات من رجال قدسهم المسلمون، واتبعوهم دون سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله. فمن خالفه وعارضه فقد أباح دمه وماله، وإن قال لا إله إلا الله لأنه حطَّ من قدر النبي ورفع مقدار غيره، واعتقد في تشريع غيره، وكفر بما جاء به محمد صلى الله وبارك عليه وآله، وهو الإيمان بالمهدي فإن قتل مات كافراً خارجاً عن ملة محمد صلى الله وبارك عليه وآله..

قال محمد الباقر رضي الله عنه "المهدي يهدم ما قبله كما فعل رسول الله صلى
الله وبارك عليه وآله ويستأنف الدين جديداً".

التقرب إلى الله ورسوله

أحابي

قال تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(١).

ما عبد المشركون الأصنام من دون الله إلا لتقربهم إليه وتعرفهم به. إذ أن زيادة التقرب لا تكون إلا بالمعرفة. لأن من جهل شيئاً عاداه، فأرادوا أن يتعرفوا بهذه الأصنام على الله أي يتقربوا بها إليه. وازداد تعظيمهم لها حتى أصبح لا يقبل لديهم طعن فيها واكتسبت عندهم عظمة فوق عظمة من عظموها لأجله.

فلما جاءهم من صدع بـ لا إله إلا الله، أراد ليُصحح مفهومهم فيمن أرادوا أن يتقربوا إليه زلفى (الإله الواحد) ويجمعهم إليه ويحببهم فيه، وأن لا يعظموا من هم دونه وإن كان قصدهم هو التقرب بهم إليه، لأنهم بذلك جعلوهم آلهة وسيطة. والتودد إلى الوسيط وتعظيمه هوهم المتوددين الأكبر لظنهم واعتقادهم في قربهم من المقصود، الذي تعجز العقول عن إدراك عظمته وكماله وهويته، بينما الوسيط أقرب إلى العقل والمعرفة.

والميل والحب للأقرب إلى العقل والمعرفة أكثر من الميل والحب إلى الذي أنت بصدد معرفته. فكان ميلهم وحبهم لآلهتهم الوسيطة واعتقادهم فيها أكثر لمعرفتهم لها، ولقصور أفكارهم عن المراد الأعظم. فإن التجانس بينهم وبين آلهتهم الوسيطة في كثافة الحس والعلاقة، هو الذي أكسبهم هذه المودة والالتصاق الحميم والألفة التي يفتقدونها في علاقتهم مع المراد الأعظم الذي تقاصروا عن معرفته وبالتالي عن محبته،

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٥

ففسدت عقيدتهم فيه!! وكان لابد من ذلك التصحيح حتى لا تكون وسائطهم أنداداً
 آلهة مع الله عظموها لتقربهم إليه وتعرفهم به فأبت نفوسهم ذلك، وأرادوا أن يكون لمن
 يعظمونهم وجوداً - كما لله جل شأنه - وقدراً كقدره تعالى!! وكانوا يتساهلون فيما يقال
 في الله سبحانه وتعالى، ولا يتسامحون في الذي يقال في آلهتهم أصنامهم التي صنعوها
 بأيديهم وأفواههم. ووضعوا لها قواعد التعامل معها وكيفية احترامها وتقديسها،
 وتعارفوا على هذه القواعد وأوجبوا الالتزام بها. ومن لم يلتزم بها فهو صابئ خارج عن
 دينهم، كافر في عقيدتهم تجب محاربته بكل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة لأنه إن
 لم يلتزم بهذه القواعد سيفتت المجتمع ويحل عقيدتهم ويمزق وحدتهم. والقواعد التي
 أسسوها وقيّدوا بها الخلق هم الذين وضعوها فتقيّدوا بها وقيّدوا غيرهم، وجعلوها
 محل التقديس وأعطوها العصمة - أي أعطوا أنفسهم العصمة في وضعهم هذه القواعد
 والتشريعات ليحكموا على كل من يخرج عليها - ولو بحق واضح - بالكفر والخروج
 على الملة، ويعلنوا عليه الحرب العقائدية بكل تعصب أعمى رغم وضوح الحق. فيقولون
 ﴿اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ^(١) ويقولون ﴿... سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ^(٢) ويقولون ﴿... أَسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ...﴾ ^(٣).

وهذه أحوال كل المشرعين وأنصارهم ومن يتعصبوا لهم، فلا يرون خللاً أبداً فيما
 يتخذونه من قواعد التشريع التي من وضعهم فيعطونها العصمة من حيث لا يدرون
 وينزلونها منزلة التنزيل وربما كان فيها ما يخالف التنزيل.

والمسلمون اليوم لما عندهم من تقدير ومحبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وبارك
 عليه وآله، وضعوا من القواعد - حفاظاً على أن لا يمسوا بسوء من القول، ولما لهم
 من التعظيم في نفوسهم - ما جعلهم يحكمون على الخارج عليها بالخروج عن ملة
 المسلمين!! لأن عدالة الصحابة جعلوها من المقدسات عندهم، رغم أن الله سبحانه
 وتعالى وصف أحدهم بالفسق في قوله جل شأنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ

(١) سورة ص، الآية: ٥

(٢) سورة ص، الآية: ٤

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥

فَتَبَيَّنُوا... ﴿١﴾ وهو أخ عثمان بن عفان لأمه، رغم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله قال - كما جاء في صحيح مسلم - "في أصحابي اثنا عشر منافقاً ثمانية منهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط" (٢) وقال صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله كما جاء في البخاري عن أصحابه الذين يداحون عن حوضه "أقول يا رب أصحابي يقول لا علم لك بما أحدثوا بعدك لقد ارتدوا على أدبارهم القهقري منذ تركتهم فأقول سحقاً سحقاً" (٣).

وللإفراط في حبهم لهم لا ينسبون لهم خطأ أبداً وإن ثبت تاريخياً. ويخافون من أن يصرحوا بخطأ أحدهم كعدم استطاعة الكثيرين القول إن معاوية بن أبي سفيان بغى على الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فلا تجد من يقول إن معاوية من أهل البغي رغم أن الرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله قال - كما جاء في صحيح البخاري - "ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار" (٤) فصرح النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، بأنّ فئة معاوية هي الفئة الباغية وعلى رأسها معاوية!! ولكنهم يرفضون أن يقولوا فيه أو يسمحوا أن يقال فيه ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، بل تجدهم يجتهدون في تحسين صورة المخطئ من الصحابة ولو كان خطاه مع أخ الرسول الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، وقال فيه صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله "اللهم عاد من عاداه" ويقولون لمن أمر بلعن أمير المؤمنين على المنابر (رضي الله عنك) ويقولون لمن كان إسلامه إسلام الطلقاء وهو طليق ابن طليق (إنه من كتاب الوحي) رغم أن إسلامه كان عام الفتح فماذا بقي من الوحي ليكتبه...؟؟؟

ولو قيل من هم كتاب الوحي ؟ لوجد الكثيرون أنهم لا يعرفون غير معاوية الذي لم يكن منهم ولم يكتب للنبي غير رسائل محددة!! وكان يتلأأ في إجابة أمر الرسول صلى

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

(٤) صحيح البخاري

الله وبارك عليه وآله حينما يدعوه ويتذرع بأنه يأكل حتى دعا عليه النبي صلى الله وبارك عليه وآله بقوله (لا أشبع الله بطنه) فما شبع بعدها حتى مات. وربما غفل الكثيرون عن أن أبرز من كتب الوحي هو علي عليه السلام أعلم الأمة بعد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله. ولكن اجتهد المؤرخون الإسلاميون في تحسين صورة من عادى أمير المؤمنين عليه السلام - لأنه من الصحابة - حتى طعنوا بذلك في صحة ما عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام من الحق . ولا يدرون أنهم بذلك آذوا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الذي قال لعلي "حربك حربي وسلمك سلمي" وقال له "أنت مني وأنا منك" ، وما ذلك إلا لأنهم لا يريدون أن يروا أصحاب رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله - صاحب الخلق العظيم الذي بعث ليطمئ مكارم الأخلاق- في وصف لا يليق بالصحة لما عندهم لهم من تعظيم، رغم أن الصحة، لا تنفي النفاق لقول النبي صلى الله وبارك عليه وآله "في أصحابي اثنا عشر منافقاً" ولم يبين أسماءهم إلا لحذيفة الذي رفض أن يذيع سر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في الإفصاح بأسمائهم فظلوا في طي الكتمان. وهذا كفيل برد عدالة الصحابة أجمعين بل يجب أن يقتصر فيهم على المنتجبين فقط وهم المعروفون عند الله ورسوله لا عندنا!!!

والمنافق منهم لا يعلمه إلا الله ورسوله وما أعلم به حذيفه ، ولا نستطيع نحن الجزم بالمنافق أو غير المنافق! أو من منهم الذي (ارتد القهقري) بعد أن تركهم رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وهو يقول "أصحابي". وهم ليسوا ممن أخبر بهم حذيفة لأن أولئك كانوا منافقين في حياته وهؤلاء "ارتدوا القهقري" بعده كما قال صلى الله وبارك عليه وآله.

لم نأت بغير ما جاءنا في الأحاديث والصحاح وليس القصد تجريح أو سب صحابة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ولا ينبغي لمسلم ذلك، ولكن ذكر الحق أولى من المكابرة ونفي الحقائق، وإثبات الخطأ على صحابي لا يخرجنا عن دائرة الإسلام ولو كان أبا بكر (رض) لأنه ليس له عصمة ولا لعمر بن الخطاب (رض). إنما العصمة لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، ولكن تجد في هذه الأمة من ينازع فيها !! وقليل

من يتصدى لهذه المنازعة في عصمة النبي صلى الله وبارك عليه وآله..! ولكن إذا ذكر الذين من دونه من الصحابة بعدم العصمة - وهو إثبات خطأ ما - ولو كان الخطأ مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ثارت ثائرة أكثر الخلق وسارعوا لنفي ذلك الخطأ من ديوان الخطايا وجعلوه سنة تتبع، واجتهدوا في تحسين صورة المخطئ من الصحابة لتتناغم مع نظرية عدالة الصحابة المقدسة لدي معتقديها..!! ثم يشن الهجوم على الذي خرج على قواعد التعامل مع الصحابة حسب نظرية عدالة الصحابة المقدسة عندهم ويحكم عليه بالخروج على عقيدة المسلمين وربما تم تكفيره . والذي ينازع العصمة لابد أن يذكر أخطاء تدعم حجته. فينسب للرسول صلى الله وبارك عليه وآله من الأخطاء ما لم ينسب عشرة لأبي بكر (رض) ، بل لا نكاد نجد في سيرة أبي بكر وعمر (رض) خطأ ينسب إليهما ، كأنهما المعصومان لا النبي صلى الله وبارك عليه وآله، ولا ندري أننا بذلك قبلنا الطعن في عصمة النبي صلى الله وبارك عليه وآله، ورفضناه في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكل هذا من قبيل التعظيم لأصحاب النبي صلى الله وبارك عليه وآله الذين اتخذهم المسلمون وساطة بينهم وبينه، كما اتخذ الذين من قبلهم وسائط بينهم وبين خالقهم، وحرصاً على أن يكون تلاميذه وأصحابه كما يجب أن يروا من حسن السيرة والسلوك. وعظموهم ليقربوهم إلى النبي زلفى حتى جعلوا لسنتهم وجوداً مع سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله كما ورد في رفض عمر لمتعة الحج . رغم أنه قال إنه يعلم أن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فعلها ولم ينزل قرآن ينسخها!! ولم ينكروا عليه ذلك بل قبلوها واتخذوها سنة ٩٠٠ وكما جاء عن عثمان بن عفان (رض) في مخالفة سنة النبي في قصر الصلاة في السفر فلم يتبع النبي في قصر الصلاة في السفر بل خالف وأتم الصلاة ولكن تماشياً مع عدالة الصحابة قالوا: تأول وأصبح فعله سنة كسنة رسول الله!! وكأن فعله أكثر حرصاً على إكمال شعيرة الصلاة!! والقصر الذي سنه النبي المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله نقص!! فلوراجع المسلمون أنفسهم بصدق وتجرد لوجدوا أن تعظيمهم لصحابة رسول الله يفوق تعظيمهم له. حتى لو أخطأ أحدهم مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله لا يرون بذلك بأساً بل يحاولون تحسين فعله ويقولون إن الله يرضى فعله ولا يرضى فعل

النبي ، وأن فعل ذلك الصحابي سنة تتبع والله يؤيده بل لولاه لعذب الله المؤمنين جميعاً
بما فيهم رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله !!

وقد قالوا إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله، استشار ثلاثة من أصحابه، ولم
يذكروا إلا رأي اثنين منهم فقط، وأخذ برأي أحدهما فقال ذلك الصحابي الذي لم
يأخذ النبي برأيه أن الله لم يقبل من نبيه مخالفته لرأيه، فأنزل قرآناً يؤيده وأنب النبي
على عدم الأخذ برأيه. بل عاقبه ومن معه في وقعة أخرى ففر عنه أصحابه وكسرت
البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وكسرت ربايعيته!! إنه حقيقة يقول إن عدم
أخذ النبي برأيه استوجب عقاب الله للنبي ، فقد قال "عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من
أخذهم الفداء" ولم يأخذ الفداء إلا النبي صلى الله وبارك عليه وآله !!

إنهم قد جاءوا بقاعدة عدالة الصحابة وقالوا إنهم أعلم الناس برسول الله صلى
الله وبارك عليه وآله، وإنهم أفضل الأمة وما عظموهم إلا ليقرّبوهم إليه زلفى. كما
فعل الذين من قبلهم في التقرب إلى الله فعظموهم حتى فضلوا سننهم على سنته أو
ساووهما بل غابوا بهم عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله حتى بدا كأنهم هم
الغاية دون رسول الله. ورحم الله الإمام الغزالي القائل:

وأعجب من هذا مقال جميعهم

ترى عابدي الأوثان أجهل أمة

وما عظم الأوثان من كان قبلهم

كتعظيم أجسام لهم مضمحلة

فكل غدا معبوده الجسم فاستووا

ولكنهم لم يستووا عند نية

فقد وقعوا مع علمهم في ضلالة

إذا اعتبرت أربت على كل ضلة

فيا ليت شعري كيف ضلت عقولهم

وداعيك فيهم مسمع كل فطنة

فإذا جاء اليوم من يدعو إلى سنة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وترك ما سواها من السنن، فإنه ستأبى نفوس الكثيرين قبول ذلك!! لأنهم يريدون أن تكون لمن يعظّمونهم ووضّعوا من أجلهم قواعد التعامل - كعدالة الصحابة - سننا كما لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله من السنن وقدر كما له من القدر!!! وسوف يرمونه بالخروج على أهل السنة والجماعة وفساد العقيدة وربما كفّروه وقاتلوه...، كما أشار إليه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله "المهدي من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي" وهو أمر كائن لا محالة. وعلى سبيل المثال لتجدن اليوم اهتمام الناس في شهر رمضان ببدعة صلاة التراويح - كما سمّاها من سنّها وهو عمر بن الخطاب - في جماعة أكثر من اهتمامهم بفريضة صلاة العشاء الآخرة بل أكثر من اهتمامهم بصوم رمضان نفسه! ومنهم من يرى أن الذي لا يصلي التراويح في جماعة كالذي أضاع صومه ذلك العام!!

ونجد كذلك بدعة الحاجز الساتر الحائل بين الرجال والنساء في المساجد سنّة تتبع!!! كأنما النبي صلى الله وبارك عليه وآله، لم يكن حريصاً على الدين كحرص هؤلاء، الذين يضربون الحواجز في المساجد بين الرجال والنساء، بحيث لا ترى النساء المصلين أمامهم. فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، بينما السنة هي أن تكون النساء خلف الرجال ولا حائل بينهم. ولو تابعهم الناس على هواهم ودعوى حرصهم على الدين هذه لعملوا في فريضة الحج حاجزاً بين الرجال والنساء في الطواف، لأنّ الرجال نصف عراه والمرأة كاشفةً وجهها ويديها والعدد كبير والمساحة صغيره... ولأمروا النساء بمخالفة سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله بتغطية وجوههن في الطواف وهو الطعن في صحة ما ترك النبي صلى الله وبارك عليه وآله الناس عليه. فإن فعلوا فقد كفروا!!

حَبَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ "عَلَيْهِ السَّلَامُ"

أَحْبَابِي

قال تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١)

هذه آية المباهلة للفرقان بين الحق والباطل، وحسم الأمر حينما يوشك أن يُغطى الحق بما يثار حوله من ضباب الحجج الملتوية، والجدال بالباطل الذي لا يقصد به غير الانتصار على الخصم، ولو كان الخصم على الحق وهذه آفة النفس البشرية، ومن حرر نفسه من هذه الآفة، فقد عالجهما من الفرعنة وحب الاستعلاء والكبر، فلن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منه، كما جاء في الحديث الشريف، ولا يتحرر المرء من هذا المرض النفسي، إلا إذا دعا الله مخلصاً وأحس بالحاجة في دعائه (اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) لأن كثيراً من أصحاب هذه الآفة النفسية لا يستمعون إليك إلا وهم مشغولون بالرد عليك، ويكون الواحد منهم في انتظار توقفك عن الحديث لينفجر في لجأته وباطل حجته، ولا يكون في حالة حديثك مستمعاً متوقفاً لصدور كلمة حق منك إنما ينتظر نهاية حديثك، ليقول ما يريد أن يقوله، بغض النظر عما تقول، وإن كان ما تقوله هو الحق المقصود والمقصد المطلوب، فهو قد صنفك على الباطل وما تقول. وبذلك أغلق فهمه عن الحق إذا صدر عنك وأقوى المتصفين بهذه الصفة هم اليهود، فرفضوا الحق الذي جاء على لسان خير خلق الله صلى الله عليه وآله وأرادوا أن يثيروا الضباب على وضوح الحق بباطل الحجج، فجاء الحسم الإلهي من الحق جل وعلا بآية المباهلة وفي هذا تربية للمسلمين أيضاً لترك الجدال الذي هو من صفات اليهود قال تعالى. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١

أَذَوْا مُوسَى...﴾ وجاء في الحديث "من ترك المراء وهو محقّ بنى الله له قصرًا في الجنة" .. "وما أوتى قوم الجدل إلا هلكوا" .. فأراد الله ورسوله أن يخرج المسلمين من ظلمات النفس - الرافضة للحق، الساعية لتغطيته وإثارة الضباب حوله بباطل الجدل - التي يمتاز بها اليهود- إلى النور الذي تسمو به النفس، بإذعانها للحق قبل تصادمه حيث لا يكون بعد ذلك إلا الحسم الإلهي بوساطة من يجرى على يديه هذا الحسم بالمباهلة أو بالسيف!!

أنزل الله آية المباهلة للفرقان بين الحق والباطل حتى لا يغطى الحق بزخرف القول بقصد الانتصار لـ﴿...إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(١).

ليس الركود والجمود من سنة التطور في الحياة. لأن الحياة من شأن الله وكل يوم هو في شأن. فلا بد من التغيير ، بل التطور في غير الثوابت - من المثل والأخلاق - إلى النهوض بالنفس البشرية في رحاب العلم الذي لم يؤمر الحبيب بطلب الزيادة إلا منه.. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢) رغم أنه صرّح - وهو الحبيب المعصوم - في قوله بأنه "مدينة العلم وعلي بابها".

والنفوس تركز إلى ما ألفته - ولهذا كثير من الناس يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة - وتأبى الخروج عنه، وسنن الكون من العلي القدير تأبى إلا النهوض بالإنسانية بمراقي العلم إلى المنتهى إلى الله... ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾^(٣) فلا وقوف ولا ركود ولا جمود، وتقف النفوس الكثيفة السفلية لتعترض تلك التي هيأها الله لقيادة ركب الإنسانية إلى الله، وتتصادم معها لرغبتها في البقاء على ما ألفته... ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾^(٤) ورفضها للعلم الذي يأبى لها الخمول والركود ، وتصر على ما هي

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤

(٣) سورة النجم، الآية: ٤٢

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٤

عليه. وتجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. وتكثر الجدل والحجج بعدم منهجية، في جنوح عن الحق. لأن قصدها هو التعويق وليس الوصول للحق، بل القصد هو الانتصار لما هي عليه وإن كان باطلاً، ولو استدعى الأمر المعارضة بالفعل بدلاً عن القول، وحينما يصل الأمر إلى طريق مسدود وتقف النفوس الكثيفة ضد تيار العلم المفروض على الإنسانية، يأتي أمر الله بالمباهلة للانتصار للحق ليعلم مع أي الفئتين يد الله..!

دعا النبي صلى الله وبارك عليه وآله للمباهلة صفوة خلق الله، بأمر من الله ليس من بينهم أبو بكر ولا عمر ولا عثمان رضى الله عنهم ولا واحدة من زوجاته، ليعلم الخلق كافة قدر أهل البيت عليهم السلام، وفضلهم على جميع أصحاب النبي صلى الله وبارك عليه وآله، وأزواجه رضى الله عنهم، فهم الفرقان عند الله، الذين يحسم بهم الأمر حين تعمى الأبصار عن رؤية الحق، وتعمى القلوب عن معرفة الحقيقة، وهم صنو القرآن لا يفترون عنه حتى يردوا الحوض على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله. فمن فارقه فارق القرآن وتخلف عن سفينة النجاة، وهم الذين طهرهم الله وأذهب عنهم الرجس، هم أهل الكساء الذين غطاهم النبي بعباءته وقال "اللهم هؤلاء هم أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً"، وهم عيال الله "أقربكم إلى الله أنفعكم لعياله" أبناءنا "في كتاب الله وهم الحسن والحسين عليهما السلام و"نساءنا"، وهم ليس غير سيدة نساء العالمين، فاطمة عليها السلام.. و"أنفسنا"، وليس غير أمير المؤمنين أبو الحسن علي عليه السلام..!

وهم الذين فرض الله محبتهم على المسلمين في قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ^(١) قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين فرض الله علينا محبتهم قال "علي وفاطمة وابناهما" إذ محبتهم فرض على المسلمين كافة كما محبة

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣

النبي صلى الله وبارك عليه وآله فرض على المسلمين كافة، وهذا أمر أهمله أكثر الناس ، ولم يهتم به كثير من العلماء ، وجهله الأكثرون!!!

وقد قال صلى الله وبارك عليه وآله "والذي نفسي بيده لو أن أحداً صفن بين الركن والمقام وصلى وصام ومات على ذلك وهو مبغض لنا أهل البيت دخل النار"^(١) وقال "أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"^(٢) وأمير المؤمنين أبو الحسن علي عليه السلام هو عمدة أهل البيت، لما جاء فيه من القرآن والحديث قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣). وليس غير أمير المؤمنين علي عليه السلام من زكى وهو راع ، وقال فيه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله كما جاء في البخاري "أنت مني وأنا منك" وقال فيه "علي أخي في الدنيا والآخرة" وقال أيضاً "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" وقال "من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه" فوضح أن محبته لا تنفك عن محبة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، وقد قال هو عن نفسه "إنه لعهد النبي الأُمي إلي لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق"، وبهذا وجبت محبته وفرضت على أبي بكر وعمر وعثمان، وعلى زوجات النبي أمهات المؤمنين، وعلى كل مسلم ولا تجب عليه هو محبتهم ، وإذا ثبت أنه قد وجبت محبته وفرضت لزمت بذلك طاعته وإلا انتفت المحبة!! ولقد أقر بهذه الطاعة أبو بكر وعمر يوم غدير خم حينما جمع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الحجيج وقال لهم "أأست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا بلى. قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه" فقال له عمر "هنيئاً لك يا ابن أبى طالب فقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة" ، ولكن لم تستمر هذه الطاعة بعد ارتحال

(١) إحياء الميت للسيوطي

(٢) المرجع نفسه

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥

النبي صلى الله وبارك عليه وآله، لا له ولا لأمر النبي في هذه الحالة ، ولا في تنصيب
أسامة أميراً على الجيش كما ورد في الحديث، فالى الذين يقولون إن المحبة هي الطاعة
نقول انتفت المحبة لعدم الطاعة والى الذين يقولون إن الطاعة أثر من آثار المحبة نقول
إنه لم توجد محبة وإلا لكانت الطاعة..!

ابن سلول: هل كان منافقا؟

أحبائي

إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى اخْتَصَّ رَسُولَهُ وَحْدَهُ بِالْعِلْمِ بِالْمُنَافِقِينَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ ^(١) فَتَنَى عَنْهُ الْعِلْمُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَثْبَتَ لَهُ عِلْمَ اللَّهِ أَيْ جَعَلَ عِلْمَهُ بِالْمُنَافِقِينَ عِلْمَ اللَّهِ بِهِمْ. وَلَمْ يُعْلَمْ النَّبِيُّ أَحَدًا بِالْمُنَافِقِينَ غَيْرَ حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَاحْتَفِظَ حَذِيفَةُ بِذَلِكَ السِّرِّ وَلَمْ يَذْهَبْ، رَغْمَ مُحَاوَلَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَهُ لِيَعْرِفَهُ بِهِمْ أَوْ لِيَعْرِفَهُ هَلْ هُوَ مِنْهُمْ ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَتَحَرَّى حُضُورَ حَذِيفَةَ لِلصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَائِزِ - كَمَا ذَكَرُوا - فَإِنْ صَلَّى حَذِيفَةُ صَلَّى عُمَرُ وَإِلَّا فَلَا. وَهَذَا أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُنَافِقَ لَا يَصَلِّي عَلَيْهِ. فَإِنْ كَانَ حَذِيفَةُ لَا يَصَلِّي عَلَى الْمُنَافِقِ فَمِنْ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ مَنْ عِلْمُهُ ذَلِكَ، وَهُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلُهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى مُنَافِقٍ. لِأَنَّهُ لَا يَنْهَى عَنْ خَلْقٍ وَيَأْتِي مِثْلَهُ !.. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ إِذَا جَاءَتْ جَنَازَةُ أَحَدٍ فَقَرَأَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُؤَدُّوا دِيُونَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ وَالْعُوزِ - وَلَوْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ قَدَرِ دِينَارٍ - لَا يَصَلِّي عَلَى ذَلِكَ الْمُسْلِمِ الْفَقِيرِ. وَيَقُولُ صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ أَدَّى دِينَ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَدِينَ جَوِيرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ مَشَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَهُوَ رَحْمَةُ اللَّهِ الْمُبْعُوثُ لِكُلِّ الْخَلْقِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) وَأَسْعَدَ النَّاسَ بِهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَهُوَ الْقَائِلُ "مَنْ وَقَرَ غَنِيًّا لَغْنَاهُ ذَهَبَ ثَلَاثًا دِينَهُ" فَكَيْفَ لَا يَضْمَنُ دِينَ الْفُقَرَاءِ عَنْهُمْ وَيَصَلِّي عَلَيْهِمْ؟! فَإِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يَصَلِّ عَلَى فَقِيرٍ مَدِينٍ فَإِنَّ الْعِلَّةَ لَيْسَتْ فِي الْفَقْرِ وَالْدِينِ بَلْ فِي أَمْرِ يَعْلَمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلُهُ مِنْ أَجَلِهِ أَنَّهُ لَا

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠١

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧

قالوا إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لا يصلي على من مات فقيراً معدماً مديناً ولكنه صلى على من قالوا إنه رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وكفنه بثوبه، ووقف على قبره حتى دفن، فقد جاء في صحيح البخاري أنه لما توفى عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله: إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً...﴾^(١)، وسأزيده على السبعين. قال: انه منافق. قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فأنزل الله ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾^(٢).

نجد في هذا الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم يقل إن ابن سلول منافق ولا يوجد ذلك في أي حديث آخر ينسب للنبي، ولم يذكر حذيفة صاحب رسول الله الذي يعلم المنافقين، والذي كان عمر يسأله عن المنافقين - لأن عمر لا يعلمهم - لم يذكر حذيفة أن ابن سلول من المنافقين!! وما كان ليذيع سراً لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله. وأن الذي قال إن عبد الله بن سلول منافق هو عمر بن الخطاب - وكذلك قالت عائشة في أحاديث الإفك - وحاول عمر أن يثني رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله عن الصلاة عليه، ورفض الرسول صلى الله وبارك عليه وآله اعتراض عمر حين امسك بثوبه، فجذبه منه؛ ثم وقف أمامه يقول له أتصلي عليه وقد قال كذا وكذا يوم كذا؟ والنبي يبتسم، ثم أمره النبي أن يتحنى عنه ليصلي عليه فقال عمر "إنه منافق"؟ ومن هنا جاء أن ابن سلول منافق، أي من عمر الذي لا يعلم المنافقين!! ثم قالوا إنه رأس المنافقين، ولم يقل ذلك النبي ولا حذيفة وهما وحدهما اللذان يعلمان المنافقين.

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤

فُنُسِبَ النفاق لابن سلول ممن لا يعلم المنافقين، وأصروا على أنه منافق رغم أن النبي صلى عليه وكفنه بثوبه ووقف على قبره ، وما الإصرار على أنه منافق إلا ليبرر اعتراض عمر على النبي حيث ما كان ينبغي له ولا لأي مسلم أن يعترض على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في أي فعل أو أمر. بل ليقولوا إن موقف عمر في اعتراضه على النبي كان أصح من فعل النبي المعصوم، رغم أنه لم يكن يستند إلى علم اللهم إلا أن يقال أنه هو الأعلم من النبي، ولم يكن يستند إلى قرآن يؤيده إن كان القرآن ورد بالنهاي بعد اعتراضه على النبي - كما يقولون - اللهم إلا أن يكون عمر أكبر علماً من النبي، وأقوى بصيرة لذا فهو يعلم الذي سوف ينزل من القرآن من عند الله ليؤيده ويقف معه..!!

وإن كان يستند إلى القرآن باعتبار أن آية المنع نزلت قبل الصلاة على ابن سلول، فهو ليس الأعلم بالقرآن ممن أنزل عليه ليعترض على النبي بما نزل قبل ذلك من القرآن كأنه هو الأعلم به منه!! وليس هو المفسر للقرآن بحضرة النبي صلى الله وبارك عليه وآله. ولا يجوز له التعدي على النبي بالاعتراض وجذبه من ثوبه بدعوى معرفته للقرآن..!!

وما أرى ذلك إلا هو الأذى بعينه - إن صح كل ذلك من عمر- فإذا قبلناه، لم يبق عندنا قدر ولا إيمان لنبيننا صلى الله وبارك عليه وآله في معرفته بما جاء به من عند الله كما لعمر!! ولا يقول مسلم بذلك معتقداً صحته ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين. وهذا يعني أن صلاة النبي كانت محل المؤاخذه من الله، الذي أرسله كما يقولون لأنه قد جاء النهي الإلهي عن الصلاة على المنافقين، إذا كان ابن سلول حقاً منافقاً. ويلاحظ في الحديث أن عمر قال: "أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه" مما يدل على أن النهي عن الصلاة على المنافقين ، كان سابقاً لصلاة النبي على ابن سلول ولكلام عمر معه، مما ينفي دعوى القائلين أن المنع في القرآن نزل بعد اعتراض عمر بن الخطاب، ويؤكد أن النبي صلى عليه بعد نزول آية منع الصلاة على المنافقين وليس قبلها..!! فأرادوا أن يثبتوا أولاً أن ابن سلول منافق - رغم انه لا يوجد نص بذلك ممن يعلم المنافقين - ثم ليقولوا بعد ذلك إن النبي صلى على المنافقين. وأن عمر - الذي

لا يعلم المنافقين - اعترض على رسول الله في الصلاة عليهم ، كأنه هو المتيقن من معرفتهم دون النبي. ليؤيد الله بعد ذلك عمر لموقفه القوي المعارض للرسول، ولعلمه الأكثر بالمنافقين، وبما يجب أن يكون التعامل معهم، ويؤاخذ نبيه مدينة العلم صلى الله وبارك عليه وآله..! وليكون عمر بن الخطاب هو المؤيد عندهم من الله كلما يعترض على النبي صلى الله وبارك عليه وآله. فينزل الله قرآناً يؤيده ويؤاخذ نبيه المعصوم، ورسوله مدينة العلوم، وحبيبه المكروم، وأفضل خلقه من رسله وأنبيائه وملائكته الذي يصلي عليه الحي القيوم.

وقد نُسب إلى ابن سلول أنه هو الذي تولى كبر حادث الإفك. رغم أنه لم يجلد في تلك الفتنة. ولم يقم عليه حد القذف كما أقيم على حسان بن ثابت ومسطح وحمئة، من الذين خاضوا في حادث الإفك، فكيف يكون هو الذي تولى كبره ولم يثبت عليه ما يقام به الحد؟ جاء في البخاري في حديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت "... فقام رسول الله فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول قالت فقال رسول الله وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرک منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج - وكانت أم حسان بن ثابت بنت عمه من فخذ - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو بن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتشاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر..." يلاحظ أولاً في هذا الحديث أن عائشة هي التي قالت أن النبي أراد أن يستعذر من ابن سلول ولم يقل النبي ذلك، ولم تقل هي أن النبي قال ذلك. ثانياً، الحديث يدل على أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله، قال هذا الكلام قبل أن يثبت

من البينة على المتهم وهو أمر يستحيل صدوره من النبي صلى الله وبارك عليه وآله. ولو كانت هناك بينة كافية فإنه لن يتردد في إقامة الحد عليه، وقد أقيم الحد على حسان ومن معه. ثالثاً، كيف يوكل صاحب الأمر والنهي رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله والحاكم بأمره وشرعه كيف يوكل الحكم في قضية إلى المجتمع كله ليقصص من متهم نكرة بعد أن يثيرهم عليه في خطبة عامة؟ وكيف ينفذ الحكم؟ وما هو الحكم؟ الجلد أم القتل أم ماذا؟ رابعاً يلاحظ في قول سعد بن معاذ "إن كان من الأوس ضربت عنقه" بينما الجريمة ولو ثبتت وعرف من هو المتهم فعقوبتها الجلد لا ضرب العنق لأنها قذف! فانظروا ماذا كان سيحصل من أثر لمثل هذه الخطبة؟! القتل في جريمة قذف وينفذ الحكم من العامة لا من القاضي الحاكم ودون إثبات!!

أترى أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله كان يومها عاجزاً عن التقصي ومعرفة الحق وعن تنفيذ حكم الشرع في متهم ما أياً كان ذلك المتهم؟! خامساً، كلام سعد بن معاذ يوضح أن المقصود رجل مجهول لا يعلم أهو من الأوس أم من الخزرج ولا يعرف اسمه فإن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لم يسم عبد الله بن أبي ولا غيره. سادساً إقامة الحد على حسان بن ثابت ومسطح وحمنة، يدل على أنه كان هناك تحرر وسماع بينات وتنفيذ حكم. فكيف يستقيم هذا الحديث وهذه الخطبة المجهول فيها المتهم والحكم؟ ثم أنظر إلى صورة الصحابة في هذا الحديث وتعاملهم مع النبي واتهام بعضهم بعضاً بالنفاق وسوء العلاقة بينهم! أهكذا كانت صورة أحباب النبي وصحابته أمامه؟! وجاء في حديث آخر في البخاري "... عن مسروق قال دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يتشعب بأبيات له... قال مسروق فقلت لها لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١). فقالت: وأي عذاب أشد من العمى... وهذا يدل على أن حسان هو الذي تولى كبر حادث الإفك، وليس بن سلول. إذن فمن الذي قال إن ابن

(١) سورة النور، الآية: ١١

سلول منافق أو هورأس المنافقين؟ لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه لا يفشي ما أسره واتخذ سرّاً، ولم يقله حذيفة صاحب السر ولا يوجد غيرهما من يعرف المنافقين!!!

ولو افترضنا أن النهى عن الصلاة على المنافقين جاء بعد صلاة النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله على ابن سلول، وأن ابن سلول كان منهم كما زعموا فهل ذلك يبطل أثر صلاة النبي السابقة ويلغى مفعولها أم هو لما يقدّم من فعل مماثل؟ وهل يراد من المسلمين - كما هو حاصل الآن - أن لا يجعلوا قيمة لصلاة النبي على ابن سلول، وتكفينه بثوبه وأن ما فعله النبي كان جهلاً وعبثاً لا قيمة له؟! ونظّل نلعن من صلى عليه النبي ودعا له بالمغفرة في الصلاة!! أم أنه - كما يظن البعض - كان يظهر الصلاة عليه ترحماً بالخير ويدعو عليه بالشر سرّاً...، وهذا خلق لا يوصف به أدنى مسلم له صدق مع الله وإخلاص في القول والعمل؛ : ناهيك عن النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله ، الذي بعث ليتمم صالح الأخلاق ، لأنه فعل ينم عن النفاق وسوء السريرة. ثم إنه لا يوجد ما يجعل النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله يفعل أمراً في الدين لا يريده، ولا يريده الله الذي أرسله بالحق، وجعله الأسوة الحسنة في الصدق والإخلاص والقوة في الجهر بالحق وعدم المجاملة فيه. ولا يعتقد مسلم أن في عمر قوة في الحق أكثر من النبي لأن ذلك كفر!! وأي كفر!!

إن من يقول أن عمر أقوى من النبي في إظهار الحق والجهر به، فقد حط في نفسه من قدر النبي الأسوة الحسنة ورفع من قدر عمر فوقه ، وجعل عمر هو الأسوة الحسنة في الحق!!! وإن من ينتقص من القدر المحمدي الشريف كافر، وأهل هذا المعتقد الفاسد، هم الذين ينظرون إلى القائم عليه السلام نظرة المخالف لأهل السنة، وهم الأكثرية التي سوف تقاومه على نهجه في إحياء السنة وتصحيح العقيدة، وتوضيح قدر رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله ، الذي لا يدانيه أحد من أمتة عمر كان أو غيره!!! وسوف يقتلهم عليه السلام ودمائهم هدر لا يقبل لهم توبة وأموالهم غنيمة حتى لا يبقى في الأرض من يبغيض آل محمد.

وقد يكون قصدهم من عدم تخطئة عمر ورفع قدره هو تبرئة صاحب رسول الله من مخالفته للنبي صلى الله وبارك عليه وآله؛ حتى لا يكون في صحابته من كان يخالفه ويعارضه. لأن ذلك يخرجهم من الصحبة بل من طاعة الله، لأن طاعة النبي هي طاعة الله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١) ويستحيل عندهم أن يكون الخليفة الثاني قد وصم بعدم طاعة الله ورسوله في حياة النبي ثم يصير خليفة للمسلمين. ولذلك يجب أن تكون كل أفعاله عندهم صحيحة ممتازة، حتى تلك التي عارض فيها النبي صلى الله وبارك عليه وآله. ولكي لا يكون موصوما بعدم طاعة الله، يقولون إن القرآن من عند الله جاء مؤيداً له حتى لا تكون عدم طاعته لرسول الله هي عدم طاعته لله !!

يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويفصلون طاعة رسول الله عن طاعة الله!!! إنهم حقيقة يقولون إن طاعة الله ممكنة رغم معصية رسول الله ولا يشترط لطاعة الله طاعة رسول الله - رغم إثبات الله لها - وما ذلك إلا خوفاً من أن يكون في الإسلام - خاصة ممن عاصروا النبي صلى الله وبارك عليه وآله - أصحاب يخطئون. يريدون أن يخرجوا صورة ملائكية للمسلمين الأوائل كما يحبون ولو احتاج ذلك لليّ عنق الحقيقة وتكذيب التاريخ. لأنهم يريدون أن يكون رجال الإسلام خاصة صحابة النبي صلى الله وبارك عليه وآله جميعهم لا يخطئون - ولو عارض أحدهم النبي نفسه فإنه يكون محقاً والنبي هو المخطئ - ولا ينافقون، وكلهم عدول رغم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يقول في صحيح مسلم "في أصحابي اثنا عشر منافقاً ثمانية منهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط" وقال الله تعالى في أحدهم ﴿... إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ...﴾^(٢) وقال فيهم ﴿... مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(٣) وقال تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...﴾^(٤) وقال فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٨

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠

أَمَّنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى... ﴿١﴾ وهم كفار اليهود وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢﴾. كل ذلك لأولئك النفر من الصحابة الذين ما كانوا يعرفون قدر النبي وتوقيره حتى يزرهم الله بمراعاة الأدب معه وعدم رفع الصوت فوق صوته بل حتى لا يتكلمون معه بصوت جهور. ورغم ذلك الزجر والتأنيب الإلهي تجد منهم من نُسب إليه إيذاء النبي بما لا يليق بمسلم عادي فيقول - وهو الذي قالوا إنه مبشر بالجنة - لئن مات محمدٌ لأنكحن عائشة من بعده!!! وقال في رواية أخرى "أيحد بنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا؟ لئن حدث به حدث لننكحن نساءه من بعده". انظروا إلى هذا المبشر بالجنة - إن صح ما يقولون - يقول محمداً مجرداً وينتظر موته لينكح أزواجه من بعده!! وهذا القائل - لأنه من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله - يريدون أن يخرجوه من هذه الصورة البشعة التي لا يجروُ منافق على قولها ولا كافر فيجعلونه مبشراً بالجنة!!!

ولا أدري لأنه يتمنى موت النبي وينتظر ذلك بفارغ الصبر لينكح أزواجه من بعده ولذلك وجبت له الجنة!!! لأنه بهذا القول تنتن الشنيع - الذي لا يمكن صدوره من أحد صعاليك المدينة وسفهائها - آذى رسول الله وآذى كل أمة محمد فوجبت له الجنة؟! ورغم أن الله تعالى أنزل فيه ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ﴿٣﴾ يجعلونه مبشراً بالجنة؟ فما بقي لأهل هذا المعتقد إلا ليقولوا لكل من يؤذي رسول الله هنيئاً لك بالجنة ويقولوا لكل من يعارض رسول الله هنيئاً لك بتأييد الله!!!

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٢

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣

الجزء الثاني

أسرى بدر

إنَّ الذي جاء بالرسالة لا يمكن أن يكون إلا مثَلها الأعلى ولا يُرى كمالها إلا منه ، ولا يُفسَّر ما غَمَضَ منها إلا بفعله أو قوله ، ويستحيل أن يكون غيره أعرف منه بشيء منها صَغُرَ أو كَبُرَ ، فلا يؤخذ تفسِيرُ أو تأويلُ من أي أحد فيما بُعِثَ وأُرْسِلَ به صاحب الرسالة في وجوده . والقول بغير ذلك اتِّهامٌ لصاحب الرسالة في أدائه لها بنقص في العلم أو خطأ في السلوك ، وذلك يعني أَنَّهُ ليس هو المرجعية فيما جاء به من ربِّه !! وهو يضاهي قول الذين كفروا ... لست مرسلًا ...^(١) وتتفتي بذلك المرجعية في الدين ، لأنَّه لا يوجد ضابطٌ لها ، إذ أن الضابط هو علاقة الرسول بالمُرسل . أما غيره فلا يوجد لديه ما يَسْتَنِدُ إليه على صحة ما يدَّعيه إلا إذا كان شريكاً في الرسالة فيستند إلى المصدر نفسه ، وهذا مستحيل فالله سبحانه قد اختار رسوله وفضَّله على غيره ، ولا شريك له فيما بعثه به ولا أفضل منه ليُصحَّحه فيما بُعِثَ به . وأسندَ إليه الأمرَ كُلَّهُ قال تعالى ﴿ فَلَا يَنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١) . كما أَنَّهُ يستحيل أن يستند الغير في هذا إلى من أَرسل الرسول دون أن يكون شريكاً في الرسالة ، لأن ذلك يعني الشك في علاقة المُرسل بمن أرسله ، وأنَّه ليس هو الأفضل عنده في القيام بهذه الرسالة ، وهو الشك في اختيار الله للأفضل لأداء رسالته !! كما أن الغير نفسه - بعد الإيمان مُطالب بالاتباع للنبي صلى الله عليه وآله من قِبَلِ المُرسل ، فالإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله هو مَطْلَبُ الحق من عباده المؤمنين ؛ قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴾^(٢) لأن الرسول هو الذي يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور قال تعالى : ﴿ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾^(٣)

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤٣

(٢) سورة الحج ، الآية : ٦٧

(٣) سورة الحديد ، الآية : ٢٨

(٤) سورة الطلاق ، الآية : ١١

إنطلاقاً من هذا ، فإنه لا يوجد مجال المقارنة فعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله أو قوله بفعل أو قول شخص آخر لرؤية أيهما أفضل!! فإن الذي اختاره الله لا يمكن أن يوجد من يوازيه في فعل أو قول أو خلق أو خُلُق أو علم فلا يوجد مجال لمقارنة. فإن وُجد أثرٌ يقول بغير ذلك فقد وجب النظر في هذا الأثر والبحث والتدقيق، ولا يمكن أن تُغْمَض عليه الأعيُن بحجة أن هذا ما وجدنا عليه السَّلَف. وليس كل ما كان عليه السَّلَف محموداً. ولو كان السَّلَف لا يُخطئون لما احتاجت الأمم إلى إرسال الرُّسل تترا. فالتقديس لما عليه السلف وإعطائه العصمة وتحريم نقده ورفض تغيير ما لا يصلح منه إلغاءً للعقل وتحجير على الله بوقف فضله عليهم. ولا عبرة بما كان عليه السلف إذا جاءوا بما يُخالف كتاب الله وعصمة الرسل صلوات الله عليهم. ولكن هناك مَنْ يرون في هذا الطرح خروجاً وهدماً لقواعدهم المؤسسة على ذلك (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) ^(١) والتعصب هو الداء الأكبر والعدوُّ اللدود لحرية الفكر التي دعا إليها نبيُّ الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله. والتعصب هو المُفْضِي إلى العُنف لا إلى السلام الذي هو الغاية من الرسائل، فالنبي صلى الله وبارك عليه وآله عندما فتح مكة لم يفرض عليهم الإسلام ولا الجزية، بل تركهم طُلُقَاء من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. "لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة ". ومن هنا كان وجوب إعادة النظر فيما وجدنا عليه آبائنا في أمر أسرى بدر والمرجعية في ذلك هي ما أنزل الله وشخص النبي الكريم الذي فضَّله الله ليس على من كان في عصره فقط بل على الخلق أجمعين، ومدَّحَه بِالخُلُق العظيم ووَصَفَه بالرحمة للعالمين وأرسله ليعلم الناس الكتاب والحكمة.

• • •

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٤

قال تعالى ﴿مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُوْثِقَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^(١) وقال تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ ^(٢). اللقاء هنا - ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ^(٣) - مقصود به الحرب ولا شيء غير الحرب، وهي لا تكون إلا ضد المعتدين، والكفار والمشركون معتدون بطبعهم على حرية الفكر والدين، ويصرون على منع الناس من اختيار مُعْتَقَدٍ أو ترك مُعْتَقَدٍ، بل يعتدون على أصحاب الفكر والإصلاح، فيسخرهم منهم ويستعززون بهم، وربما قتلهم كما حصل لأنبياء الله على مر الدهور. فجاء الأمر الإلهي ليبين كيفية الحرب عليهم - ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ﴾ ^(٤) - والإثخان في الحرب هو الإكثار في القتل في المعركة، ولا يكون ذلك إلا من الصف المنتصر. فإذا كان ذلك في حالة الحرب في الإسلام، فعلى المسلمين اللجوء بعد ذلك إلى أسر الكفار المنهزمين، لا الاستمرار في قتلهم، وضرب الرقاب، إذ ليس المقصود من الحرب في الإسلام الإبادة للعدو بل النصر هو الغاية. فإذا بان النصر وأثخنوا العدو ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾ - على المسلمين بعد ذلك اللجوء إلى أسر المنهزمين، وهو قوله تعالى ﴿فَشُدُّوا الْوُثَاقَ﴾ وهو الأسر. فالله سبحانه قد أمر بالأسر في الحروب لمنع إبادة الأعداء المنهزمين - ولكن بعد الإثخان - لأن الأسير لا يقتل، ومن أسر وجبت معاملته بالحسنى، لا القتل، لأن مكان القتل هو الميدان الذي كان يُقاتل فيه الذي كانت فيه المعركة. وقد بين الله سبحانه وتعالى معاملة الأسرى بعد المعركة - ﴿فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ﴾ فلا وجه لقتل أسير في

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٧

(٢) سورة محمد، الآية: ٤

(٣) سورة محمد، الآية: ٤

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٨

الإسلام، بل تجب معاملته برفق وإحسان. ولم يمدح الله سبحانه قَتْلَ الأسرى ولم يأمر بقتلهم، ولكنه قد مدح الذين يُحسنون إلى الأسير، ووَصَفهم بأنهم من المُحبين لله بذلك السلوك؛ قال تعالى ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١). وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بمخاطبة الأسرى، ودعوتهم إلى إحسان السريرة التي يتبعها إحسان التعامل كي يغفر لهم، لأنَّ الدين المعاملة. فإنَّ من حسنت سريرته حسنت أخلاقه وتعامله، وكان أهلاً ليغفر الله له، لأنَّ صالح الأخلاق هي التي بعث النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليتممها، ومن أجلها كانت البعثة. ولم يأمره سبحانه وتعالى بسوء معاملة الأسرى، ولا حتى بغليظ القول، ناهيك عن قتلهم فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذا هو أسلوب الدعوة إلى الإصلاح الذي جاء به نبي الرحمة، ولم يأمره سبحانه بقتل من في أيديهم من الأسرى إذا لم يقولوا "لا إله إلا الله"! وقد مثَّل النبي الأكرم الزوجة والأبناء بالأسرى، ليوضح وجوب إحسان معاملتهم. قال صلى الله وبارك عليه وآله "أبناؤكم وأزواجكم أساراكم فليُنظر أحدكم كيف يعامل أسراه". فهو الرحمة المُهداة للناس كافة، صلى الله وبارك عليه وآله، والمؤسَّس لحقوق الإنسان حياً كان أو ميتاً، بغض النظر عن دينه وجنسه، فقد وقف حينما مرت به جنازة فقيل له إنها ليهودي، فقال صلى الله وبارك عليه وآله "أليست نفساً؟" وقيل له يارسول الله أدع على المشركين قال "إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة"^(٢).

فإذا كانت بعثته صلى الله وبارك عليه وآله لا يوجد فيها متسع حتى على الدعاء على المشركين، فكيف يكون فيها من القسوة والغلظة ما يصل إلى قتل الأسرى الذين هم أحوج الناس إلى الرحمة التي يمثلها محمد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟!!

والقتل والأسر لا يُباشره إلا المُحاربون في الميدان، الذين قد لا يلتزمون بما لديهم من أوامر من القيادة العليا، كما فعل الأصحاب في غزوة أُحُد حيث أمر النبي الرماة

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٠

(٢) صحيح مسلم

ألا يتركوا أماكنهم وإن تَخَطَّفَهُم الطير !! "جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم" ^(١) ، فلم يلتزموا بالأمر وخالفوه صراحة رغم تشديده عليهم بقوله " وإن تخطفنا الطير" ! وكان هذا هو السبب المباشر في هزيمتهم في تلك المعركة. وقبل ذلك في معركة بدر، وقبل المعركة، حدد النبي صلى الله عليه وآله موضع مصارع من سَمَّاهم من المشركين. ولم يأمر بعدم قتل أحدٍ منهم سوى العباس رضي الله عنه " عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ثم من لقي منكم العباس فليكف عنه فإنه خرج مستكرها" ^(٢) ولكن ماذا فعل المقاتلون في الميدان؟ لقد سارعوا إلى أسر الكفار حينما لاحت بوارق النصر وهزيمة المشركين، لأنَّ في الأسر فائدة مادية للآسر ، إذ له سلب المأسور وما عليه وعتاده وو.. ففضلوا الأسر لأجل الغنائم !! فهل فهموا من تعيين النبي صلى الله عليه وآله لمصارع القوم أنه أمر بأسرهم؟ والإجابة واضحة، فقد كانت إشارة من النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله ، ليثخنوا العدو في المعركة لا ليأتوه بالأسرى. كما أن استثناء العباس رضي الله عنه من القتل فيه إشارة أيضاً إلى الإثخان إذ لم يستثن غيره. ولكنَّ الصحابة المقاتلين فضَّلوا الأسر وشد الوثاق قبل الإثخان، ولم يلتزموا بالتوجيه النبوي، ولا بالأمر الإلهي، الذي هو ضرب الرقاب حتى الإثخان، وليس الأسر قبل الإثخان. فجاءت المؤاخذة عليهم من الله سبحانه وتعالى (...ثُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) ^(٣) - وَعَرَضَ الدُّنْيَا هو ما يعود على الآسر من الفائدة المادية من المأسور مِن سَلْبِهِ وماله وما عليه وهي - الغنائم - وما كان ينبغي لهم المسارعة إلى الأسر إلا بعد الإثخان ، ولكنهم لم يراعوا ما أشار إليه المعلم القائد ، كما لم يراعوا ما قال لهم صراحة بعد ذلك في معركة أُحُد، حينما أمرهم بصريح العبارة أن لا يغادروا مواقعهم. فخالفوه ولم يلتزموا رغم

(١) صحيح البخاري

(٢) المستدرک علی الصحیحین

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧

قوله "وإن تخططنا الطير!!" - " فجاءت الآية الكريمة مؤاخذه لهم و مبينة لهم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم يأمرهم بأسر المشركين، بل بالإثخان ، والذي هو أمر الله سبحانه وتعالى للمحاربين بضرب الرقاب. فقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ ^(١) مخاطباً للذين سارعوا إلى الأسر قبل الإثخان ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ ^(٢) وليس خطاباً موجهاً للنبي صلى الله وبارك عليه وآله، وإلا لكان الخطاب للفرد لا للجماعة ﴿تُرِيدُونَ﴾. فكانت المؤاخذه لمخالفتهم لما أشار إليه النبي صلى الله وبارك عليه وآله. ولا يمكن أن يفهم من الآية أن تكون المؤاخذه موجهة للنبي صلى الله وبارك عليه وآله، وذلك لأنه يتعين في هذه الحالة أن يكون علمه بوجوب قتل الأسرى سابق للحدث بحسب تفسيرهم لقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٣) وهو علم ينبغي أن يكون مُكْتَسَباً بوحى مُسبق أي أنه - كما يشير الحديث - كان يعلم من الله قبل الحرب أن الأنبياء صلوات الله عليهم يقتلون الأسرى ولا يقبلون الفداء؛ ورغم ذلك تصرف هو بخلاف ذلك. فتكون المؤاخذه لتصرفه بعكس ما لديه من علم أوحى به إليه، سابق للحدث، بأن أنبياء الله يقتلون الأسرى!! ولا يمكن لمسلم أن يقول إن النبي المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله لا يلتزم بما أوحى إليه، ويتصرف بعكسه مخالفاً لربه الذي اختاره من بين خلقه -لأنه أشرفهم وأعلمهم- ليرسي قواعد الشرع للإنسانية كافة ويخالف سنن الذين سبقوه من الأنبياء، والواقع أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم يأمر المحاربين بأسر المشركين. فكيف يؤخذ بأن يكون له أسرى وهو لم يأمر المقاتلين بالأسر أصلاً؟ والفرق كبير بين أن تأسر محارباً يريد قتلك وأن تقتل أسيراً لا حول له ولا قوة ولم تكن لك يد في أسره! والمؤاخذه في الآية تتعلق بأسر المحاربين لا بقتل المأسورين وشتان بين الأمرين، فالأسير ينظر إلى الرحمة والمحارب ينظر إلى القتل.

ثم ماذا كان بعد أن انتهت المعركة بصورتها غير المرضية من حيث أن المحاربين

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٧

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٧

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧

خالفوا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسارعوا إلى الأسر قبل الإثخان وجاءوه بسبعين أسيراً؟ لقد أخذ الأسرى إلى المدينة ليُعاملوا كما تجب معاملة الأسرى، لا يُقتلوا، لأن الميدان هو مكان القتل والحرب. والذي ينبغي في التعامل معهم هو ما أمر به الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ﴾ ^(١) وهذا هو الخلق المحمدي فقد كان صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله خلقه القرآن. وهو المبعوث رحمة للعالمين وليس للمسلمين فقط، ففعل النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله كله حق لأنه حق ولا يصدر من الحق إلا الحق، قال تعالى ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ ^(٢) ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ ^(٣) فالأسير مصيره الإفراج عنه عاجلاً أو آجلاً، إما امتناناً عليه وتركه حراً دون قيد أو شرط وإما مقابل فدية يفدي بها نفسه، كما جاء في الآية الشريفة مع وجوب حسن معاملته.

على ضوء ما ذكرنا لننظر إلى ما جاء في كتب الحديث وهل يوافق ما جاء في كتاب الله ويتناغم مع النهج المحمدي الذي هو ترجمة للقرآن في الحروب والأسرى؟

جاء في مسند أحمد بن حنبل عن ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لما كان يوم بدر... فهزم الله عز وجل المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً، فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر رضي الله عنهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر رضي الله عنه، ولكنني أرى أن تمكيني من فلان - قريباً لعمر - فأضرب عنقه، وتمكن علياً رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم

(١) سورة محمد، الآية: ٤

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٦

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٢

وقادتهم. فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه: غدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبأكيت لبكائكما، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الذي عرض علي أصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة، وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَخَنَّ فِي الْأَرْضِ... إِلَى قَوْلِهِ: لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ...﴾^(١) من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه، وأنزل الله تعالى ﴿أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا﴾^(٢) الآية بأخذكم الفداء.

الحديث يقول إن عمر بن الخطاب (رض) أشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وآله بقتل الأسرى وهو أمر لا يُقرُّه الله سبحانه في كتابه، ولا النبي صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وآله في سنته وشرعه، وهو أعلم الخلق بالله، وبكتاب الله، وكيفية الدعوة وأسلوبها. لأنه لا يتبع إلا ما يوحى به إليه. فهو معصوم من اتباع الهوى. ثم إن قتل الأسرى لا ينفي وجودهم كأسرى قبل قتلهم! وليس قتل الأسرى هو الإثخان، لأن الإثخان - كما أشرت من قبل - هو الإكثار من القتل في الميدان قبل الأسر ﴿حَتَّى إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾^(٣) وليس بعد الأسر. والمؤاخذه الإلهية إنما كانت في المسارعة إلى أسرهم وليس في عدم قتلهم بعد الأسر. ولم يكن توجيه النبي صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وآله وما أشار به للمحاربين هو أن يأتوه بأسرى، بل كان المراد المطلوب هو الإثخان، وهو الإكثار من القتل عند اللقاء، وليس الإسراع إلى الأسر الذي هو محل المؤاخذه من الله سبحانه.

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧، ٦٨

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥

(٣) سورة محمد، الآية: ٤

نجد أن الذين أشار عمر بقتلهم وقال هم أئمتهم وصناديدهم وقادتهم هم: العباس -الذي أمر النبي بـلَا يُقْتَل قبل المعركة - وقد يكون لعلمه صلى الله وبارك عليه وآله بإخفائه إسلامه، رغم أن فعل النبي لا يحتاج منا إلى تبرير، بل يُقابَل بالطاعة والتسليم التام لقول الله تعالى ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) ومنهم عُقِيل أخو علي بن أبي طالب عليه السلام. فهل هؤلاء هم أئمة الكفر وصناديدهم وقادتهم؟ هؤلاء بنو هاشم - عم النبي وابن عمه. ويريد عمر - كما جاء في الحديث - أن يقوم حمزة رضي الله عنه بقتل أخيه العباس رضي الله عنه، وعلي عليه السلام بقتل أخيه عقيل رضي الله عنه. ورجل آخر لم يسمَّه الحديث يريد عمر قتله بنفسه! هل هؤلاء هم كل أسرى بدر؟ لماذا اقتصر الحديث على هؤلاء الثلاثة؟ فهل هذه هي الرحمة التي جاء بها نبي الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله؟

يريدون أن يظهروا في الحديث حرص عمر بن الخطاب على قتل المشركين في قوله "حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم" وهذا قول مردود، فالحرص على القتل يكون في الحرب لا بعد الأسر، فقد بينا كيف يُعامل الأسير في الإسلام. أما علمُ الله بما في القلوب، فليس الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى أحد ليبينه له بعَمَلٍ ظاهر! لأنه جلَّ جلاله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ والقول بأن "هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم" قول غير صحيح، إذ ليسوا هم كذلك! فلم يُذكر قط في أي مصدر من المصادر الإسلامية أن العباس وعقيل (رض) كانا أئمة الكفر وقادتهم وصناديدهم. ثم أين بقية الأسرى السبعين؟ ولماذا اقتصر الحديث على بني هاشم بأسمائهم وثالث لم يُسم؟ وأين رأي علي بن أبي طالب الذي ذُكر في الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله استشاره كما استشار أبا بكر وعمر، ولماذا سُكِّت عنه؟؟

الحديث يدور حول افتراض صحة رأي عمر بن الخطاب (رض) في قتل الأسرى، وهو يهدم التشريع المحمدي في الحروب في الإسلام في التعامل مع الأسرى، ومخالف

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦

لكتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. ولا يقف الأمر عند هذا الحد -مخالفة ما جاء في كتاب الله جلّ وعلا وسنة رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله- بل يتعداه ليبين أن تصرف المعصوم وتشريع في التعامل مع الأسرى كان خطأ يُحاسب عليه!! كأن هناك أحد الأنداد مشرع معه يمكن أن يصيب ويخطئ هو!! ويصفه الحديث بأنه ندم على مخالفته لرأي عمر، حيث أخذ الفداء من الأسرى وظل يبكي على ذلك، فقال له عمر حينما وجده يبكي "يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما" وهذا يشير إلى أن النبي صلى الله عليه وآله يمكن أن يكون بكاءه بلا سبب يستوجب البكاء في رأي عمر، وإذا كان البكاء بلا سبب موجب له فلا يكون إلا تمثيلاً أو عبثاً، -وهل يكون ذلك من النبي صلى الله عليه وآله؟- وفي هذه الحالة فإن عمر "يتباكى" لبكاء النبي وصاحبه -مجاملةً لهما- رغم عدم اقتناعه بوجود سبب لبكائهما ("وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما")!! فرد النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله على عمر "لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريية" وكلمة "لشجرة قريية" قطعاً هي ليست من كلام النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله، وكذلك ما تلاها من الحديث. فهل تصرف المعصوم صلى الله عليه وآله عليه وآله بغير أمر الله سبحانه ليعاقبه الله ("عوقبوا بما صنعوا يوم بدر") على تصرفه؟ ويستمر الحديث فيقول "وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ... إِلَى قَوْلِهِ: لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ...﴾" (١) من الفداء" ويبدو جلياً في هذا الجزء من الحديث إلقاء اللوم على النبي المعصوم صلى الله عليه وآله عليه وآله لقبوله الفداء!!!

من المعلوم أن الفداء يتم الإتفاق عليه مع الأسير أو يفرض عليه ثم يدفعه مما لديه من مال في عقبه، أو يدفعه عنه أوليائه بعد ذلك. ولا يتوقع أن يكون مع الأسير شئ سوى جلده الذي نجا به. لكن يلاحظ في الحديث كأن الفداء كان مع الأسرى، وأخذه

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧، ٦٨

النبيّ منهم واصبح من الغد يبكي على ذلك، فقد جاء في الحديث "ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء. ولما كان من الغد... فإذا هو قاعد وأبوبكر بيبكيان..." والأسير لا يملك في أمر الفداء إلا الاتفاق على نوعية الفدية وقدرها. فقد تكون عملاً يقوم به الأسير، كما جاء في أمر هؤلاء الأسرى أنّ منهم من كانت فديته أن يُعلم عدداً من أبناء المسلمين، ولا يقال أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أخذ الفداء، فليس لدى الأسرى شئ يؤخذ إنما يمكن أن يُقال أنه قبل الفداء الذي سينفذ لاحقاً.

الأرجح في تفسير ﴿لَسَكُمْ فِيْمَا أَخَذْتُمْ﴾^(١) إما أن يكون (فيما أخذتم) من الأسرى قبل الإثخان - فما كان ينبغي لهم أن يأخذوا أسرى قبل أن يُثخنوا العدو - وإما أن يكون (فيما أخذتم) من عرض الدنيا، وهو ما كان لدى الأسرى من عتاد ومتاع وهي الغنائم حيث جاء بعدها ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾. وفي كلا الحالتين، يقع اللوم على الصحابة، لا على النبي صلى الله وبارك عليه وآله، إذ يستحيل أن يقع عليه اللوم لقول الله تبارك وتعالى ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾^(٢) فقد جاء في الحديث "ثم أحل لهم الغنائم" والغنائم هي التي كانت السبب فيما كان من التوبيخ الإلهي في المسارعة في الأسر لأنها ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ ولولا أن رحمة الله سبقت غضبه ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ لكان العقاب والعذاب واقع بهم لا محالة فيما أخذوه منها ﴿لَسَكُمْ فِيْمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولكن ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيْهِمْ﴾^(٣) فإن الله سبحانه أخذ العهد على نفسه أن لا يعذب قوماً فيهم رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، فشملتهم الرحمة التي يمثلها محمد نبي الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله، فأحل لهم الغنائم ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

أما قبول الفداء من الأسرى فقد بينه الله في مُحكم تنزيله ﴿فَإِمَّا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ﴾^(٤)، وليس الفداء هو الغنائم، والآيات تتحدث عن أخذ الغنائم لا عن قبول

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٨

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٤

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٣

(٤) سورة محمد، الآية: ٤

الفداء الذي أوجب الله التعامل به مع الأسرى، كما قال تعالى في محكم تنزيله. فلا مجال للطعن في قبول الفداء من الأسرى، وهو الذي فعله النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله كما أمره الله تعالى. فالمخالفة والمؤاخذة إنما كانت على الصحابة في المسارعة للأسر ليلهم للغنائم، لا على النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله في تعامله مع الأسرى متبعاً ما يوحى به إليه في قبول الفداء. ولينظر المسلم أين هو من نبي الله المعصوم!! ولنقرأ الآيات المذكورة في الحديث متتالية ليتضح أن المقصود بها هم الصحابة في تسرعهم للأسر من أجل الغنائم لا النبي في قبوله الفداء. قال تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتُخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

أما الآيات التي تليها مباشرة فهي التي تخاطب الرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله فيما يتعلق بالأسرى الذين أتى بهم المحاربون إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأُسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الغنائم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢) وهذه توضح أسلوب التعامل مع الأسرى وهو مخاطبتهم ومقابلتهم بالرحمة التي لم يكونوا يعرفونها من قبل؛ ومواساتهم بطريق الدعوة إلى الخير والصلاح ليغفر الله لهم ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ وهذه الدعوة جاءت بعد الذي أخذ منهم - لإصلاح سرائرهم - ليؤتاهم الله خيراً منها - فنبي الرحمة إنما بعث ليتمم صالح الأخلاق - فإن استجابوا كان لهم من الرزق خيراً مما أخذ منهم من الغنائم وتتبعه المغفرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. والله سبحانه وتعالى يبين لنبيه الكريم أن الإفراج عن الأسرى هو الذي ينبغي أن يتم، ولو كان الذين يراد الإفراج عنهم يبيتون نية السوء والخيانة.

(١) سورة الأنفال، الآيات ٦٩-٦٧

(٢) سورة الأنفال، الآيات: ٧٠ - ٧١

ولا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في عدم الإفراج عنهم، فالله سبحانه متكفل بحفظ نبيه، ولن تمكنهم خيانتهم من الإفلات إن فعلوا ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ فهذه الآيات التي تتعلق بأمر الأسرى وكان الخطاب الإلهي فيها موجهاً للنبي صلى الله عليه وآله ليتبع ما أوحى به إليه.

إنني لأعجب ممن يريدون أن يضعوا عمر بن الخطاب (رض) في مثل هذه المواقف بهذه الصورة ثم يقولون إنها من مناقبه! فهل من المناقب مخالفة الرسول المعصوم وكتاب الله الحكيم؟ لكأنني أرى أن هناك نهجاً وُضع في بعض الأحاديث يجيز عدم احترام فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، ثم يُصوّب الرأي المخالف ويخطئ النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله - حتى لا تكون هناك قداسة لفعله ورأيه وشخصه الكريم - ويُنسب ذلك إلى عمر بن الخطاب (رض) ويُقال إنه من مناقبه!! وفي الحقيقة ليس هناك أسوأ من أن يوصف صحابي بمخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله. وهذا النهج من الأحاديث، وإن وُضع في صورة مدح لعمر (رض) وإظهاره بالقوة والشدة، فإنه حقيقة قدح في حقه ووصف له بالمخالفة والحدّة. كما أنه يلغي عصمة النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، وتقديس فعله وأمره وشخصه الذي فرضه الله على المؤمنين، في قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ ^(١) وقوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ وقوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ ^(٢) وقال تعالى ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ^(٣).

فالحديث لا يرسّي أي قاعدة فقهية إسلامية بل يهدم قاعدة حقوق الإنسان في أمر الأسرى، وفي إدارة الحرب في الإسلام، حيث ينبغي أن لايسارع المحاربون إلى أسر الأعداء، إلا بعد إثنائهم ولايستمرروا بعد ذلك في إبادتهم. فليس للحديث أي أهمية تشريعية في أمر الأسرى سوى تبيان مخالفة عمر لفعل النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، ومحاولة إظهار صحّة تلك المخالفة، ليكون فعل النبي هو الخطأ!! ولا أظن أن هناك

(١) سورة الحشر، الآية: ٧

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣

(٣) سورة الفتح، الآية: ٩

صحابيا يفرح إذا وُصِفَ بأنه خالف النبي صلى الله وبارك عليه وآله، ويستحيل أن تكون الصحة في مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله. كما أن في الحديث مخالفة صريحة لكتاب الله سبحانه وتعالى فيما ينسب إلى عمر بن الخطاب (رض) حيث يقول الله سبحانه في أمر الأسرى ﴿فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ﴾.

قد ذكر أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قال قبل بداية الحرب "من لقي منكم العباس فليكيف عنه" ^(١) فهل يا ترى ذكروا أن عمر (رض) لم يسمع بتوجيه الرسول القائد لجيشه قبل المعركة؟ إذ من المعلوم بالضرورة أن كل كلمة تصدر من القائد قبل المعركة تكون محل سمع واحترام وحرص من جميع المحاربين. وإذا كان هناك أمرٌ مُسبق من النبي صلى الله وبارك عليه وآله بعدم قتل العباس في الميدان، فكيف يقولون إن عمر (رض) أصرَّ على قتل العباس بعد أن أصبح أسيراً؟! وكما ذكرنا أن الحديث قُصِد به تبيان صحة رأي عمر في مقابلة فعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله!!! وقد بين الواقع التاريخي عكس ذلك، وأن أخذ الفداء كان هو الأصوب. فقد احتاج عمر (رض) في عهده إلى العباس (رض) ليستسقي به فأنقذ الناس من القحط بمن كان حريصاً على قتله...، فهل كان الأصوب غير ما فعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله وهو أخذ الفداء؟ وجاء في حديث آخر أن عمر قد أَمِن في كتاف العباس بعد أسره حتى أنه كان يئن طول الليل ولم ينم رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله من أنين عمه العباس "روى بن عائذ في المغازي من طريق مرسل أن عمر لما ولي وثاق الأسرى شد وثاق العباس فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم يئن فلم يأخذه النوم" ^(٢). فهل المقصود أن يفهم من هذا أن في نفس عمر (رض) شئ من تمييز النبي صلى الله وبارك عليه وآله لعمه العباس في قوله "من لقي منكم العباس فليكيف عنه"؟ ثم أليس في هذا الفعل إذية للنبي صلى الله وبارك عليه وآله بلغت حدَّ منعه النوم؟ وهل يراد من ذلك إدخال عمر (رض) في الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٣).

(١) المستدرک علی الصحیحین

(٢) فتح الباری

(٣) سورة التوبة: الآية ٦١

ويستمر الحديث ليشمل معركة أحد فيقول "فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء (١) والمقصود بكلمة "عوقبوا" هنا هو النبي صلى الله وبارك عليه وآله، فهو الذي أخذ الفداء كما جاء في الحديث !! وبني الفعل للمجهول بصيغة الجمع حتى توارى فداحة المقولة التي يستحي كل مسلم ان تجري على لسانه أو خاطره وهي "عوقب النبي بما صنع يوم بدر من أخذ الفداء"، وكسرت رباعيته وهُشِّمَت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وفرَّ عنه أصحابه" هذا القول كأنه شماتة على النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، لأنه أخذ برأي أبي بكر (رض) ولم يأخذ برأي عمر كما قال "ولم يهو ماقلت". فقد جاء في الحديث "فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء" والرسول صلى الله وبارك عليه وآله لا يتبع الهوى بل يتبع ما يوحى إليه. قال تعالى (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) (٢). والحديث يقول إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله تصرف بما يهو !!! فهل هذا نهج عمر بن الخطاب (رض) الخليفة الثاني !!؟

كما ذكرنا فإنَّ السبب في هزيمة الصحابة في معركة أحد كان هو مخالفة الصحابة المُحاربين لأمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله وترك مواقعهم، وليس قبول النبي للفداء من الأسرى في بدر في السنة السابقة - الذي هو الحق من عند الله - لأن العقاب والعذاب إنما يكون بمخالفة أمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله لأن طاعته طاعة الله، ومن أجل هذا جاء التحذير الإلهي من مخالفته (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣) فكانت هزيمة الصحابة في معركة أحد نتيجة المخالفة للأمر المحمدي الذي هو أمر الله لقوله تعالى (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (٤) والآية التي ذُكرت في الحديث تشير بوضوح إلى ذلك حين تُقرأ كاملة وهي (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ

(١) مسند أحمد

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٩

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠

له عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ^(١) فالخطاب الإلهي مَوْجَّهٌ إلى الذين كانوا يتساءلون (أَنْتَى هَذَا) ^(١) وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أن يكون هو المُعترض على الله فيما أصابهم ويقول لربه (أَنْتَى هَذَا) ^(١) فالتساؤل هو من الصحابة المحاربين، الذين كانوا يتوقعون النصر كما كان في غزوة بدر، ويبدو من صيغته أنه موجه للنبي القائد صلى الله وبارك عليه وآله، فجاء الرد الإلهي عليهم في تساؤلاتهم (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) ^(٢) (لمخالفتم أمر النبي وترك مواقعكم) . لأن مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله هي معصية الله تعالى قال تعالى (وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) ^(٣) ، وكانت المخالفة لأمر النبي هنا أيضاً ليُصيبوا الغنائم ، حينما رأوا بؤادر النصر وهزيمة المشركين، فتركوا مواقعهم، التي أَمَرَهُمُ النبي صلى الله وبارك عليه وآله بالبقاء فيها، وإن تَخَطَّفَهُمُ الطير، وأرادوا مرة ثانية (عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) ^(٤) . قال تعالى (مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) ^(٥) ومخالفة أمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله محتومة نتيجتها بالمصيبة (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ^(٦) . فكيف يرجون النصر من عند الله ويقولون (أَنْتَى هَذَا) وهم قد خالفوا أمر نبيهم رغم تحذير الله لهم ؟ فقال تعالى (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) هو الرد الإلهي على تساؤلهم عن هزيمتهم في معركة أُحُد . فكيف يُغَضُّ الطرف عن وهذا عصيان الصحابة المحاربين لأمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ وهو من الكبائر التي توجب الفتنة والعذاب الأليم، وهو الذي كان سبباً مباشراً في نتيجة معركة أُحُد، فكيف يُعَدَّلُ عنه، ليقال إن قبول النبي صلى الله وبارك عليه وآله الفداء من الأسرى في غزوة بدر - قبل عام! - كان هو السبب المباشر في هزيمة الصحابة في معركة أُحُد؟؟! وأقول هزيمة الصحابة لأن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم ينهزم ولم يرجع عن الموضع

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٧

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢

(٦) سورة النور، الآية: ٦٣

الذي كان فيه في المعركة خطوة إلى الوراء عن علي رضي الله عنه قال "ثم كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه" (١) ، فقد ظل صامداً شامخاً، دونه الجبال الرواسي، يدعوهم في أخراهم وهم منهزمون لا يلوون على أحد (إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ) (٢) والإنهزام صفة لا تليق برسول الله صلى الله عليه وبارك عليه وآله كامل الصفات ولا ينبغي نسبتها للمعصوم. فلا يُقبل بأي حال من الأحوال أن يُقال إن فعل النبي الحق في غزوة بدر هو السبب في الهزيمة في غزوة أُحد، لثُرف المُخالفة عن الصحابة في عدم التزامهم واحترامهم لأمر النبي الكريم صلى الله عليه وبارك عليه وآله التي أثبتتها الله تعالى في محكم تنزيله (وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) (٣) وتلقى اللائمة على خير البشر المعصوم ، طعناً في صحة فعله في إتباعه لوحي ربه الذي أكَّده الله تعالى في كتابه العزيز (إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) (٤) .

يلاحظ في الحديث جملة "وفر عنه أصحابه" وهي التي تصف الصحابة بالفرار من المعركة والإنهزام، وهي محل للتساؤل لأنها تبدي الراوي الذي ينسب إليه الحديث كأنه ليس واحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وبارك عليه وآله، المحاربين في معركة أُحد، وكأنَّه مراقب للمعركة من مكان بعيد وإلا كان هو من جملة الفارين! !

خلاصة الحديث هي أن ما قيل عن "معاينة النبي صلى الله عليه وبارك عليه وآله في يوم أُحد (" وكسرت ربايعيته وهُشِّمَت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وفر عنه أصحابه ") يعزى إلى مخالفته رأي عمر وأخذه الفداء في غزوة بدر قبل عام - ولم يشفع له بكأؤه آنذاك - ، ويُغض الطرف عن مخالفة الرماة ومعصيتهم لأمر النبي صلى الله عليه وبارك عليه وآله (وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) (٥) وتركهم المواضع التي

(١) مسند أحمد

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢

(٤) سورة الاحقاف، الآية: ٩

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢

أمرهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله بالبقاء فيها وإن تخطفهم الطير، وهو كان السبب المباشر لهزيمتهم لأنَّ عدم طاعة النبي صلى الله وبارك عليه وآله هي عدم طاعة الله سبحانه!.

فهل هذا هو الدرس المقصود الذي يستفيده المسلمون من غزوة بدر؟ بمعنى أنَّ مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله لصحابي توجب عليه العقاب والهزيمة، ومخالفة الصحابة للنبي وعدم طاعته التي هي عدم طاعة الله يُسكت عنها في الحديث، ولا يُرى غبار عليها، ولا أثر لها في النتيجة؟! أما أن الأوان لمراجعة مثل هذه الأحاديث؟! ألا يدخلنا المنع في تناول المصادر بالتدقيق لمراجعة مثل هذه الأحاديث في قول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ (١) أليس الأجدر أن يوصف الصحابة (رض) بأنَّهم أكثر الناس إلزاماً بطاعة النبي صلى الله وبارك عليه وآله التي فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم بدلاً من أن يوصف أحدهم بمخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله، ومحاولة تصويب تلك المخالفة؟ وهل يُمدح الصحابي بمخالفته لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أم بطاعته؟!

(١) سورة لقمان، الآية: ٢١

هذا ما وفقني الله إليه بالبحث في أمر أسرى بدر، فله الحمد أولاً وآخراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأرجو أن يكون قد أدى الغرض في رفع الحرج عن أحباب رسول الله، الذين يؤذيهم سماع ما يستدعي اللوم في الجنب المحمدي، وأرجو أن لا يظن أحد أنني قصدت بهذه الرسالة نفي اللوم عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، فهو في ذاته الشريفة غني عن العالمين في تأكيد كمال صفاته البشرية، فالذي يتوهم أنه يدافع عن رسول الله ليعلم قبل ذلك أنه ليس هناك فعل صادر عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله غير الحق، لأنه لا يصدر عن الحق إلا الحق، والله سبحانه يقول "أن الرسول حق" والحق لا يحتاج إلى تبرير، بل غاية ما يحتاج إليه هو توضيحه لمن عجز عن معرفته، وليس هناك ما يحتاج إلى نفيه عنه. فمن يظن أنه يدافع عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فهو واهم، وقد يدخل وإن لم يدر تحت الذين يحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا. لأن ذاته الشريفة غير قابلة للوم أصلاً فكيف يُنفي عنها ما يستحيل عليها؟

فإن الله سبحانه وتعالى أكد ذلك في محكم تنزيله في قوله جل وعلا ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾^(١) فكل ما هنالك أنني قد رأيت الأمر كما يجب أن يُنظر إليه بالرجوع إلى كتاب الله وإعتقاد عصمة النبي صلى الله وبارك عليه وآله. ومن هنا يجب النظر بدقة في الأحاديث الواردة التي تتعلق بعصمة النبي صلى الله وبارك عليه وآله وكتاب الله جل وعلا، وأن لا يعكف الناس على تقديس السند ويقبلوا ما كان من المتن دون إلتفات إلى ما يحويه ولو كان مخالفاً لكتاب الله!! وقد يوجد في هذه المصادر حقيقة ما يطعن في كتاب الله عز وجل. نورد منها على سبيل الاستشهاد لا الحصر ما أورده البخاري في صحيحه في باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت "أن عمر بن الخطاب قال على المنبر (إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان

(١) الذاريات آية ٥٤.

مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها.. فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول ((والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله...))." وأورد مسلم في صحيحه عن عائشة (رض) "كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن" فمن الذي أزالها ومحاهها من القرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهناك من القرآن ما أكله الداجن من تحت سرير عائشة (رض) كما جاء في سنن بن ماجه...!!

وما جاء الضرر على الناس في إعتقادهم في الذات الشريفة فيما ينسبونه إليها مما لا يليق بها إلا من حيث تقديسهم لاسناد الأحاديث، وإعطاء العصمة للرواة، ووقف العلم عند الجرح والتعديل، وقبول المتن ولو كان يشكك في الرسالة بالطعن في القرآن العظيم. وكأن ما كان عليه السلف لم يترك من رحمة الله شيئاً لمن بعدهم وكأن كل ما سطره وجب الأخذ به، وعدم الخروج عليه. فإذا جاء من يصحح ما كان من أمرفات على السلف - الذين لا عصمة لهم- ولو كان التصحيح وفقاً لكتاب الله المحكم قالوا ﴿...مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾^(١) وأنه بذلك خرج على الإجماع...!! وكأن الفيض الإلهي ورحمته الواسعة وكرمه يستحيل أن يطول بعد السلف أحداً من خلق الله!!

وعلى الله قصد السبيل وهو المستعان وعليه التكلان.

(١) سورة سبأ آية ٤٣.

القرين

أحابي

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١).

فالشیطان القرين موكل بمن يعش عن ذكر الرحمن. ذلك الذي يتخذ الدنيا مقصداً، وغاية لذاتها وزخرفها لا الكيس الذي دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، وجعل الآخرة الباقية نصب عينيه عوضاً عن الدنيا الفانية. ذلك الذي قام ليله لربه، وصام نهاره لقربه وهام بحبه، وكان من الذين ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...﴾^(٢) فكان ممن قال الله فيهم ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣) الذين مدحهم ربهم بكريم صفاتهم في محكم تنزيله، وهم الذين ملأت تقوى الله قلوبهم فالتزموا القرب من أولياء الله الصادقين التزاماً بأمر الله تعالى لهم. فهو ربهم الذي يريهم حيث قال ﴿... اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤) والصادقون هنا هم أهل المعية مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإيمانهم بربهم واجتهادهم في مرضاته، بقيام ليلهم وصيام نهارهم، واجتناب نواهيهِ والسعي فيما يرضيه، والفرار إليه التزاماً بقوله تعالى ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ...﴾^(٥) كسأهم صفة العبودية لربهم، وخلع عليهم صفة التقوى فهم عباده الذين آمنوا وهم المتقون، وبإيمانهم بالله وتقواهم هذه يتأهلون ليكونوا مع الصادقين أهل الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وأهله.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٦

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٦

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٣

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٩

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٠

المقام الأسنى، والقرب الأدنى في الحس والمعنى، الذين آمنوا بالرسول صلى الله وبارك عليه وآله ﴿... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾ (١).

فأهل الإيمان بالله إذا كسوه بالتقوى فهم أقرب الناس إلى الإيمان برسول الله، ليكونوا خواص عباد الله، أحباب النبي الذين قال فيهم: "وددت أني لقيت إخواني قالوا: ألسنا إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني" (٢)، وإلى هؤلاء أهل الإيمان بالله، وأهل القلوب المليئة بالتقوى يتوجه الخطاب الإلهي، يحثهم إلى مقام الصادقين أهل الإيمان برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وأحبابه، أهل المقام الأسنى الذين ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾ (٣) وهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله. قال الله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

فهؤلاء ليس للشيطان القرين إليهم من سبيل، لأنهم عباد الله الخاصين المخلصين قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾ (٥) فهم أهل الاختصاص قال جل شأنه ﴿...يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٦) فإن الذين آمنوا بالله، واثقوا وآمنوا برسوله صلى الله وبارك عليه وآله، فقد عصمهم الله من الشيطان القرين بنص القران قال جل شأنه ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (٧) وقد يبلغ المرء من هؤلاء في سموه الروحي إلى أن يصير الحق سمعه وبصره ويده ورجله، فينطق الحق بلسانه "سبحاني ما أعظم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٦

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل

(٣) سور الانبياء، الآية: ١٠٣

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٨

(٥) سورة الحجر، الآية: ٤٢

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٥

(٧) سورة النحل، الآيات: ٩٩، ١٠٠

شأنني" كما نُقل عن البسطامي رضي الله عنه، وهي مقولة لم ينكرها ابن قيم الجوزية الذي يراه البعض ويتخذهُ إماماً معارضاً لأهل السلوك الربّاني والمعارف الإلهية.

وإذا كانت هذه الطوائف اتفقت على السمو الروحي، لهؤلاء القوم وسلامتهم من الشيطان القرين، فكيف يجروُن على القول بأنّ رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، الذي علمهم السلوك إلى الله والتقرب إليه به، له شيطان قرين، لكنه أسلم فلا يأمره إلا بخير...! ألأنه جاء في الصحيح ويجب علينا الأخذ بكل ما جاء في الصحيح؟ وأنّه يحرم علينا رفضه، وإن كان فيه ما ينتقص من القدر الشريف؟ بحجة أنه أصحّ الكتب بعد كتاب الله، كما قالوا، وإذا رفضناه فقد هدمنا السنّة؟ ألا يرى هؤلاء أننا إذا قبلناه هدمنا عقيدتنا وديننا كله...!

بل نكون قد جعلنا مقام النبي صلى الله وبارك عليه وآله، أقل من مقام أحد المشايخ، كيف بك أيُّها المسلم إذا قيل لك إن شيوخا مثل عبد القادر الجيلاني والرفاعي والبدوي والشاذلي والتجاني رضي الله عنهم، كان لكل واحد منهم شيطان قرين كافر؟! لأنه في الحديث لم يُسلم إلا الشيطان القرين الخاص بالنبي صلى الله وبارك عليه وآله...!

غفرانك اللهم من ذكر هذا القول، وإن كان ذكرنا له بقصد إظهار بشاعته لدحضه، وإنك تعلم النوايا وما تخفي الصدور، ولا حول ولا قوة إلا بك...! ماذا يبقى من الدين للذي يقول إن للنبي شيطانا مسلما يأمره...! بل يتحتم على صاحب هذا المعتقد، أن يقول إن لكل من أبي بكر وعمر شيطانا قرينا كافرا، ولا يأمر بخير لأنّ القرين الذي يأمر بالخير هو الخاص بالنبي - كما قالوا - والأعجب من ذلك من يعتقد في هذا الحديث، ويعتقد كذلك في الأحاديث التي تفضل عمر على النبي بتأييد الله لعمر دون النبي حين يختلفان، أي أن الله يفضل الذي له شيطان كافر أتخذهُ قريناً ولا يأمره بخير...!

قد يقول قائل إنه ليس بالضرورة أن يكون لكلّ من أبي بكر وعمر شيطان كافر، إذ لا يوجد ما يمنع أنه أسلم، وهذا القول يقابله إنه لا يوجد ما يثبت أيضا أنه أسلم، فعلى

أفضل الأحوال الأمر شكٌ في إسلام شيطانيهما، أما شيطان عائشة فانص يؤكّد أنه لم يسلم فلها شيطان قرين كافر يختلف عن قرين رسول الله، وإلا لما كان هناك مجال عتاب لها بشيطانها، إذا لم يكن يختلف عن شيطان المعتاب ولا حول ولا قوة إلا بالله!!! وقد نسبوا لأبي بكر أنه قال "إن لي شيطاناً يعتريني".

وكيف يتفق هذا الحديث مع قول الله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾ (١) وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) وقوله تعالى في إقرار الشيطان بذلك ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٣) وهذه الآيات خاصة بالذين أرسل إليهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله، ليلفهم ذلك، فهل يكون هو عند الله أقل مقاماً عن الذين أرسل إليهم، ليكون له شيطان أعانه الله عليه حتى يسلم؟!!!

فقد جاء في صحيح مسلم "حدثني هرون بن سعد الايلي حدثنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط حدثه أن عروة حدثه أن عائشة زوج النبي صلى الله وبارك عليه وآله خرج من عندها ليلاً قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال: "مالك يا عائشة أغرت؟" فقلت ومالي لا يغار مثلي على مثلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقد جاءك شيطانك؟" قلت يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: "نعم" قلت ومع كل إنسان؟ قال "نعم" قلت ومعك يا رسول الله؟ قال "نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم".

وفي حديث آخر "... عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال: "وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير".

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٩

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٠

وفي مسند أحمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله "لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم" قلنا: ومنك يا رسول الله؟ قال: "ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم".

معلوم أن الشيطان كافر بنص القرآن ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾^(١) أما الجن فقد قال الله تعالى فيهم ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾^(٣) فالكافر من الجن هو الشيطان القرين، وعلى معتقد هذا الحديث أن يقرَّ بأن لكل من أبي بكر وعمر وعائشة وكل صحابة النبي رضي الله عنهم، لكل واحد منهم شيطان قرين كافر ولا يأمره بخير!!! وأنه يعتقد ويجزم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يتلقى الأمر لفعل الخير من شيطان أسلم أو من الله تعالى!!! وأتينا نتلقى الخير في سنة النبي التي شرعها لنا من شيطان مسلم يأمره بها..! أهذا هو الدين الذي يراد منا اعتقاده؟ أهكذا تكون عقيدتنا في رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟ ولو كان الشيطان أسلم فإن الدخول في الإسلام لا يكون إلا بنطق الشهادتين، فكيف بالشيطان الذي أسلم برسول الله وشهد أن محمداً رسول الله، ليدخل في الإسلام كيف يتسلط على وسيلته للدخول في الإسلام ليأمره بفعل الخير؟! وأي نوع من الخير؟ وهل القرآن داخل في هذا الخير؟!! أي هل يكون القرآن من أمر الشيطان الذي أسلم؟ غفرانك اللهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وماذا كان قبل أن يسلم؟ ومتى أسلم؟ وكونه أسلم يعني أن ذلك تم بعد أن تم تعريف الإسلام، أي بعد أن عرف ما هو الإسلام، وذلك يعني بعد البعثة وذلك يعني أن البعثة تمت وللنبي شيطان كافر قرين!!! اللهم إنا نبرأ إليك من هذا المعتقد، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الهالكين، فإنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة، وصلي اللهم وبارك وشرف وكرم على أفضل خلقك وأحبهم إليك، الذي صليت عليه أولاً قبل خلق أبينا آدم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢

(٢) سورة الجن، الآية: ١١

(٣) سورة الجن، الآية: ١٤

واتخذته نبياً، وعلى آله الأطهار صلاة لا تدع لنا بها ذنباً إلا غفرته، وتزیدنا بها حباً في
حبيبك، وتاج کمالاتك ونور کونك، ومركز تجلياتك وسلم سلاماً يليق بعظمته كما تحب
أن یصلی ویسلم علیه.

في الجنة

أحابي

كل محب يتمنى أن يكون محبوبه في الجنة بل وسيدها ، فاسمعوا لأحكي لكم رواية لست بمؤلفها ولكني أطلعت عليها يروونها عمن يحبونه فأحببت أن تطلعوا عليها:

"... دخل الجنة ينظر إلى ما فيها، فوجد أمامه من سبقه إليها فسأله متعجباً عن الكيفية التي سبقه بها إليها ، لأنه من المفترض أن يكون هو أول من دخلها. وكان الذي سبقه رجل من الصالحين، فشرح له ما كان يقوم به من عمل صالح كان له به السبق إلى الجنة قبله. ثم رأى في الجنة قصرًا مُربعًا مُشرفًا من ذهب، وبدأ يسأل لمن يكون ذلك القصر البديع الذي شُيِّد من الذهب الخالص؟ ف قيل له لشاب من العرب، ومن قریش وظنَّ أنه هو صاحب القصر، ويبدو من هذا أنه لا يعلم ما هو له، وما هو لغيره حتى يُبين له، وبدأ يسأل ليعرف ويتأكد من ذلك فأجابوه بأنه ليس هو صاحب ذلك القصر بل لرجل آخر غيره".

فهذا المحبوب الذي دخل الجنة، ووجد من سبقه إليها أحب معرفة نوعية هذا العمل الذي به يُسبق إلى الجنة، وفوجئ بمن لهم أعمال لا يعرفها يسبقونه بها إليها، وهو قد دخل الجنة ولا يعلم من أمرها شيئاً!! وظل يسأل ويجيبونه. ولا أدري من الذين يجيبونه أهم سُكَّان الجنة أم الملائكة؟ والذين يجيبونه لا شك أنهم أعلم منه بما يسألهم عنه. فهو في الجنة يسأل عن كل شيء، وحتى القصر الذي أعجبه سأل عن صاحبه، فقالوا له لست بصاحبه. فليت شعري هل وجدوا له قصرًا بعد ذلك يخصه أو تعرّف عليه؟!!

جاء في صحيح الترمذي "حدثني عبد الله بن بريدة قال حدثني أبي بريدة قال "أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال: "يا بلال بم سبقتني

إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصر مربع مُشرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من العرب ، فقلت أنا عربي لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من قريش فقلت أنا قرشي لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من أمة محمد ، فقلت أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا لعُمر بن الخطاب فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن الله علي ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما".

هذا الحديث يفيد أن هناك من يسبقون رسول الله إلى الجنة!! ويجد فيها قصرًا يدل صياغ الحديث على أنه أعجبه، لأنه من ذهب ويريد أن يكون له ذلك القصر فقليل له لشاب من قريش، فقال إنه من قريش فقليل له لرجل من أمة محمد، فقال أنا محمد وعند ذلك يقولون له لست بصاحبه!!

وخلاصة الحديث عند من يؤمن به أن هناك من يعمل عملاً يفوق ما يعمله النبي حتى يسبقه به إلى الجنة، وحتى لا يجد الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بدءاً من أن يسأل عن هذا العمل الذي به سُبِق إلى الجنة. ثانياً إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يبدو - ونعوذ بالله ممن يقول بذلك - في مظهر من لا يعلم عن الجنة شيئاً، وهو فيها كالغريب الجاهل بما اعده الله فيها ، فهو يسأل عن قصورها وأهلها وأصحابها...!

هذه صورة النبي صلى الله وبارك عليه وآله، عند بعض أدعياء محبته من المسلمين!! فكيف - بالله عليكم - تتفق هذه الصورة والكمال المحمدي، ومن هو سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة؟ كيف ينسبون إليه صورة الذي دخل حديقة فجأة، ولا يعلم عنها شيئاً فوجد فيها رجلاً وامرأة ممن يعرف سبقاه إليها ثم بدأ يسأل عما يرى فيها؟ والنبي صلى الله وبارك عليه وآله هو المطلع على الجنة وعرف أهلها وبشرهم في هذه الدنيا بها، ويعرف من هو أقرب منزلة منه، وهو الذي بيده مفاتيح الجنان، وهو الذي به يدخلون إليها. وهو الذي ينقل من وجبت له النار إلى الجنة بشفاعته وهو الذي قال له

رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ^(١) فَخُلِقَتِ الْجَنَانُ لِأَجَلِهِ حَتَّى يَرْضَى.

ولا أدري كيف يكون حُبُّ هؤلاء للنبي صلى الله عليه وآله؟ فالحب لا يكون إلا لكامل الصفات لأنَّ انتقاص صفة حسنة واحدة يسقط المحبة. وكيف يكون هناك من هو أعبد منه بعبادة لا يعلمها يسبقه بها إلى الجنة؟ أيسبقه أحدهم وهو الذي علّمهم أساساً بم إدخالونها وهو أول المسلمين؟

إن اعتقدنا في مثل هذا الحديث لا يعود علينا بخير، أو فائدة سوى الشك في أنه لا يوجد أحد أعبد من النبي صلى الله عليه وآله أو يفوقه بعبادة، ولو تقطع إرباً إرباً لأنه حبيب الله وسيد المرسلين الذين اصطفاهم واصطنعهم لنفسه، وألقى عليهم محبة منه وأيدهم بروح القدس... لا أرى في هذا الحديث إلا هدماً لحب النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله حيث يظهره بمظهر الرجل العادي، الذي يوجد عند الله من هو أفضل منه في أمته. حتى في قصور الجنة يقف عند قصر يجادل كي يكون له -لأنه أعجبه وهو من ذهب- وبعد الحاحه وتساؤله يتضح أنه لغيره!!! كبرت مقولة!!

وفي أحاديث أخرى لم يسبقه بلال وحده، بل كذلك امرأة أبي طلحة الرُميصاء، وأنه وجد عند القصر جارية تتوضأ -وهل في الجنة تكليف ووضوء وصلاة؟- فحينما قالوا له ذلك القصر لعمر بن الخطاب ولي مدبراً لأنه تذكر غيرته!! هذه صورة الحبيب عند من يقبل هذه الرواية!!!

فقد جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم "رَأَيْتَنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرَّمِيصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشْفَةَ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ بِلَالٌ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بَفَنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ لِعُمَرَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظَرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ" فقال عمر بأبي وأمي يا رسول الله أعلّيك أغار؟

(١) سورة الضحى، الآية: ٥

وفي حديث آخر "بينما أنا نائم إذ رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا؟ فقالوا لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبراً".

فمتى نفيق من اعتقاد العصمة في كل ما يرد إلينا من كتب الأحاديث فنقبله ونعتقده ولو كان فيه انتقاص للكمال المحمدي، الأسوة الحسنة ؟ ونكون بذلك سلبنا العصمة عن النبي بما أخذنا من أحاديث الصحاح لأننا لو لم نأخذ بها ما نسبنا نقصاً له صلى الله وبارك عليه وآله، فكان ما يجب أن ننسبه له من العصمة نسبناه للأحاديث الصحيحة، وكأنّ الذي يجب أن نعلم من كلمة صحيحة أنه يستحيل عليها الخطأ، كأنّ روايتها معصومون، وكأنّها سليمة من الدس والتحريف ! وكأنّ كل الذي يرد فيها مقبول ولو كان فيه إنتقاص للذات الشريفة صلى الله وبارك عليه وآله!!!

الملاذ

أحابي

إن العمل ابتغاء الأجر هو مقصد الأكثرين من الأمة لظنهم أن دخول الجنة إنما يكون بالأعمال لا برحمة الله ، والأجير لا يكون مستحقاً للأجر إلا إذا أتم العمل بإتقان وإخلاص. فكان من توجيه الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" والإحساس بالسعادة لدى طالبي الأجور يكون عندما يُوفى العامل أجره لأنه علامة الرضاء من صاحب الحق ودلالة النجاح والفوز، وإذا كان المحاسب بصيراً فالنجاح عسير ولذلك قيل: "من حوسب هلك"، وفي الحديث "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت"^(١) لأن حقيقة الأعمال - وإن كانت معاملات اجتماعية كالبيع والشراء والنجارة والحدادة والبناء- فيها العوض والأجر الأخروي وتَصَبُّ في ميزان المسلم صالحة كانت أو طالحة. وإن صَحِبَهَا حسن الخلق فهو أثقل الأعمال في الميزان يوم القيامة. فمن أُعطي أجره فقد غنم وسعد. قال تعالى ﴿وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(٢) وبعد وفاء الأجور وهو الميزان لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة.

وبما أن الفوز هو دخول الجنة، فقد جعل الله لنا الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله سَنَدًا وَذُخْرًا لذلك حتى للذي يتأرجح ميزانه من كبائر الذنوب. قال صلى الله وبارك عليه وآله "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"^(٣) فاجعلوا أحابي أملككم فيه لأنه المنقذ والمنجي لمن وجبت له النار ، ولا تجعلوا أملككم في أعمالكم التي قد تُرْفَضُ لِعَيْبٍ أو عدم إخلاص أو عدم إتقان أو رياء أو لعدم فتح باب القبول لها، بل اجعلوا أعمالكم كالكبائر عندهم حتى تكونوا ممن يشفع لهم الحبيب.

(١) مسند الإمام أحمد

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥

(٣) مسند الإمام أحمد

أدّوا أعمالكم إتباعاً للحبيب لا ابتغاء الأجر حتى لا تتعرضوا للحساب لأن طالب الأجر محاسب على عمله، ومن حوسب هلك. واللجوء إلى الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله يستجلب توبة الله على العبد. قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(١) وحكم هذه الآية باقٍ لا يزول ووعد الله حق ومن أوفى بعهده من الله؟

ولن يخلف الله وعده بارتحال الحبيب إليه، والشرط باقٍ في هذه الآية إلى يوم القيامة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ... جَاءُوكَ...﴾. فمن يذهب إلى المدينة المنورة ويستغفر الله عند المرقد الشريف، فإن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله يستغفر له ويكون قد استوفى الشرط.

إن ذكر الله مطلوب في كل وقت وكل مكان وعلى كل حال ومطلوب فيه الإخلاص لله، والبراءة من الرياء، وهو الشرك الخفي. والبراءة من العُجب الذي قال فيه المعلم صلى الله وبارك عليه وآله "لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من الذنب العجب"، والبراءة من الغرور وهو حظ النفس المفضي إلى الكبر الذي قال فيه المعلم صلى الله وبارك عليه وآله "لا يدخل شيء من الكبر الجنة"^(٢) كما يجب أن يكون الذكر، قد تم بإتقان على أن يسبق ذلك كله نية صالحة فقد ورد أن "نية المرء خير من عمله" وبعد ذلك يقدم العمل إلى الملك العظيم البصير جل جلاله ذي العزة والجبروت، إن كان يليق بأن يُقدّم إليه مثل هذا العمل. وهو الذي بحوله وقوّته أدبته لا بحولك وقوتك، فهل أدبت الشكر في أنه وفّقك لهذا العمل الذي ليس لك منه شيء بحولك وقوّتك؟

أما كان يمكن أن يجعلك جل جلاله من أهل المعاصي والذنوب؟! إذن فإن رَفَضَ عملك فهو العدل بعينه لأنه لا حول ولا قوة لك فيه. فهذا العمل الذي تم ولو تم بصورة جيدة ومتكاملة، فهو بين الرد والقبول..!

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤

(٢) سنن الإمام أحمد

فالذي يتمسك بعمله ويعتمد عليه لينجو به، فقد وضع نفسه في موقف لا يدري أين ينتهي به لأنه لو لم يقبله مَنْ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ...﴾^(١) فقد هوى وأمه هاوية، ورفضه تعالى عدل وكل فعله عدل لأنه لا حول ولا قوة إلا به. فكيف النجاة؟؟

أتقن العمل وأخلص فيه لله وابتعد عن الغرض ثم لا تطلب أجراً. فإن الأجير محاسب ومن حوسب هلك فلا تجعل نفسك مع الهالكين. ليكن عملك الذي ترى أنك أتقنته وأخلصته في معدود السيئات بل من الكبائر حتى تطمئن إلى النجاة. لأن أهل الكبائر هم الذين يتولى أمرهم من لا يردُّ الله له شفاعاً فيحول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بينهم وبين النار. ذلك لأنهم يسؤوا من نفع أعمالهم فلم يعتمدوا على أنفسهم، ورأوها في عداد الهالكين والتجأوا إلى الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله الذي قال "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"^(٢) فهم الذين ﴿...جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ...﴾^(٣) من أعمالهم صالحة كانت أو طالحة، والذي يرى أعماله صالحة يستغفر من نسبتها إليه لأنه ليس له فيها حول ولا قوة، فهو إذن صفر اليدين ولا عمل له!! فإلى من يلجأ؟؟

يقول أدياء التوحيد يلجأ إلى الله. ولكن الله إذا أحببت أن تجده تواباً رحيماً فالجأ إلى من أراذك أن تجيء إليه ليستغفر لك، لتجده تواباً رحيماً. وأما إذا جئته بنفسك - دون حبيبه - فقد تجده جباراً منتقماً شديد العقاب. فأراد الله أن يطلبوا غفرانه وتوبته عن طريق مجيئهم إلى الرسول صلى الله وبارك عليه وآله فيستغفروا الله عنده - لا عند بيته الحرام - ويسألوه أن يستغفر لهم. ولو اتبعوا هذا المنهج وسلخوا هذه الطريقة فإن الله وعدهم بأن يجده كما يحبون تواباً رحيماً. قال تعالى ﴿...وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾^(٤).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣

(٢) مسند الإمام أحمد

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٤

لقد ضمن أهل الكبائر الشفاعة بالنص "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي" فما أفضل من أن يحسن المرء عمله ويؤدي واجبه بإتقان، ثم يحسب نفسه من أهل الكبائر ويكثر الصلاة على الشفيع المشفع الذي به النجاة يوم يقول الرسل: نفسي نفسي. إن الذي يلقي الله بالنبي معتمداً عليه يائساً من نفع عمله واثقاً بشفاعته، فقد دخل في ظل جاهه العريض وضمن النجاة به، ومن يظن أنه من الموحدين ولا حاجة له بالنبي صلى الله وبارك عليه وآله وشفاعته، بل يشك في أمر الشفاعة ذاتها، ويريد أن يلقي الله بعمله، فليعلم أنه ليس لله حاجة في عمله ولا يزيد عمله في ملك الله شيئاً. وقد عرّض نفسه للحساب أمام الناقد البصير، وما أقسى الحساب في يوم الحساب، يوم يُعرض الناس على رب العالمين، ﴿...وَمَا عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا...﴾^(١).

ثم ماذا بعد الحساب؟ فإن الجنة لا يدخلها أحد إلا برحمة الله لا بعمله. فالذي لم تدركه الرحمة بعد الحساب، فلا نجاة له وإن كان عمله كأعمال الملائكة!! فالذي يعتمد على عمله فهو الآمن من مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ولا يرجو رحمة الله. ومن عرف الرحمة فعليه بها لأنها سبب دخوله الجنة، وهي محمد صلى الله وبارك عليه وآله قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) وقال صلى الله وبارك عليه وآله "يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة"^(٣).

اللهم صلي على سيدنا محمد رسولك الرحمة المهداة للعالمين وعلى آله الطاهرين أجمعين، وأرض اللهم عن صحابته المنتجبين، واجعلنا من أحب الناس إليه وآله وأكثر الناس حُباً فيه وآله، واجعلنا إماماً للمتقين، وأرفع بنا كلمة الحق وراية الدين، واجعل أعداءنا أعداءك وانصرنا عليهم أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠

(٢) سورة الانبياء، الآية: ١٠٧

(٣) سنن الدارمي

قمة القمم

أحابي

إعلموا أن سيدنا وحبينا محمد صلى الله عليه وآله وبارك، أجمل الخلق على الإطلاق، ولم يخلق الله البارئ سبحانه أجمل منه منذ بدأ الخليقة، ولم يصور المصور مثله في كل ما أبدع من صور الجمال والحسن والبهاء "وليس في الإمكان أبدع مما كان" كما قال الغزالي رحمه الله، حتى قال فيه من أحسن شعراً:

أَجْمَلُ مَنْكَ لَمْ تَرْ قُطْ عَيْنِي

وَأَحْسَنُ مَنْكَ لَمْ تُلِدْ نِسَاءً

خُلِقْتَ مَبْرُوءاً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ

كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

وبلغ في حسن الخلق، ما كان محل المدح ممن خلقه حباً في ذاته الشريفة، وانزل فيه قرآناً يتلى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) ولحبه له كان وكيلاً له فيما يفعل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٢) ومن عظمة حبه له قال له ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٣) حتى يكون وكيله هو الفاعل عنه فيما يريد، فيكون ما يريد فعله يفعلُه الوكيل، بل حتى ما يريده، هو الذي يريده الله الوكيل ويفعله، وصلى عليه هو وملائكته ولم يصل على نبي من الأنبياء قبله تحديداً، بل صلى على من يصلى عليه أضعافاً، وأمر كل المؤمنين كذلك بالصلاة عليه ومن يخالف أمر الله في الصلاة عليه، فقد وضع نفسه

(١) سورة القلم، الآية: ٤

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨

في مكانة من أمره الله بالسجود لعبده ولم يفعل فطرد إلى يوم الوقت المعلوم، وحذر من مخالفته ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾^(١) لأنه ليس له من الأمر شيء، فالأمر أمر الله، واقسم على سلب الإيمان ممن يجد حرجاً في قضائه إذا احتكم إليه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢) كما نفى الإيمان عمن يحتكم إلى غيره، ويبدو من ذلك انه الغاية من الخلق، والمقصد الاسنى الإلهي حيث أخذ العهد على جميع رسله من آدم إلى عيسى عليهم السلام، أن يؤمنوا بمحمد صلى الله وبارك عليه وآله بجانب إيمانهم بالله وينصروه قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ أَصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٣) وفضله عليهم جميعاً. رغم عدم التفرقة في الرسالة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(٤) وجعله خير الأنبياء صلى الله وبارك عليه وآله "يا فاطم نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك، ومنا من له جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، وهو ابن عم أبيك، ومنا سيّد شباب أهل الجنة سبطاً هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك، والذي بعثني بالحق لأبوهما خير منهما، ومنا المهدي"^(٥).. بل اتخذته نبياً قبل إكمال خلق آدم أبي البشر عليه السلام. ففي الحديث "جعلت نبيا وادم بين الروح والجسد"^(٦) وقرن إسمه بإسمه في كلمة التوحيد وفي عبادته تعالى في أهمها وهي الصلوات والنداء لها، وجعل طاعته طاعته وبيعته بيعته وفعله فعله، ولا يقبل أحدا خلا جوفه من حب محمد صلى الله وبارك عليه وآله لأنه لا إيمان لمن لا يحب النبي وآله.

(١) سورة النور، الآية: ٦٣

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥

(٣) سورة آل عمران، آية: ٨١

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥

(٥) مجمع الزوائد

(٦) الترمذي

اللهم إنا عاجزون عن أن نصلي عليه كما تحب أنت أن يصلى عليه، فصلي اللهم أنت عليه وعلى آله، فإنه حبيبك الأوحَد، الذي تقبل شفاعته في من ينزل عليه غضبك الذي لا قبل لمخلوق به.. اللهم بلغنا الغاية في حبه حتى لا نرى ولا نسمع غيره.

أشار الحبيب إلى بعض ما حباه الله به رفقاً بنا لمعرفة قدره، حتى لا نسقط في التقليل من قدره الشريف، فلا تقبل لنا توبة بعد ذلك فيقول - وهو مُعلم التواضع وأكثر الخلق زهداً في الدنيا حيث كان يرقع ثوبه ويخصف نعله وينام على حشو الليف - يقول مشيراً إلى سمو مكانته وعلو رفعته وفضله على المرسلين أجمعين "لو كان موسى بين ظهراينا ما وسعه إلا أن يتبعني"^(١) حينما رأى عمر بن الخطاب يقرأ في صحيفة من كتاب اليهود. وقال صلى الله وبارك عليه وآله "آدم فمن دونه تحت لوائي"^(٢) "أدبني ربي فأحسن تأديبي" "أنا مدينة العلم وعلي بابها"^(٣) "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر"^(٤) "أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي"^(٥) "والذي نفسي بيده لو أن أحداً صفن بين الركن والمقام وصلى وصام ومات على ذلك وهو مبغض لنا أهل البيت دخل النار"^(٦) "لست كأحدكم فإني أبيت يطعمني ربي ويسقيني"^(٧).

قالوا عن قمة القمم رغم ذلك إنه ليس له فضل على بقية المرسلين ونسبوا إليه حديث "ولا يقولن أحدكم أي خير من يونس بن متى"^(٨) وأعطوا العصمة لراويه، وحاربوا من يطعن فيه لينتقصوا من علو قدره رغم قول الله تعالى ﴿...وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ...﴾^(٩) ورغم تفضيل الله لبعض الرسل وأفضلهم الحبيب النبي

(١) مسند أحمد

(٢) مسند أحمد

(٣) مجمع الزوائد

(٤) مسند أحمد

(٥) البخاري

(٦) مجمع الزوائد

(٧) صحيح بن حبان

(٨) مسند أحمد

(٩) سورة القلم، الآية: ٤٨

محمد صلى الله وبارك عليه وآله ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾^(١) ولا يعني الإصرار على صحة هذا الحديث إلا الإصرار على الانتقاص من فضله على يونس عليه السلام لا محبة فيه، وجعلوا للشيطان عليه سبيلاً بينما ينفون سلطة الشيطان عن أحد أصحابه إذا سلك فجاً.. قالوا إن الشيطان ألقى على لسانه وهو يصلي " تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتها لترتجى " لينفوا العصمة عنه!! رغم قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢) في السورة نفسها التي نسب إليه فيها حديث الشيطان على لسانه. وكذلك قالوا تحدهم الشيطان وهو واقف بين يدي الله ليقطع عليه صلاته حتى اضطر لقتاله وخنقه " فخنقته حتى إني لأجد برد لسانه على إبهامي فرحم الله سليمان لولا دعوته أصبح مربوطاً تنتظرون إليه!! " بينما نسبوا إليه قوله في عمر بن الخطاب " ما سلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه " ^(٣) ليكون لعمر مكانة فوق مكانته وقدرأ فوق قدره. وقالوا إن معه شيطان كافر حين أرسله الله ولكن الله أعانه عليه فأسلم فلا يأمره إلا بخير!! يعني انه يتلقى الأمر بالخير من شيطان اسلم!! لا ادري هل بجانب الأوامر الإلهية توجد الأوامر للشيطان المسلم؟ وقالوا إن الشيطان يجري منه مجرى الدم ففي مسند أحمد بن حنبل " لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك يا رسول الله قال ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم " ^(٤).

قالوا إن اليهود استطاعوا أن يغيبوا عقله بسحرهم حتى انه كان يفعل الشيء ولا يدري أفعله أم لا لعدة شهور!! وما ذلك إلا التشكيك في أمر الوحي والعصمة بل نسبها تماماً.. جاء في البخاري " سحر رسول الله حتى كان يرى أنه يفعل الشيء وهو لا يفعل " ^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣

(٢) سورة النجم، الآية: ٣

(٣) البخاري

(٤) الترمذي وأحمد

(٥) البخاري

فتكون صورة النبي الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله عندهم أن كلامه - إن لم يكن بعض آيات القرآن أيضا كما قالوا في آية الغرائيق - يمكن أن يكون من شيطان يلقي على لسانه ما يقول وأنه يمكن أن يكون قد تصرف في غيبة من عقله - بفعل اليهود - لفترة ثمانية عشر شهراً ولا يُعلم ما قاله أو فعله في تلك الفترة أهو سنة أم ماذا؟ وأن السنة - إن لم يكن القرآن - يمكن أن تكون من أوامر شيطان اسلم لا يأمره إلا بخير!!! ولذلك يعتقدون في حديث الكتف والدواة صحة ما ذهب إليه عمر بن الخطاب في ذلك الحديث "أن الرسول غلبه الوجد" ^(١) و"إنه ليهجر"!!! ورفض أن يؤخذ عنه ما يقول - ولا يكون ذلك إلا في حالة اعتقاد عدم وجود العصمة في هدي النبي صلى الله وبارك عليه وآله - وقال حسبنا كتاب الله! وقالوا أن عمر أصاب وأنه كان ينصح لله ولرسوله! فإن الآية عندهم هي فليحذر الذين يخالفون عن أمر عمر حتى ولو كان النبي المعصوم!!! لأن العصمة لا وجود لها عندهم بعد أن ثبت عندهم إلقاء الشيطان على لسانه ما يقول؛ وتغييب اليهود لعقله بالسحر، وهل الشيطان الذي ألقى إليه هو الشيطان الذي أسلم أم شيطان آخر لم يُسلم لأن كلام الغرائيق ليس خيراً بالتأكيد وذلك يعني عندهم أن هناك شيطان آخر لم يسلم أيضاً له سلطان عليه ولا يأمره بخير!!! غفرانك اللهم أو أن ذلك الشيطان كما يقولون كان منافقاً أظهر الإسلام وهو يبطن الكفر ولا يأمره بخير!!! ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

وقالوا فيه انه انتقل إلى الرفيق الأعلى ودرعه مرهونة لدى يهودي!! وذلك يعني عندهم انه لا ثقة له في أصحابه ليرهن عندهم درعه!! كما أن أصحابه وكان منهم من جهز جيشاً في العسرة، ومنهم من كانت أمواله تكسر بالفؤوس لا يحسون بحاجة نبيهم حتى يضطر لرهن درعه ليهودي!! وما هو المقصود من هذا القول؟ أليكون لليهود علينا فضل في أقدس مقدساتنا؟ أم لإظهار سوء العلاقة بين النبي وأصحابه، وأن الصحابة لا يهتمون بأمر النبي وأحواله؟ أم أن الله اضطره للتعامل مع اليهود لعدم جدوى التعامل

مع المسلمين؟ وهل يحتاج كي يكون المثل الأعلى في الزهد والتقشف إلى هذا الحد حتى يكون لليهود علينا فضل في أهم مقدساتنا ؟

ونفوا العصمة عنه بجعله مجتهداً حتى في أمر التشريع، حيث قالوا إنه لما قدم إلى المدينة وجد اليهود فيها يصومون يوم عاشوراء فسأل عن هذه العبادة عند يهود المدينة، ف قيل له أن اليهود يصومونه لأنهم يقولون انه اليوم الذي نجى الله فيه موسى من فرعون، فيصدقهم ويتبعهم في عبادتهم تلك - هكذا يقولون - دون وحي من الله أو تشريع بل يسأل اليهود ثم يتبعهم ؛ بينما يروون حديث "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم" (١) ثم يروين عنه "نحن أولى بموسى منهم" (٢) ليعطوا الحديث سبباً قوياً للقبول !! فجعلوه مجتهداً في اتباع يهود المدينة في عبادتهم وتصديقهم، بينما في التقويم اليهودي لا يصادف يوم عاشوراء في كل سنة منه نفس اليوم في التقويم العربي !! والمجتهد يتوقع منه الخطأ في اجتهاده، فجعلوه مجتهداً لينسبوا إليه أخطاء ذكروها. والنبى صلى الله وبارك عليه وآله مشرع وليس مجتهداً لقول الله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٣) ولقول النبي صلى الله وبارك عليه وآله "إني لا مزح ولا أقول إلا حقاً" (٤) "أكتب والذي نفسي بيده لا يخرج من هذا إلا حقاً" ولا تجوز نسبة أي نوع من الخطأ للنبي صلى الله وبارك عليه وآله، لأن فعله تشريع ، كل فعل يفعله لا يقاس من غيره على غير مقياس النبي، ولا يحق لأحد أن يعتمد على رأيه أو معرفته مستنداً على أي مرجع من المراجع ولو كان كتاب الله ليحكم في فعل أو قول يقوله النبي صلى الله وبارك عليه وآله، لأن النبي هو المشرع وكل أفعاله أيأ كانت هي السنة بعينها فإن رأى أحد أن النبي أخطأ فهو المخطئ مهما كانت مكانة صاحب الرأي ولو كان صاحبياً أو نبياً من الأنبياء !!!

(١) البخاري

(٢) البخاري

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧

(٤) مجمع الزوائد

قالوا عن أحب الخلق إلى الله إن الله بعثه برسالة اختصه بها فتصرف بعكس ما أرسله الله به، قالوا انه قال بعث ليتمم مكارم الأخلاق فلما جاءه من يسأل عما بعث به قابله بسوء الأخلاق حيث عبس في وجهه واعرض وتولى عنه، أي أنه خالف ربه ورسالته وتصرف عكس ما بُعث به!! هكذا وصفوه في أخلاقه التي مدحه الله بها!!! وهي صفة سبَّ الله بها كافراً في قوله تعالى ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾^(١)، هكذا هي صورة قمة القمم عند من يعتقد في هذه الأحاديث والتفاسير، ليتصف عندهم بالعبوس في وجه المساكين، وسوء الخلق وليكون خطأه أساسياً في تبليغ الرسالة، وهو العمل بعكس ما أرسل به، فتتنفي طاعته لله الذي جعل طاعته طاعته، وليكون مدح الله له بالخلق العظيم في غير محله. وليعطوا من يعارضه الحق في معارضته - باعتبار انه لم يطع الله في تبليغ الرسالة- رغم قول الله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٣).

(١) سورة المدثر، الآية: ٢٢

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧

المعلم

أحابي

قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١)

هناك الكثير من مظموسي البصيرة تاهوا أمام عظمة هذه الآية، التي استبطنت مدح النبي صلى الله عليه وآله، وأشارت إشارة دقيقة إلى سمو معرفته دون غيره بالله جل وعلا، ليكون دليلاً للسائلين عنه تعالى، وقد فهموا منها، لكثافة حسهم، وتبلد فهمهم، وغلف قلوبهم الاستغناء عن المعلم، ولو نظروا بعين مستبصر غير متعجل، ومتدبر غير مستدبر لوجدوا أنفسهم في حاجة للمعلم حتى في كتب الجغرافيا والفيزياء والحساب بل في لغتهم التي يتحدثونها، فكيف لا تكون بهم حاجة للمعلم الأكبر في أعظم كتاب، ما فرط من شيء في الوجود من كل علم وكل موجود. قام هذا المعلم بترجمة هذا الكتاب من كلام الحق سبحانه الذي تكلم به بغير جارحة ولا لغة ولا صوت مما يعلم الناس إلى لغة عربية بلسان عربي مبين وكان كما قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٢) فكيف يستغني عاقل عن هذا المعلم الذي ترجم عن الله الكتاب الحق، وما فيه من كل العلوم؟ وكيف لا تكون هناك حاجة ماسة وملحة لهذا المعلم في أكبر العلوم التي جاءت بها كل الرسل، ألا وهي معرفة الله جل شأنه، فهي المقصد من كل الرسائل السماوية التي جاءت بها رسل الله صلوات الله على نبينا محمد وعليهم جميعاً، فهم كلمات الله التامة. قال تعالى في عيسى عليه السلام ﴿... رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرِّمٍ وَرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (٣) أما أفضلهم فهو سيد ولد آدم الذي أخذ عليهم العهد للإيمان به ولنصرته

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٠

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧١

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(١) وما العمل إلا بالكلمات التامة التي من تمسك بها أعيد من الضلال ومن الشيطان، وأعين الأنس والجنان، وهوام الزمان، وبدأ سيره في السر والإعلان، تابعاً طريق من أرسله الرحمن، لهديته وهداية كل الإنس والجنان، سيدنا وشفيعنا وحبیبنا محمد بن عدنان، الذي جعل الله محبته هي الإيمان، وطاعته طاعة القوي الديان، والأخذ منه عن الله لا مباشرة من الملك الديان، كما اعتقد أهل التكبر والجهل والخذلان، الذين قالوا إن الله لا يحتاج إلى دليل، وما الدليل إلا الواسطة، والحق إن الله لا يحتاج إلى أحد فإنه غني عن العالمين ولكن يتخذ من يشاء لما يشاء ولا يُسأل عما يفعل، وما كان يعجزه سبحانه وتعالى أن يلقي مصحفاً لكل إنسان في منزله، وما كان يعجزه أن لا يكون هناك جبريل بينه وبين رسوله الكريم، حيث أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله أقرب إليه من جبريل؛ إذ مبلغ جبريل سدرة المنتهى ومحمد صلى الله وبارك عليه وآله في مقام "أدنى" من قاب قوسين لأن كلمة "أو" الواردة في الآية ليست للتشكيك، تعالى الله أن يكون في كلامه شك أو في بيانه تشكيك ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٢) وما كان يعجزه سبحانه ألا يكون هناك رسول أصلاً فتكون علاقة كل إنسان بربه مباشرة دون الرسول كما يعتقد أهل الأفهام المنكوسة والبصائر المطموسة. ﴿... إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾^(٣).

فألرب جلّ شأنه في هذه الآية يوجه عباده إلى رسوله إن أرادوا معرفته، كي يستجيبوا له ويستجيبوا لرسوله الكريم قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١) فالتوجه لمعرفة الله وكيفية التعامل معه لا تكون لبشر إلا عن طريق من أرسله وأحبه ومدحه. وقد فهم مطموسو البصيرة أن الآية هي (وإذا سألتني عبادي

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١

(٢) سورة النجم، الآية: ٩

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٦

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦

فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) لم يفتنوا بل لم ينظروا بعين متدبر ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (١) فكلام الله جل شأنه هو خطاب للنبي عن أولئك الذين يرغبون في معرفة الله تعالى وكيفية التعامل معه، لم يوجه الحق سبحانه الخطاب إلى عباده مباشرة، بل لنبيه الكريم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ...﴾ ليبين لأولئك الذين يسألونه بأدب المتعلم مع معرفة قدر المعلم عن كيفية تعاملهم مع الخالق الذي أرسله حيث قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فعلى عباد الله التوجه إلى رسول الله وسؤاله ؛ لا تخطيه والتعامل مع الله دونه!

فالمرجع إذن هو النبي صلى الله عليه وآله، ولا يقبل الله أحدا إلا عن طريقه لأنه المعلم بل "مدينة العلم" (٢) كما قال هو عن نفسه صلى الله عليه وآله. وبين الحق ذلك في أمر الذين يظلمون أنفسهم ثم يريدون اللجوء إليه تعالى والاستغفار من سوء ما عملوا في ظلم أنفسهم ، فإن من يجيء إلى الله عن طريق حبيبه ورسوله يجد الله تواباً رحيماً ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ (٣) وفهم من طمست بصيرتهم من هذه الآية أيضاً (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم استغفروا الله) فلم يتدبروا كلمة ﴿... جَاءُوكَ...﴾ التي عليها المدار فإن من يذهب إلى المدينة - ولو بعد ارتحال الحبيب إلى الرفيق الأعلى - ويستغفر الله عند مرقده يختلف أمره بمن يذهب إلى البيت العتيق، ويستغفر هناك رغم أن الحسنة هناك بمائة ألف ضعف، لأن شرط أن يجد الله تواباً رحيماً مقروناً بالمجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة لا إلى بيت الله الحرام!!! قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾، وحكم الآية باق إلى قيام الساعة لم ينته بارتحال النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى ، وإلا لأصبحت من القصص التي تحكى عن عهده وتعامله مع أصحابه كقصص الأمم السابقة التي تقص عليه في القرآن. قال تعالى ﴿... فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي...﴾

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤

(٢) مجمع الزوائد

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤

فهل استجاب العباد له تعالى؟ وكيف يعرفون انهم استجابوا له إن لم يؤمن النبي على ذلك وهو الذي :

﴿...يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾^(١) ويصلي عليهم لأن صلاته سكن لهم لأنه حريص عليهم وبهم رؤوف رحيم ، قال تعالى ﴿...وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٢) وقال عز من قائل في حق أحب خلقه إليه ﴿...حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣) فهل استجاب العباد لله تعالى؟

إن الاستجابة له جل شأنه هي الاستجابة لرسوله حيث قال ﴿...اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾^(٤) فكيف يفكر المنقطع بكبريائه ويظن أن علاقته مع الله لا يحتاج فيها إلى النبي المعلم صلى الله وبارك عليه وآله..؟ وما أرى هذا إلا ظلم النفس بعينه، والله سبحانه يبين له أنه إذا استغفره عند الحبيب لوجده تواباً رحيماً. ألا يعني هذا التوجيه الإلهي عظمة منزلة الحبيب عند الله سبحانه وتعالى، بأن جعل أداء عبادته عنده مشروطة بالقبول، لا كما تؤدي في أي مكان آخر ولو كان بيت الله الحرام. فلم يستنكف المستنكف عن اتخاذ النبي دليلاً ومعلماً، ويقول لا حاجة له به في علاقته بربه ؟؟ وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله دعا أحد الأصحاب وكان يصلي فلم يجبه حتى أتم صلاته فسأله النبي عن تلكه، فقال كنت اصلي يا رسول الله فقال له الحبيب (ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿...اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾؟ لأن طاعة النبي هي طاعة الله دون تفريق، ومن لم يعط طاعة النبي هذا القدر وهذا الحق فقد خالف الله، لأن الله لم يفرق بين طاعته وطاعة النبي محمد صلى الله وبارك عليه وآله، لذلك لا يمكن لأحد أن يكون طائعاً لله بينما هو مخالف للنبي صلى الله وبارك عليه وآله، كالذي لا يقصر في صلاة السفر، ويعتقد أن ذلك سنة بينما هي مخالفة لسنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله، وهي تعني عدم

(١) سورة التوبة، الآية: ٦١

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨

(٤) سورة الانفال، الآية: ٢٤

طاعته أي عدم طاعة الله جلّ شأنه، فهي إذا معصية وليست عبادة...! ولا عبرة بمن بدأها لأنه قد بدأ أمراً مخالفاً لما شرعه من طاعته طاعة الله، وعليه وزرها ووزر من عمل بها!! وكل من يخالف النبي فقد خرج عن طاعته، وكل من خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة الله!!

قال تعالى ﴿... وَلْيُؤْمِنُوا بِي...﴾ والإيمان بالله جلّ شأنه يستوجب الإيمان بكتابه، وقد أمر تعالى المسلمين في كتابه العزيز بالتمسك بالنبي صلى الله عليه وآله وأنه المرجعية فلا يأخذون إلا عنه، ويتركون كل ما نهى عنه وحذر تعالى من مخالفته ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾^(١) وجعل طاعته طاعته دون فصل بينهما، فمن خالف فقد خرج عن طاعته أي طاعة الله جلّ وعلا. ولا يقولن أحد انه يمكن أن يخالف النبي ورغم ذلك يظل طائعاً لله، لأنه في هذه الحالة أو الدعوى يكون النبي - عنده - هو المخالف لله وتبدو له مخالفته للنبي طاعة لله، وهكذا ينتفي الإيمان برسول الله وطاعته وينتفي الإيمان بالرسالة وتعدم الضوابط والمرجعية ومعرفة الله تعالى. لأنه سبحانه يقول إن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله هي طاعته بينما هذه الحالة تقول إن مخالفة النبي هي طاعة الله كما قالوا في حديث أسرى بدر، الذي جعلنا له فصلاً خاصاً في هذا الكتاب، حيث قالوا إن مخالفة النبي كانت هي طاعة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكما قالوا في مخالفة من خالف النبي واعترضه في الصلاة على عبد الله بن سلول، إنه كانت مخالفته كذلك طاعة لله وذلك يعني عندهم أن النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله كان مخالفاً لله!! وهذا هو المحال بعينه لأن طاعة النبي لا تتفك عن طاعة الله، ولا يوجد على وجه الأرض من يحكم بأن النبي خالف ربه، لأن كل ما يأمر به ويفعله تجب طاعته فيه من حيث انه طاعة لله، فكيف الخروج عليه واعتراضه، اعتقاداً بأن طاعته في موقف من المواقف ليست هي طاعة الله؟ ومن هو الذي له الفوقية على النبي حتى يحكم أنه في هذه الحالة خالف ربه ولا يجب طاعته ثم يقترح هو غيرها!!؟

(١) سورة النور، الآية: ٦٣

ومن هم أتباعه في هذا الفهم ليقولوا لنا إن الله قد غير أمره من طاعة النبي إلى طاعة هذا المقترح الفوقي في ذلك الأمر أو تلك الحالة بنسخ الآية ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١) أو يقولون بنسخ حكمها ليتسنى لهم قبول مخالفة النبي اعتقاداً بأنها طاعة لله!!! ثم يقوموا بتعظيم ذلك المخالف للنبي!!! ويقولوا إن الله وقف معه في هذه الحالة وترك النبي بل أخذه لعدم قبوله رأي من خالفه.. اللهم إنا نبرأ إليك من هذا الاعتقاد، وعليك صلاة الله يا رسول الله وعلى آلك الكرام، فوالله قد صدقت إذ قلت "ما أؤذي نبي مثلما أؤذيت".

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠

أين كلام الصادقين وأفعالهم؟

أحابي

ما من مسلم إلا ويتمنى بعد موته أن يكون مثواه الجنة، وإن يكون له فيها مقام رفيع، وحبذا لو كان مقامه قرب أحد أسيادها من الذين اختصهم الله بدخولها، الذين شملتهم الرحمة حيث السعادة الأبدية، وكل مسلم في هذه الدنيا تلك أمنيته لذا يجتهد في الأعمال الصالحة. ومن عظمة الجنة أن الله سبحانه وتعالى قد حرّمها على كل كذاب، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قيل له أيكذب المؤمن قال "لا إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون" لذا لا يكون أهل الجنة إلا من الصادقين الذين كل كلامهم درر من نور الحق والصدق، التي لو قدر لهم تدوينها - بعد معرفتهم - لكانت نبراساً ينير الطريق للسالكين، ويبين تقادي مزالق الدرب للمجتهدين، ويشد الهمم للوصول للراغبين، ويوصل أهل السكينة والإيمان إلى اليقين، ثم يكون المنتهى إلى رب العالمين. قال تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾^(١). ومعرفة هؤلاء للأخذ عنهم لا يُكتفى فيها بالظن الحسن إذ لا بد من التحقق منهم حتى يكون الأخذ موثقاً به ممن لا شك في عاقبته. فيا ليت شعري أين نجدهم الآن وكيف التعرف عليهم حتى يؤخذ عنهم؟ إذا عرفوا وجب تدوين كلامهم والاستئارة بمعارفهم والاقتداء بسلوكهم، ولقد أضع المسلمون فيما سبق الأخذ ممن تعين بالنص أنهم أسياد أهل الجنة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله "الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة"^(٢) فهل روى المسلمون عنهم الأحاديث..؟ بل هل دونوا عنهم ما كانوا يقولون من درر الكلام؟ أياً كان ذلك الكلام وفي أي موضوع من الأمور الدنيوية أو الآخروية؟ لماذا تم تجاهل أخبارهم ولم يدون كلامهم ولم تشمل مجلدات الصحاح أقوالهم..؟ أهناك شك فيما

(١) سورة النجم، الآية: ٤٢

(٢) الترمذي

يقولانه وهما سيّدا شباب أهل الجنة وكل أهل الجنة شباب؟

فإن كان أهل الجنة أهل الصدق فهما أصدقهم وإن كان أهل الجنة أهل العلم فهما أعلمهم وإن كان أهل الجنة أهل القرب فهما أقربهم!!! فهل يخشى من تدوين أقوالهم أو يشك فيها..؟

لماذا يحفظ المسلمون خطبة زياد البتراء..؟!! لأنه قتل سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام...! ، ولماذا يحفظ المسلمون خطبة الحجاج بن يوسف..؟ لأنه قتل كل الموالين لآل البيت وقتل كل من كان اسمه علياً..؟!

أهكذا ينبغي أن يكون حال المسلمين؟ إهمال أخبار وأحاديث وكلام أبناء النبي وحفظ أقوال قتلتهم وفجار دينهم..؟.

بل أين خطب النبي صلى الله وبارك عليه وآله وقد عاش في المدينة عشر سنين..؟ وفي كل جمعة خطبة يحضرها كل المسلمين رجالاً ونساءً ويربو عددها على الخمسمائة خطبة..؟ ألا يوجد بين كل المسلمين الذين حضروا تلك الصلوات - وكان يحضرها كل أهل المدينة رجالاً ونساءً - من يحفظ منها شيئاً..؟ وكيف حفظوا خطب زياد والحجاج والمعلقات..؟!

نجد انهم ذكروا مرة انه كان صلى الله وبارك عليه وآله يخطب فإذا بالحسن والحسين عليهما السلام يتعثران في ثوبيهما فنزل صلى الله وبارك عليه وآله عن المنبر ورفعهما وقال " إنما أموالكم وأولادكم فتنة " ^(١)!! هذا كل ما ذكر من تلك الخطبة...! كأن المقصود من الحديث أنه صلى الله وبارك عليه وآله لم يهتم بأمر الصلاة ولا بأمر المصلين والمسلمين كاهتمامه بابنيه..! وأنهما عليهما السلام فتنة..! وأنه صلى الله وبارك عليه وآله فتن بهما عن أداء الفريضة!!!.

ثم هناك خطب له صلى الله وبارك عليه وآله في مواضع غير الصلوات في المناسبات المختلفة لم يصلنا منها إلا جزء من خطبة حجة الوداع ... ولا يكون مخطئاً - إن لم يكن محقاً - من يقول إن المسلمين قد اجتهدوا كل الاجتهاد في تضييع آثار النبي صلى الله وبارك عليه وآله وخطبه وعدم حفظ ما آتاهم، ورفضوا قوله ووصيته يوم قالوا له في حضرته حسبنا كتاب الله!!! وهو رفض لما أراد أن يقول ويوصي ويمكن أن تكون لما سبق أن قال وأوصى!!! فكيف تكون بعد ذلك عندهم قدسية لكلامه وأفعاله ووصيته؟؟ وهل يكون هناك رفض لكلامه في حضرته أقوى من مقولة " حسبنا كتاب الله "؟؟!!.

بل صارت أفعاله عند كثير من المسلمين محل النقد - إن كان مسلماً من ينتقد النبي - بدلاً عن التقديس والاتباع كما أمر الله بذلك وفرضه على المسلمين!! فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال عن الحجر الأسود "إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك" (١) والمتمعن لهذا القول يرى فيه أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قبل حجراً لا يضر ولا ينفع، أي انه لم تكن هناك فائدة من تقبيله للحجر أصلاً، ولو قدر لصاحب هذه المقولة أن يكون مكان النبي لم يكن ليفعل ذلك!! ومعناه أيضاً أن النبي قد يفعل أفعالا لا فائدة فيها ولا نفع، وذلك يعني أن القائل متبع ناقد إن لم يكن متبعاً مستاءً، وأنه لو وجد فرصة في أي فعل فعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله ولم يكن يعجبه لن يتردد في تركه بل ومنع الاتباع فيه!! وقد قالوا إنه منع متعة الحج، وقال "أعلم أن النبي فعلها ولم ينزل قرآن ينسخها ولكني كرهت ذلك" ... فهل وصل الأمر إلى ترك سنن النبي وأقواله وعدم الأخذ بما آتانا؟ ثم هل تعدى ذلك إلى كراهة ما كان يفعل وما كان يأمر به؟ وهل رضينا نحن بذلك؟ بل هل اتخذناه سنة تجب ما قبلها من سنن الرسول الأعظم ونتباهى بفعلها لأنها من عمر؟ ثم نسوق لها الدليل بحديث " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين " (٢) لتكون دليلاً وسنداً لنبذ ما فعله صلى الله وبارك عليه وآله من السنة واتباع سنة غيره!!!

(١) ابن ماجة

(٢) ابن حبان

وهل سمى النبي صلى الله عليه وآله الراشدين المهديين من بعده وعدّهم ؟ وهل يكون الخليفة راشداً مهدياً إذا تجاسر على النبي وبدأ بمعارضته في حضرته وعدم الأخذ بقوله ووصيته ثم إلغاء سنته ومنعها لأنه كرهها ؟ وقام باتهامه بفعل لا قيمة له كتقبيل الحجر الأسود؟ وكذلك اتهامه في بكائه هو وأبو بكر بأنه يمكن أن يكون بكاءه لسبب لا يستحق البكاء حيث قال "ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما" (١) ؟ وهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وآله قد يكون بكاءه - في رأي عمر - في أمر لا يستدعي البكاء أو أنه لا يوجد شيء يبكي أصلاً لقوله (وإن لم أجد...)! فإن كان ذلك، كما رأى في تقبيل الحجر الأسود - كما ينسب لرؤية عمر لفعل النبي - فإنه سوف يجامل النبي ببكاء غير مقتنع فيه، كما فعل في تقبيله الحجر الأسود "وإن لم أجد تبكيت لبكائكما"!!! وإن لم يستطع المجاملة في اتباع سنة النبي وغلبت عليه كراهيتها غيرها ومنع متعة الحج!!

هكذا جاء في ما نسميها كتب الصحاح فيما ينسب للخليفة عمر بن الخطاب، ولا أدري هل الأسلم للمسلمين الأخذ بهذه الأحاديث اعتقاداً في صحة كل الذي جاء في هذه الكتب؟ أم عدم الأخذ بتلك الأحاديث التي تسيء إلى أحد الصحابة بوصفه معارضاً للنبي صلى الله عليه وآله وتلك التي تقلل من قيمة فعل النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله؟ كما قالوا في صلاته على أحد الصحابة وتكفينه إياه بثوبه وينظرون إلى ذلك كأنه لا قيمة له!! وقد يتعدى الأمر إلى تقديمه له في فعله بقولهم كيف يفعل ذلك؟ كأنهم هم الذين لهم الحق في تحديد من يصلي عليه النبي ومن لا يصلي عليه! متجاهلين قول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (٢) وتحذير الله تعالى من مخالفته وعصيانه ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٤) فمن عصاه لا يكون قد أطاع الله فلينظر أين هو من

(١) مسند أحمد

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠

اللَّهُ!! ومن لم يقف عند عدم الطاعة وتعدى ذلك إلى النقد لفعل النبي فويل له ثم ويل
وان كان من المصلين، فأين أقوال الصادقين وأين أفعالهم؟! وأين نحن من أسیاد أهل
الجنة وسید ولد آدم "آدم فمن دونه تحت لوائه" ^(١) يوم يقول كل من الرسل "نفسی
نفسی" فيقول أبو الزهراء "أنا لها" فيصلی علیه الله وملائكته!.

اليقين

أحابي

جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله "تعلموا اليقين وعلموه أبناءكم"، وقال علي عليه السلام "الصبر رأس الدين ولا إيمان كاليقين" فالإيمان إذا بلغ غايته صار يقيناً فينتفي حينذاك الشك وتزول الظنون. والإيمان يزيد وينقص حتى يصير يقيناً فيستقيم التأرجح باليقين، واليقين يكون بالتعلم - ولذلك لا بد من شيخ خبير- وذلكم يعني نوعاً من السلوك أي أن العلم النظري وحده لا يفضي إلى اليقين وغايته الإيمان. والسلوك لا بد له من مرشد يعرف مدارج السالكين وعقباتها في منازل الإيمان واليقين، والإيمان يتعلق بالغيب فهو علم نظري متعلق بالمعنى لا بالشهادة. والله سبحانه وتعالى هو عالم الغيب والشهادة والغيب متعلق بالمخلوقين، لأن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء، ولا يوجد غيب يحتاج هو للاطلاع عليه. فالأمر عنده كله شهادة لأنه هو الصانع للكل. فالغيب بالنسبة للمخلوقين أمر تتوق الأنفس للاطلاع عليه ومعرفته بحثاً عن اليقين، وإذا وصل الإنسان إلى الشوق لمعرفة الغيب فقد صار الإيمان بالغيب يقيناً عنده يشترك لمعرفة، وذلك علم اليقين ووراء ذلك حق اليقين ثم عين اليقين. وكل ذلك جائز إدراكه للعبد ما لم ينكر. فإذا أنكر العبد الغيب وقف حيث هو في معتقده وعلمه ﴿...وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١) لأن العلم مخزنه المجهول العظيم الذي هو الغيب أو عالم الغيب. فمنكر الغيب واقف عن البحث والتفكير الذي هو العبادة التي لا تعدلها عبادة. ولا يزيد بإنكاره إلا جهلاً لأن الإنكار ليس علماً، وقد جاء "تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة" ومدح الله جل جلاله المتفكرين في محكم تنزيله

(١) سورة غافر، الآية: ٧٨

في قوله ﴿... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١) وسئل الجنيد رضي الله عنه عن اشرف المجالس فقال "مجالسة الفكرة في ميدان التوحيد".

وإذا وصل المرء إلى اليقين انتفى عنه الشك فلا وجود له عنده، وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله "لو كشفت لي الحجب ما ازددت يقيناً" وهذا منتهى ما يصل إليه العبد حيث لا يزيده ولا ينقصه أمر من الأمور فيما وصل إليه من اليقين. ولا يتأثر بالحوادث كعامة الخلق...!

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم قمم أممهم لاختيار الله لهم، ولو كان بين الأمة من هو افضل من نبيهم، لكان هو الأولى باختيار الله له، إذ يستحيل أن يختار الله لنفسه رسولاً ويصطفيه، ويكون هناك من هو احسن منه وافضل في علم أو خلق أو خلق، والرسل أيضاً هم كلمات الله التامات التي يخرج الله بها عباده من الظلمات إلى النور، وكان منهم عيسى عليه السلام ﴿... رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾^(٢) وهم الذين يأخذون بأيدي العباد إلى الإيمان وإلى اليقين من ضلال الشك وجحيم التأرجح. فيستحيل عليهم أن يوصف أحدهم بشك فيما هو عليه من ربه بعد أن يختاره الله رسولاً إلى عباده لهدايتهم إليه تعالى وتعريفهم به. ومن يقول بغير هذا فقد وضع نفسه حكماً عالماً فوق الأنبياء والرسل؛ وأجرى حكمه عليهم بمعرفته القاصرة جداً؛ وتعالى وتكبر بعلم يستحيل أن يمدد الله به ويحجبه عن رسله وأنبيائه المصطفين، الذين اصطنعهم الله لنفسه وحبّاهم وصلى على أفضلهم!!

فقد نسبوا إلى افضل رسل الله الذي بعث معلماً أنه قال "نحن أولى بالشك من إبراهيم"^(٣) وذلك حينما ذهبوا في تفسير قول الله تعالى في حق إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١

(٣) البخاري

إِبْرَاهِيمَ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿١﴾ وظنَّ الكثيرون منهم أن إبراهيم عليه السلام شك في قدرة الله على إحياء الموتى . ومن يعتقد ذلك فقد كفر لأنه كفر نبياً هو أبو الأنبياء !!! وحاول بعضهم أن يلين الحكم فقال إن إبراهيم شك في استجابة الله له في سؤاله .. ، وكيف يكون ذلك وهو تعالى القائل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٢) وقد سأله إبليس فأجابه حيث قال ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٤﴾ فكيف يشك أبو الأنبياء في استجابة الله له وهو خليفه.. ؟

إن إبراهيم عليه السلام ما كان سؤاله عن صلاحية القدرة الإلهية وحاشا أن يشك فيها ، بل سؤاله دلالة على عمق إيمانه بها . حيث طلب معرفة كيفية إحياء الموتى ، وطلب معرفة الكيفية دلالة على اليقين بحصول الأمر المراد مع عدم معرفة كيفية حصوله . والكيفية لا تتم معرفتها إلا بالممارسة فسؤاله كان طلباً لمعرفة ممارسة إحياء الموتى . وهذا أمر يكون لكل من يصل إلى مقام الخلّة ، مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً من كل شيء فلا يعمل عملاً يخشى فيه خلاً . وفي هذا المقام يحيي الموتى كما كان عيسى عليه السلام يفعل . ورغم أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (٥) لكنه لم يمارس إحياء الموتى ، وطلب الإذن من الله تعالى تأدياً في الإقدام على عمل بين يدي الله . فكان السؤال من الله تعالى ﴿... أُولِمُ تُوْمِنَ﴾ وليس المقصود به الإيمان بالقدرة أو الإيمان بالله ، بل أن من كان في هذا المقام يحقّ ويمكن له أن يمارس إحياء الموتى ، وهو أمر يعرفه إبراهيم عليه السلام وكل من اختصه الله برحمته ، فالسؤال من الحق جل وعلا بـ ﴿... أُولِمُ تُوْمِنَ﴾ هو تزكية من الله جلا وعلا

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٦٠

(٢) سورة البقرة ، الآية: ١٨٦

(٣) سورة الحجر ، الآيات: ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٤) سورة النساء ، الآية: ١٢٥

وشهادة لإبراهيم أنه ممن يحق له إحياء الموتى فلماذا يشك في مقامه وقدرته بأنه من أهل ذلك وأنه خليفه؟ فإبراهيم لم يشك في قدرة الله قط وكانت إجابته بالإيجاب "بلى" وكان سؤاله يتعلق بحاله هو. ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على ذلك بشهادة منك يا رب على أنني من أهل ذلك. ﴿... قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١) فقام إبراهيم عليه السلام بمباشرة إحياء الموتى بنفسه وهي الكيفية التي كان عليها مدار السؤال ، وهو أمر بعيد كل البعد عن شك يكون من خليل الرحمن عليه السلام ، ولا يقول بذلك إلا من يحمل رجساً من علم لا ينفع وما أجراًهم على الإعلان عنه .. !

ثم جاءوا في علمهم بدم كذب ، وقالوا إن أفضل الرسل قال "نحن أولى بالشك من إبراهيم" كبرت كلمة تخرج من أفواههم...، فإن كانت الرسل تشك فمن يعلم الناس اليقين ومن يعرفهم بالله؟ وبهذا الذي قالوه يريدون أن يثبتوا الشك عند إبراهيم عليه السلام ، وعلى أفضل الرسل صلى الله وبارك عليه وآله. ولو قيل لأحدهم أو نسب إليه الشك في عقيدته ودينه لتبرأ من ذلك بكل ما يقدر بل لقاتل من ينسب إليه ذلك ، فنسبة الشك إلى النبي جائز عندهم ولا يجوز عليهم ، ولا على أئمتهم في مذاهبهم التي يأخذون عنها أو مصادرهم التي يستندون إليها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والله غالب على أمره .. !

بل ذهبوا إلى أسوأ من ذلك ونسبوا إليه الكذب بحديث نسبوه إلى خير الأنبياء صلى الله وبارك عليه وآله في صحيح البخاري جاء فيه (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات) والله سبحانه وتعالى يقول من محكم تنزيله ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا﴾ ومعلوم أن الكذب ينفي الإيمان لقول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولا أدري ماذا يبقى من الدين بعد أن يوصف أبو الأنبياء بالشك والكذب!!

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠

المذاهب

أحبابي

قال تعالى ﴿... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١).

قالوا: أهل السنة والجماعة، هم اتباع المذاهب الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل، أما المذهب الخامس فهو مذهب السيد جعفر الصادق.

وقالوا إن الذي يخرج على هذه المذاهب الأربعة فقد خالف السنة والجماعة وخرج عن الإسلام ...، ولا يعترف أصحاب المذاهب الأربعة، بمذهب السيد جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام، سبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة، ويعتبرونه مذهباً شاذاً، كما قال ابن خلدون ويكفر بعضهم معتنقيه!! والسؤال الذي ينبغي الإجابة عليه هو: بماذا نسمي الأجيال التي سبقت أبا حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل!! لم يكونوا قطعاً تبعاً لأحد هذه المذاهب التي يصرّ أصحابها الآن أن من خالفها خرج على الأمة المسلمة، فكيف يصنفوا؟

أُيقال انهم خارج دائرة أهل السنة والجماعة؟ وهل أوصى النبي بهذه المذاهب وأمر بالتدين بها، والحذر من الخروج عليها، وكم كان عدد المذاهب في ذلك الوقت؟ ألم تكن هناك مذاهب أخرى كالأوزاعي وسفيان الثوري وابن عيينة و... و...؟

وهل كان أهل البيت في الدولة المسلمة في عهد بني أمية وبني العباس حيث قامت هذه المذاهب في مأمن من الحكام ومن القتل والتشريد...؟ وهل كانت هناك حرية لنشر فكرهم وعلومهم وهم أسيااد أهل الجنة؟

(١) سورة الروم، الآيات: ٣١، ٣٢

لقد نشأت المذاهب في عهد كان يقتل فيه أهل البيت واتباعهم فكيف يسمع لقولهم؟ فقد كان مذهبهم محرماً يقود إلى المشنقة في ظل الدولة المسلمة آنذاك ولا حرية لأربهم ولا لهم! وظل الأمر كذلك إلى يومنا هذا كأننا في العهد الأموي أو العباسي! ولتجدن الذي يقول بمذهب السيد جعفر الصادق كافراً عند متعصبي المذاهب الأربعة، ولا يجد الأمن لنفسه في دولة مسلمة ولا حرمة لدمه وربما رأى متعصبو مذهب أهل البيت الرأي نفسه في أصحاب المذاهب الأربعة..!

وقد احتج أصحاب مذهب أهل البيت بحديث المصطفى صلى الله عليه وآله "تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"^(١) وقالوا إن العترة الطاهرة هي صنو القرآن. فهي الفرقة الناجية. فالتمسك بهم وبفكرهم ومذهبهم هو المنجي، واحتج أهل المذاهب الأخرى بحديث اضعف رواية "كتاب الله وسنتي" ثم طوّروه حتى صار عندهم "كتاب الله والبخاري ومسلم" حيث قالوا انهما أصح الكتب بعد كتاب الله، ولا يسمح لمسلم الطعن فيهما ووضعوهما في مكان العصمة التي يسلبونها النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله في كثير من المواقف، وخصوهما بالتبجيل والتوقير والإجلال أكثر مما ينبغي للنبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، ولم يبق لهم إلا عبادتهما حيث قبلوا منهما من الأحاديث ما يطعن في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله دون شك فيها أو رفضها أو نقدها، بل مقاتلة من يطعن فيها كأنهما المعصومان وأحاديثهما يجري حكمها على النبي المعصوم لتنتقص من عصمته ويستأثران بها، ثم يهبانها لأحد الصحابة حين يختلف مع النبي المعصوم لتكون العصمة له والعتاب والحجة على النبي، فهل يوجد حرام يقع فيه المسلم أكثر من مخالفته النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله؟ وهذا هو الذي أحله البخاري ومسلم حيث جعلوا لأحد الصحابة الحق في مخالفة النبي وأن الحق معه والله يؤيده دون النبي وتبعتهما الأمة الإسلامية -إلا قليلاً- على ذلك!!

الأي يرقى ذلك إلى عبادتهما؟ فالله قد أرسل رسولا وأمر باتباعه والأخذ عنه وترك ما نهى عنه وحذر عن مخالفته لأنه جعل طاعته طاعته، وهؤلاء جاءوا برجل آخر من أصحابه وقالوا إن الحق معه ويجب عدم مخالفته، ولو من النبي نفسه، وإلا فالله سوف يعاتب النبي!! فقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿اتَّخِذُوا أَنْبَاءَهُمْ وَرُؤُسَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^(١) قال يا رسول الله لكنهم لم يعبدوهم قال "بل أحلوا لهم الحرام وحرّموا لهم الحلال فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم" فأى حرام أكبر من مخالفة النبي؟ وقد أحلته وأقرته الأمة من البخاري ومسلم ودانت به!!!.

وهذه المذاهب اختلف أصحابها رغم أن بعضهم كان قد تتلمذ على بعض فلم الاختلاف؟ وفيهم الاختلاف؟ إن وحدة القصد تنفي الاختلاف بين القاصدين. فما هو قصد أئمة المذاهب؟..

لقد اجتهدوا في كيفية أداء الأعمال من عبادات ومعاملات وشروط صحتها ونواقضها، حتى أصبح العمل هو القصد والأساس بل الدين كله عند أتباع هذه المذاهب، وربما يحكمون على الإنسان بأنه من أهل الجنة أو النار من خلال رؤيتهم أداءه لأعماله، بينما دخول الجنة والنار من الأمور الإلهية التي ليس لأحد حق التدخل فيها أو الحكم. ومن يحكم على أحد بأنه من أهل الجنة أو النار، فقد حشر أنفه فيما ليس له فيه حق وتطاول على الشأن الإلهي! فإن الله قد يدخل النار من يظنون أنه من أهل الجنة فالحكم له وهو البصير بعباده، ولا يسأل عما يفعل وكل فعله عدل!!

فالنبي صلى الله عليه وآله قال "لا يدخل أحدكم الجنة بعمله"^(٢) فأصبح العمل ما هو إلا استدعاء لرحمة الله - التي بها يدخل الإنسان الجنة - التي هي رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله كما جاء في القرآن الحكيم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) وكما جاء في السنة "إنما بُعثت رحمة مهداه"^(٤) فانشغل الناس بما به

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١

(٢) مسند أحمد

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧

(٤) مجمع الزوائد

يستجلبون الرحمة - وهو العمل - عن الرحمة ذاتها، وقدسوه أكثر منها رغم انه وسيلة يتقربون به إليها كما قدس أصحاب الأصنام آلهتهم لتقربهم إلى الله زلفى. وقد افتتن الناس بالأعمال وغرقوا فيها حتى انزلقوا وحكموا بها على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله، الذي جاء معلماً بها فقالوا إن بلالاً سبق النبي إلى الجنة بكثرة صلاته!! " فصارت الأعمال عندهم افضل من شفاعاة النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، ويمكن عندهم لأي مسلم أن يسير إلى الله دون النبي عليه أفضل الصلاة ، بعد أن يعرف كيفية العمل ويمكن أن يسبقه إلى الجنة ولا حاجة له بشفاعته، ولذلك أنكر بعضهم الشفاعاة حتى لا يكون هناك قدر زائد للنبي على بقية الخلق ولا حتى كونه رسول الله..! فليس له عندهم مزية في كونه رسول الله فلقد كانت هناك من قبله رسل كما فسروا قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(١)، كأنه لا أهمية له في كونه رسول رب العالمين، ولا شرف له بذلك ولا قيمة عندهم لكونه رسول الله إليهم ليعلمهم كل شيء، ولا عبرة عندهم في أنه اختاره الله، لذلك صار يعتقد أكثرهم انه يمكن أن يكون بين الناس من هو افضل منه ويؤيده الله إذا اختلف معه في أي موقف من المواقف.

كما أنه لم يؤد الرسالة - عندهم - كما يجب إذ بعث ليتمم صالح الأخلاق فإذا به - كما قالوا - يعبس في وجه المسكين الأعمى الذي جاء يسأله عما بعث به فيتولى عنه تاركاً إياه، وأنه تدخل بدعوى العلم في شئون زراعتهم دون علم منه مخرباً عليهم وأفسد إنتاج نخيلهم، وأنه اضطرهم على اتباعه - كما يقولون - إلى تقبيل حجر لا يضر ولا ينفع! وانه سن لهم متعة الحج وهو أمر كرهوه حتى غيروا هذه السنّة ومنعوها! وأنه نزل خطأ في معركة بدر - التي كان يعرف مصارع القوم فيها - حتى صححه أحد أصحابه! وأنه أخذ الفداء رغم معارضته أحد أصحابه له فكاد يهلكهم - كما قالوا -. لو لم يكن فيهم ذلك الصحابي لأن الله أيد ذلك الصحابي وعاتبه هو، وكان الشيطان يعترضه في صلاته - كما قالوا - وكان يلقي عليه آيات شيطانية كما في قصة الغرانيق،

(١) سورة آل عمران ، الآية: ١٤٤

وقالوا كان يصلي على المنافقين رغم منع الله له وأن الله أيد من اعترضه على الصلاة على المنافقين رغم أن المعترض نفسه كان يسأل هل هو من المنافقين أم لا!

لم يتحد قصد القاصدين من أصحاب المذاهب فيما يجب فيه اتحاد القصد. وإلا لاستقام التآرجح، واختفى الخلاف، وصح التنافس في التفاضل، وانتفى التفريق بينهم. فلو صح لهم الإيمان بأشرف الخلق رسول الله رب العالمين لما اختلفوا، وهو القصد. فالوقوف في الإيمان عند الإيمان بالله وحده كما يرى أدياء التوحيد غير منج، إذ المطلوب - الذي هو القصد والغاية - هو الإيمان برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ وبه تكون النجاة لأنه لا نجاة إلا بالرحمة ﴿... يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) والذين وقفوا عند الإيمان بالله واكتفوا به بل نهوا الناس عن غيره وهو الإيمان برسول الله اهتموا بالعمل الذي صار عندهم هو الغاية التي تقربهم إلى الله لينجيهم به كما سبق وذكر، ومنهم من أوجب على الله إدخال الجنة كل من صح عمله وإلا لانتفى عنده العدل الإلهي! وغاب عنه أن كل فعل الله عدل، بل هو العدل نفسه ولو أدخل أعبد الناس النار. والاعتماد على العمل للنجاة، هو ضرب من الشرك، إذ يجب أن يكون الاعتماد على الله، الذي جعل دخول الجنة برحمته، لا بعمل العاملين رغم انهم يدعي غير ذلك من أصحاب المذاهب، ولقد جعلوا التقرب إلى الله بالأعمال الصالحات دون النبي صلى الله وبارك عليه وآله كأن دور النبي هو تبين الطريق فقط ثم ينتهي دوره، ويمكن لغيره في هذا الطريق أن يتخطاه كما قالوا في بلال رضي الله عنه، وغاب عنهم انه لا حول ولا قوة لمخلوق إلا بالله فما عبده عابد إلا به أي بحوله وقوته تعالى. ولذلك قيل: "إن من يطلب الأجر من الله، على عمل أداه بحول الله، فقد أساء الأدب مع الله" إذن فلا نجاة إلا بمن جعله الله سببا للنجاة بشفاعته. والويل لمن يقف أمامه يوم العرض بوجه كالح عابس يحمل وزر اتهامه له بما ذكر آنفاً ف "المرء مع من أحب"^(٢) فليبحث الذي يصف رسول الله بنقص في العلم أو الخلق أو

(١) سورة الحديد ، الآية: ٢٨

(٢) البخاري

السلوك أو الإيمان - كالذي يأخذ بحديث "نحن أولى بالشك من إبراهيم" ^(١) - أو في العدل بين نسائه، أو بعدم حفظ الله له من الشيطان أن يلقي على لسانه، أو بغياب عقله لتصرف اليهود فيه، أو بإظهار استيائه من المسكين الأعمى، أو بكثرة نومه حتى يقول له بلال الصلاة خير من النوم، فليبحث عن مثله الأعلى في غير صاحب هذه الصفات ليحبه وليكون معه بعيداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يرى فيه ما دون وصف المسلم العادي!!! ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ^(٢) وليترك محب النبي ليرى فيه ما قاله الله تعالى عنه في محكم تنزيله حيث جعل رمية رميه ^(٣) وطاعته طاعته ^(٤) وبيعته بيعته ^(٥) وأمره أمره ^(٦) وأمر بتعزيره وتوقيره وتسبيحه ^(٧) والقنوت له ^(٨) وصلى عليه وفرض على الخلق الصلاة عليه ^(٩) وسلب الإيمان ممن لا يحتكم إليه دون حرج من قضاؤه ^(١٠) وحذر من مخالفته ^(١١) وجعل محبة الله للعبد مشروطة باتباعه وتستحيل باعتراضه ^(١٢) ووعد بإعطائه حتى إرضائه ^(١٣) وأعطاه حق استئناف الحكم الإلهي المفضي إلى النار ليرد المحكوم عليه إلى الجنة ^(١٤) وفوق ذلك كله مدحه الله جل وعلا بعظيم خلقه ^(١٥)

وإني لأعجب كل العجب كيف يستطيع العقل الإنساني استيعاب قدر هذا الأمر: إن الله يمدحه حتى يصلي على من يصلي عليه!!.

قر بعجزك أيها العقل وقف مكانك أيها القلم الأصم فلا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله وبارك عليه وآله.

- (١) البخاري
- (٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٧
- (٣) سورة الانفال، الآية: ١٧
- (٤) سورة النساء، الآية: ٨٠
- (٥) سورة الفتح، الآية: ١٠
- (٦) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨
- (٧) سورة الفتح، الآية: ٩
- (٨) سورة الأحزاب، الآية: ٣١
- (٩) سورة الأحزاب، الآية: ١٥٦
- (١٠) سورة النساء، الآية: ٦٥
- (١١) سورة النور، الآية: ٦٣
- (١٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١
- (١٣) سورة الضحى، الآية: ٥
- (١٤) الشفاعة / البخاري
- (١٥) سورة القلم، الآية: ٤

المرجعية

أحابي

إذا آمنا بالله جلّ جلاله، فذلك يعني أننا قد صدقنا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بأنه مرسل من ربه، وأن الله تعالى أوحى إليه هذا القرآن الذي هو كلام الله القديم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ونجد أن الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله قد أحالنا إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله فقال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) ولم يقل "ما آتيتكم فخذوه" وقال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) لتصبح مخالفته صلى الله وبارك عليه وآله مقرونة بالمصائب والفتن والعذاب العظيم ذلك لأنه جعل طاعته وطاعته حيث قال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٣) وبذلك أصبحت الأمة كلها محالة من الله إلى الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لإتباعه وطاعته والأخذ عنه، ووجوب عدم مخالفته لأن معصيته معصية الله. وبهذا تكون المرجعية للمسلمين هي الرسول صلى الله وبارك عليه وآله في الدنيا وكذلك في الآخرة حيث جعل الله سبحانه وتعالى الأمر للنبي صلى الله وبارك عليه وآله دون بقية الرسل. فهو الذي ينتهي إليه أمر الخلائق ليشفع لهم عند الله سبحانه وبشفاعته الكبرى ليقضي بينهم، كما ينتهي إليه أمر أهل الكبائر من أمته بشفاعته الخاصة ليحول بينهم وبين النار ويدخلهم الجنة. فرفع الله ذكره في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٤) ووعد بقبول كل من يأتيه جلّ جلاله عن طريق النبي في الدنيا والآخرة. فهو حبيبه الأعظم الخاتم السابق الذي ليس له من الأمر شيء، إذ كل أمره أمر الله في رميهِ وفي كلامه فإنه ﴿وَمَا

(١) سورة الحشر، الآية: ٧

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠

(٤) سورة الشرح، الآية: ٤

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١﴾ وَأَخَذَ اللَّهُ الْعَهْدَ عَلَىٰ كُلِّ رُسُلَةٍ لِيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَنْصُرُوهُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣﴾ وَأَمَرَ كُلَّ الْمُسْلِمِينَ لِيُعْزِرُوهُ وَيَنْصُرُوهُ وَيُوقِّرُوهُ قَالَ تَعَالَى ﴿٤﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعْزِرُوهُ وَتُقَرِّبُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾. ولا أدري كيف بعد كل هذا صَحَّ لبعضهم التجرؤ في الكلام عنه ناقلين ومنتقصين لقدره الشريف في السلوك والعلم والعمل؟ ولا يكون ذلك إلا ممن يدعون الكمال أكثر منه في العلم، والأخذ عن الله مباشرة لا عنه حتى يصح لهم ما يقولون فيه، فنسبوا إليه العبوس في وجه السائل وهو الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق..! ونسبوا إليه عدم العلم بأمور الدنيا وهو الذي بُعث معلماً..! ونسبوا إليه نقص العلم في تدبير موقع الجيش في الحرب، وهو الذي كان يعلم بالتحديد أين مصارع القوم في تلك المعركة وكانت كما قال..! فذاك نفسي وولدي وأبي وأمي يا رسول الله فما أؤذي نبي من أمته مثلاً أؤذيت. وتحديد أماكن مصارع القوم كان قبل بداية المعركة بالتأكيد فكيف يعجز من يستطيع تحديد أماكن القتلى عن تحديد المكان الصالح للجيش؟

يقول بعضهم إن المرجعية هي القرآن. ولكن الذي يقول بذلك يعني أنه هو المرجعية أو أن من يأخذ عنه هو المرجعية، ولا ينبغي لأحد أن يقف في مرجعيته عند القرآن لأن القرآن أحال المرجعية للرسول صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. فالذي يقف في مرجعيته عند القرآن يريد أن تكون المرجعية لغير النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، أي لكل من يدعيها من أدعياء العلم والتفسير... لأن القرآن يفسره كل ذي عقل قَدَرٍ وَسِعَ عقله ولا يكون فيما اجتهد وأبان وشرح قد استقصى التفسير لأنه كلام الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ولا يحاط به. وكل من كان هذا منهجه فقد سقط من علمه قول الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا

(١) سورة النجم، الآية: ٢

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١

(٣) سورة الفتح، الآية: ٩

إِلَيْكَ الذِّكْرُ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^(١) ووضع نفسه في مكانة النبي ليبين هو للناس ما نزل من القرآن!!! وكل الناس في التعلم من القرآن محتاجين إلى المعلم صلى الله وبارك عليه وآله ليبينه لهم. فقد قال الله تعالى ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾^(٢) وهو أمر صريح بالركوع والسجود ولغة واضحة وصريحة، ولا يظن أحد أن فيها ما يحتاج إلى شرح أو تبين من المعلم صلى الله وبارك عليه وآله ولكن المعلم صلى الله وبارك عليه وآله حينما بيّنها للناس رفع من الركوع حتى استقام ثم خر ساجداً!! فما ينبغي لأحد أن يتجرأ بفهمه هو للقرآن وأخذه منه مباشرة دون النبي ثم يتناول بهذا الفهم القاصر بالحكم على النبي صلى الله وبارك عليه وآله بما لا يناسب الكمال المحمدي في العلم والسلوك والعمل! فيقول من ضلّ ومن جهل: النبي بشر مثلي ومثلك، لفهمه من كلام الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(٣) قدر وسع عقله ولم يلتفت لقول الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله في هذا المعنى "إني لست كأحدكم إني أظل يطعمني ربي ويسقين"!! فلو لم يكابر ويسارع بهذه الفتوى الكريهة التي يخرج بها لنفي العصمة عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لَعَلَّمَ أن النبي لم يكن له ظل وكان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وكانت تنام عيناه ولا ينام قلبه، وكان يدعو الشجرة فتلبى وتجيء تشقُّ الأرض، ويسأل الضب فيشهد له بالرسالة، ويسلم عليه الحجر، ويشكو له البعير، ويبكي عنده الجذع، ويحجن حنين النوق، لأنه اتخذ منبراً صعد عليه وترك الصعود على ذلك الجذع، حتى نزل الحبيب ومس عليه. ووعد سراقاً بأساور كسرى، وهو أمر تم بعد نيف وعشرين سنة، وهذا يعني أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله كان يعلم كم عمر سراقاً وأنه لن يموت بل سيعيش كل هذه السنين حتى يحضر هزيمة كسرى وتؤول إليه أساوره!!! أعظم به من علم وأعظم به من مُعلِّم جهله قومه وأوذي ما لم يؤذ نبي من الأنبياء!! فكل مُفسِّر يقول إن المرجعية هي القرآن فإنه يقف عند تفسيره هو الذي ينتهي إليه علمه ومعرفته، وهي مرجعيته فلم يتعد نفسه أي أنه هو بفهمه للقرآن أصبح

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٧

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠

هو المرجعية كما يرى ويفهم هو من القرآن!!! ويكون بذلك كل عالم أو صاحب مذهب هو مرجعية قائمة بذاتها، ويظن أنه يمكن أن يتكلم عن النبي وعصمته من رؤيته هو وفهمه وتكون المرجعية متعددة بتعدد العلماء وأصحاب المذاهب!! ولهذا لم تجتمع كلمة المسلمين وتعددت مذاهبهم في دينهم وتعددت آراؤهم في نبينهم واختلفت مفاهيمهم في ربانيتها. وأصبح الذي بُعث مُعلماً لكل الناس محلاً للنقد في تعليمه من قبل المُفترَض فيهم أن يكونوا آخذين ومتلقين عنه بأدب التلميذ المحتاج للعلم من سيد العلماء وسيد ولد آدم، المحتاجين إلى علمه في الدنيا وإلى شفاعته في الآخرة!!! وأصبح الرسول صلى الله وبارك عليه وآله مجالاً لاختلاف الآراء فيه وفي عصمته، بل والحكم على مواقفه ومقارنتها بمواقف أناس عاديين من أتباعه وأمتة! وربما حكم عليه بعدم الإصابة في الرأي وصوب غيره كما قالوا في قصة أسارى بدر! وربما حكم عليه بالخطأ في السلوك في أداء الرسالة التي جاءت لتتمم مكارم الأخلاق. فيقولون - والعياذ بالله من ذلك - إنه أبدى في رسالته، التي بعث بها، مساوئ الأخلاق كالعبوس في وجه الفقير الأعمى الذي جاء ليتعلم مكارم الأخلاق فقابلته الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بالصدود عنه والعبوس في وجهه! فتصرّف النبي صلى الله وبارك عليه وآله - كما يقولون في عقيدتهم - بعكس ما بعث به!!!

إن الله عز وجل في كتابه العزيز أحال الأمة الإسلامية في دينها إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله، والأخذ عنه وأوجب طاعته وحذّر عن معصيته، وعليه يكون صلى الله وبارك عليه وآله هو المرجعية كما ذكرنا. فإذا تقرر ذلك فإنه يجب إبعاد كل الأحاديث التي تجعل لأحد من أمتة مكانة كمكانته، أو علماً كعلمه أو سنة كسنته، ويكون من سخف العقول قبول تلك الأحاديث التي تجعل لأحد من أمتة أو أصحابه مزية عليه، أو أفضلية في موقف من المواقف، أو أمر من أمور الدين أو هداية الأمة إن لم يكن هو الكفر البواح. وكل ما يخص الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله يجب أن ينظر إليه بنظرة المتعلم منه ويؤخذ عنه بأدب التلميذ من قبل كل فقيه وعالم ومحب ومن كل مسلم، لا بنظرة الناقد فإن الناقد يركز على مرجعية منها يتكلم عن الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله في عصمته. ولا توجد مرجعية لأولئك إلا في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة

والتفاسير، ومنها يحكمون على النبي صلى الله وبارك عليه وآله!!

قد يقول قائل إذن من أين لي أن أبحث أو أتكلم عن النبي في غير هذه المراجع الدينية التي أصبحت في محل القداسة عند المسلمين؟ أقول إن هذه الكتب لها الفضل الكبير في تدوين السنة والأحاديث والتاريخ ولكنها لا تتمتع بالعصمة لأن العصمة لا تكون إلا للنبي فلو أخذنا كل ما فيها تكون بذلك قد أعطيناها العصمة وقبلنا منها ما يطعن في عصمة النبي، وهو ما يوجد فيها في بعض الأحاديث. قد يقول قائل وكيف بي علم تلك الأحاديث وانتقائها؟ فنقول كلما نجد من أحاديث تقلل من عظمة النبي صلى الله وبارك عليه وآله، الذي هو المرجعية أو تجعل لأحد غيره مكانة كمكانته أو ترفع أحداً غيره فوقه في موقف من المواقف أو تعطيه مزية في أمر من أمور الدين فإنه يجب استبعادها وإنكارها ورفضها، ونتمسك بعلو قدر الحبيب ومنزلته التي يجب أن يعتقدها كل مسلم بأنها لا تطال ولا تدرك لبشر!! فهو فوق كل الخلق منزلة وعلماً وقدرراً عند الله وعند كل مؤمن وما أصحابه إلا حسنة من حسناته. ناهيك عن أن يكون أحدهم أفضل منه في موقف من المواقف أو أمر من أمور الدين!! وأنه لأمر يتأذى منه من ينسب إليه ذلك خاصة إن كان يعرف قدر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ومكانته عند ربه أو كان حبه له أكثر من نفسه!!

والناقد في كل حال يكون في مكان الأستاذ والمرجعية لا التلميذ المتلقي. فكل منتقد للنبي صلى الله وبارك عليه وآله، قد وضع نفسه موضع الأستاذ في الدين لينتقد النبي صلى الله وبارك عليه وآله، ويكون قد وضع النبي في مكان النقد وفي موقف أقل منه ويمكنه أن يتكلم فيه ناقداً!! ومن يضع نفسه في هذه المكانة فقد بلغ من الكبر بأن وضع لنفسه مكانة فوق النبي صلى الله وبارك عليه وآله ويكون قد خرج عن الإسلام، وكفر بذلك كفرًا ليس بعده ذنب!!

أصحاب الخطايا

أحبابي

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١) وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾^(٢)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"^(٣) والحديث ينفي العصمة عن كل البشر -عدا رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، لأنه كان نبياً وآدم منجلد في طينته- وذلك يعني أن الإنسان فطر على الخطأ، أي أن وقوعه حتمي من كل فرد من بني آدم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"^(٤) ولكن الله الرؤوف الرحيم الكريم الودود الغفار اللطيف الحليم الغفور العفو الواسع المغفرة وسعت رحمته كل شيء بل سبقت رحمته غضبه، حتى قال للذين بالغوا في ارتكاب المعاصي والخطايا عن قصد وأسرفوا على أنفسهم ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥) وضرب النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله مثلاً لتقريب الأفهام لرأفة الله بعباده بتلك المرأة التي قال عنها "أترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال إن الله أرحم بعباده من هذه بولدها"^(٦)، وبما أن كل ابن آدم خطاء، فقد جعل الله لعباده سبيلاً لمحو الخطيئة عند الله وهي الاستغفار، إذا لم تكتمل البيئة لإقامة الحد على الخطيئة. قال تعالى ﴿وَإِنِّي

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٢

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٢

(٣) الترمذي

(٤) مسلم

(٥) سورة الزمر، الآية: ٥٣

(٦) البخاري

الله لم يطالبنا بالعصمة بل طلب منا الاستغفار عند حدوث الزلل لا أكثر قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١) ، نجد بعض أدعياء العلم يسلبون العصمة عن النبي صلى الله عليه وآله وبينما يطالبون العامة بالعصمة في السلوك !!! وما أقساهم في تعاملهم مع أصحاب الخطيئة بأسلوب يجافي الدين تماماً ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢) فبينما الأمر المحمدي يحرض على الستر "من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة"^(٣) ويظهر ذلك في التشريع المحمدي في السلوك، نجد أدعياء العلم المطالبين الناس بالعصمة في قسوتهم على المخطئين وسوء تعاملهم معهم، نجدهم يتجسسون على المسلمين لإظهار خطاياهم ، وهو ما يحاربه الإسلام بكل تعاليمه - وما يحاربه الإسلام فهو ضده - فالأمر الإلهي ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾^(٤) لذلك فإن المتجسس على المسلمين يقتل وإن تاب، ونجدهم يتلذذون بإظهار خطايا الآخرين ويفرحون بشيوعها وإشاعتها لسوء خلقهم وقلة دينهم ﴿... وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٥) قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦) واعلموا أن الفرق كبير بين الخطأ والخطيئة ، فالخطأ لا ذنب فيه عند الله قال صلى الله عليه وآله "إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"^(٧) ولكن قد يكون هناك عوض مادي لجبر الخطأ، إذا كان الخطأ أثر على حياة البعض ممن وقع عليهم. أما الخطيئة فهي الذنب الذي تقع عليه العقوبة في الآخرة إن لم يغفرها الله أو يشفع فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله، وهي التي لم تكتمل فيها البيئة الشرعية للعقوبة في الدنيا. فإن اكتملت البيئة صارت جريمة يعاقب عليها الشرع "القانون" وهي ترتكب عن قصد إذ لو انعدم القصد لصارت

(١) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٢

(٣) ابن ماجه

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢

(٥) سورة الكهف، الآية: ١٠٤

(٦) سورة النور، الآية: ١٩

(٧) ابن حبان

خطأ. وهذه يمحوها الاستغفار وإن عاد في اليوم سبعين مرة مع الاستغفار. وقد جاء في الحديث "من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر" (١) وإنه لمن المهلكات أن يمسي العبد في ستر الله رغم ذنوبه، ثم يصبح فيكشف ستر الله عنه ويفضح نفسه، فذاك حريّ بالعقاب في الدنيا إن عجل له أو في الآخرة، لإقراره ورفضه ستر الله الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة والذي سبقت رحمته غضبه ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (٢).

والآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣) ترفع العذاب عن المستغفرين وعن أولئك الذين يديمون الصلاة على النبي صلى الله وبارك عليه وآله فقد قال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (٤) فالمديمون الصلاة على النبي لا تفرغ قلوبهم منه، بل قد يكون هناك من ليس في قلبه سوى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله. فالنبي في قلوبهم دائماً وإذا كان في قلوبهم فهو فيهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (٥)، وهؤلاء أعظم درجة من أولئك الذين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (٦)

والحمد لله أولاً وآخراً، والشكر لرسول الله صلى الله عليه ووالديه وآله.

(١) مجمع الزوائد

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٢

(٣) سورة الانفال، الآية: ٣٢

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٧

(٥) سورة الانفال، الآية: ٣٣

(٦) سورة النساء، الآية: ٩٥

فهرس الرسائل

٧	مفتتح
٩	تمهيد
١٣	في رحاب الرسالة
١٧	مقدمة
١٩	مقصد البعثة
٢٣	وحدة الرسالة
٢٧	العبادة
٣٣	أسلوب الدعوة
٣٧	الإسلام
٤٣	كيفية الدعوة
٤٩	التشريع
٥٥	الجزء الأول:
٥٧	الدعوة إلى الله
٦١	ذكر الله
٦٥	الإيمان شرط النصر
٧١	اللهم علماً نافعاً
٧٣	أهل الذكر: أهل البيت
٧٥	هل السجود عبادة
٧٩	هل للبخاري ومسلم عصمة؟
٩٧	الذين يدخلون الجنة
١٠٥	الدين المعاملة
١٠٩	العلم بالمنافقين
١١٥	جيش أسامة

١٢٣	رأي المستشرقين
١٢٧	القائم عليه السلام
١٣٣	التقرب إلى الله
١٤١	حب أمير المؤمنين عليه السلام
١٤٧	ابن سلول: هل كان منافقاً
١٥٥	الجزء الثاني:
١٥٧	أسرى بدر
١٧٧	القرين
١٨٣	في الجنة
١٨٧	الملاذ
١٩١	قمة القمم
١٩٩	المعلم
٢٠٥	أين كلام الصادقين؟
٢١١	اليقين
٢١٥	المذاهب
٢٢١	المرجعية
٢٢٧	أصحاب الخطايا